

بيع من السلسلة أكثر من 47 مليون نسخة وترجمت إلى 31 لغة

حروب القطط

الجزء الثاني

ناروجليد

إيرين هانتر

ERIN HUNTER

الأكثر مبيعاً على لائحة نيويورك تايمز

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

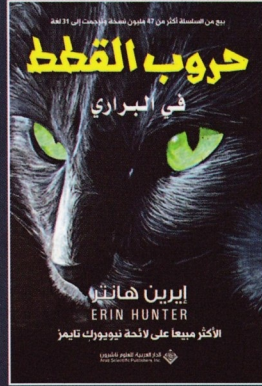
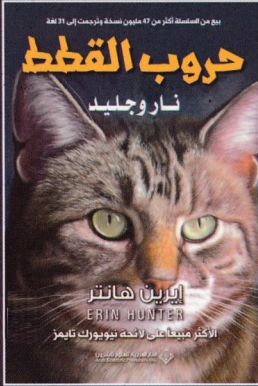


telegram @yasmeeenbook

وحدها النار ستنقذ عشيرتنا

أصبح قلب النار محارباً في عشيرة الرعد، ولكن الخطر ما زال يتربص بالغابة. فقد كانت عدائية عشيرة النهر في ازدياد مستمر، بينما تعاني عشيرة الرياح من الضعف وتواجه المخاطر من كل حذب وصوب. ومع تعاظم التوتر إلى حد الانفجار، لا يواجه قلب النار المعارك الداهمة فحسب، بل وقسوة الغدر من داخل العشيرة أيضاً.

صدر من هذه السلسلة



الدار العربية للعلوم ناشرون
جائزة النشر والتثقيف الثقافية
2015



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com



facebook.com/ASPArabic



twitter.com/ASPArabic



www.aspbooks.com



asparabic

جميع كتبنا متوفرة في موقع **نيل وفرات.كوم** - www.neelwafurat.com - www.nwf.com

حروب القطط

نار وجليد

WARRIORS: Fire and Ice

إيرين هانتر
ERIN HUNTER

ترجمة
زينة إدريس

مراجعة وتحريير
مركز التعريب والبرمجة



telegram @
yasmeenbook

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

WARRIORS: Fire and Ice

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر

HARPER, An Imprint of HarperCollins Publishers

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون ، ش.م.ل.

Copyright © 2003 by Working Partners Limited

All rights reserved

Arabic Copyright © 2016 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى

2016 م - 1437 هـ



telegram @
yasmeenbook

ردمك 3-1954-01-614-978

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل.
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

telegram @yasmeenbook

مقدمة النسخة العربية

ابتكرت المؤلفة عالماً جذاباً قائماً على ميثولوجيا وبنية معقدة، وضمنت عددًا كبيراً ومربكاً قليلاً من الشخصيات. يضم عالم حروب القطط أربعاً من العشائر التي تعيش في الغابة: عشيرة الرعد، عشيرة الظلال، عشيرة النهر، وعشيرة الرياح.

تراتبية العشيرة:

تملك العشائر نظاماً هرمياً، بحيث تحتل القطط مناصب مختلفة ضمن العشيرة الواحدة. يُمنح زعيم العشيرة تسع أرواح واسم زعيم يبدأ بكلمة "نجم". وهو الذي يتخذ كل القرارات الهامة، كشنّ المعارك أو ترقية المحاربين. وكلمته هي القانون، بحسب قانون المحاربين. يأتي من بعده النائب، الذي يخلف الزعيم عندما يخسر هذا الأخير روحه الأخيرة. تقوم وظيفته الأساسية على تنظيم الدوريات وغيرها من المهام اليومية. ولكي يعيّن الهزّ نائباً، يجب أن يكون محارباً قام بتدريب مبتدئ واحد على الأقل. تضمّ العشيرة أيضاً هزّاً مداوياً تأتيه رسائل من عشيرة النجوم (أرواح القطط الميتة) ويتمّ تدريبه جيداً على استخدام الأعشاب لمعالجة القطط المريضة أو الجريحة. غير أنّه لا يُسمح للقطط المداوية بالتزاوج أو الإنجاب لأنّ هذا الأمر يلهيها عن واجباتها.

يأتي بعد ذلك المبتدئون الذين يتدربون على واجبات المحارب، أي الصيد والدفاع عن العشيرة. تبدأ كلّ أسماء المبتدئين بكلمة

"بسّ". وهم يتدربون على أيدي المحاربين الذين ينقلون إليهم المعرفة والمهارات التي تعلّموها من مدربيهم. تمتدّ فترة التدريب عادة على ستّة أشهر، يخوضون من بعدها اختباراً، ويصبحون محاربين عندما يرى مدربوهم أنّهم أصبحوا جاهزين لذلك ويوافق زعيم العشيرة. تبدأ أسماء المحاربين بكلمات مختلفة مثل "قلب"، "فراء"، "ذيل"، "نمر"... ويختار زعيم العشيرة الاسم خلال حفل رسمي.

عندما يشيخ الهرّ، أو يصاب بمرض أو عجز دائم، يتقاعد ويصبح مسناً. يشارك المسنّون معرفتهم وخبرتهم مع العشيرة ويهتمّ بهم المبتدئون. أمّا وظيفتهم الوحيدة فتقوم على دفن أموات العشيرة. في العشيرة أيضاً قطط حضانة تنتظر أو ترعى صغاراً. عادة تستأنف هرّة الحضانة واجباتها كمحاربة عندما يكبر صغارها، وهي غير مجبرة على كشف هوية والدهم. يبدأ اسم القطط الصغيرة بكلمة "بسبوس"، ويصبحون مبتدئين بعد بلوغهم الشهر السادس من عمرهم.

مصطلحات العشائر:

تستخدم العشائر مفردات مختلفة لبعض المفاهيم والأشياء في العالم الطبيعي. منها ما يشير إلى المخلوقات الأخرى، مثل "ذوي الساقين" (البشر)، أو "البسبوس الأليف" (هرّ المنزل)، ومنها ما يشير إلى أشياء يستخدمها البشر، مثل "وحش" (سيارة)، مأوى الخيل (الإسطبل)، أعشاش أو أوكار ذوي الساقين (المنازل)، السكاكيني (البيطري). ثمة أيضاً "الفراء الفضي" (الطريق اللبنية) وطعام الغربان (الجيف).

كما تستعمل القطط عبارات خاصة للإشارة إلى الزمن والمقاسات. فتحدد الزمن بحسب موقع الشمس والقمر في السماء: "علوّ الشمس"

(الظهيرة)، "علوّ القمر" (منتصف الليل). أما المسافات، فتحدّد قياساً إلى طول الحيوانات الأخرى: طول ثعلب (حوالي 80 سم)، وثبة أرنب (حوالي 50 سم)، طول ذيل (حوالي 30 سم).

وسمّيت الفصول بحسب تبدّل مشهد الغابة وأثر ذلك على الحيوانات: فصل الزهر (الربيع)، فصل الحرّ (الصيف)، فصل الرياح (الخريف)، وفصل الثلوج (الشتاء).

ومن العبارات المستخدمة: هرّ بدماغ فأر (أحمق)، هرّ بقلب فأر (جبان)، هرّ بقلب ثعلب (ماكر)...

اعترض بسّ رمادي بصوت خافت: "لكنّ البسابيس الأليفة لا تستطيع أن تصبح محاربة، فهي لا تملك دم المحاربين!".

شابت عينا نجمة الصباح نظرة حزينة، وردّدت متنهّدة: "دم المحاربين، كم أريق منه في الآونة الأخيرة".

صمتت نجمة الصباح بينما ماء قلب الأسد قائلاً: "نجمة الصباح تعرض عليك التدرّب وحسب أيّها الشاب، لكننا لا نضمن لك أن تصبح محارباً. عليك أن تفهم أنّ نجمة الصباح لا تقدّم لك هذا العرض بخفّة. إن أردت أن تتدرّب معنا، سيّتين علينا إدخالك إلى عشيرتنا. وإما أن تعيش معنا وتحترم تقاليدنا، أو تعود إلى ذوي الساقين ولا ترجع إلينا أبداً. لا يمكنك أن تعيش بين عالمين".

عشائر الغابة

عشيرة الرعد

- الزعيمة نجمة الصباح - هزة ذات فراء رمادي مائل إلى الزرقة
مشوب بلون فضي حول خطمها.
- النائب النمر الشرس - هز ضخم مخطط ذو لون بني داكن
ومخالب أمامية طويلة جداً.
- الهزة المداوية جمرة - هزة عجوز ذات لون رمادي داكن ووجه عريض
ومسطح، كانت تنتمي سابقاً إلى عشيرة الظلال.
- المحاربون (هررة ذكور وهرر إناث لا يملكن صغاراً)
الرعب الأبيض - هز أبيض كبير.
يمرن المبتدئة بسة الرمال.
- النمر الأسود - هز ذو فراء أملس مخطط باللونين
الأسود والرمادي.
يمرن المبتدئ بس أغبر.
- النمر الذئال - هز فاتح اللون مخطط بالأسود.
يمرن المبتدئ بس رشيق.
- البرق الخاطف - هز مخطط يمتاز بسرعته.
- غصن الصفصاف - هزة ذات لون رمادي فاتح جداً
وعينين شديديتي الزرقة.
- الفأرة السمراء - هزة سمراء صغيرة الحجم.
- قلب النار - هز أشقر وسيم.
- يمرن المبتدئة بسة الرماد.

النمر الرمادي - هز رمادي قوي البنية وطويل الفراء.
يمرن المبتدئ بس أشقر.

المبتدئون

(هررة تجاوزوا الشهر السادس من العمر، يتدربون
ليصبحوا محاربين)

بسة الرمال - هرة شقراء فاتحة اللون.

بس أغبر - هز بني داكن.

بس رشيق - هز أبيض وأسود.

بسة الرماد - هرة ذات لون رمادي داكن.

بس أشقر - هز ذهبي مخطط.

(هرر تنتظر أو تربّي صغاراً)

إناث الحضانة

بياض الثلج - هرة جميلة ذات فراء أبيض وعينين
زرقاوين.

عين الزمرد - هرة مخططة جميلة.

زهرة الذهب - هرة شقراء فاتحة اللون.

النمرة الشقراء - هرة شقراء مخططة، وأكبر إناث
الحضانة سنّاً.

(إناث ومحاربون سابقون متقاعدون حالياً)

القطط المستّة

الذيل الأبر - هز مخطط كبير الحجم ذو فراء بني داكن،
خسر جزءاً من ذيله.

شمشوم - هز رمادي يملك أذنين صغيرتين جداً وهو
أكبر هز في عشيرة الرعد.

كشكول - هز صغير أبيض وأسود اللون.

عوراء - هرة ذات لون رمادي فاتح، وهي أكبر هرة في
عشيرة الرعد. إنها شبه عمياء وصمّاء.

فراء الكستناء - هزة بنية كانت جميلة في شبابها، ذات
فراء مرقط ناعم.

عشيرة الظلال

الزعيم	فراء الليل - هز أسود عجوز.
النائب	الفراء الأفحم - هز رمادي هزيل.
الهز المداوي	شرشور - هز صغير الحجم رمادي وأبيض.
المحاربون	الذيل القصير - هز بني مخطط. يمرن المبتدئ بسّ بني.
	كفّ تشتوش - هز رمادي مخطط. يمرن المبتدئ بسّ سنديان.
	النمر الصغير - هز مخطط صغير الحجم جداً.
إناث الحضانة	سحابة الفجر - هزة مخططة صغيرة.
	الزهرة السوداء - هزة سوداء.
	زهرة الأقحوان - هزة عسلية اللون ذات قوائم طويلة.
القطط المسنة	سحاب الرماد - هز رمادي هزيل.

عشيرة الرياح

الزعيم	النجم المذنب - هز أسود وأبيض ذو ذيل طويل جداً.
النائب	الكفّ الأعرج - هز أسود ذو كفّ ملتوٍ.
الهز المداوي	فراء البندق - هز بني قصير الذيل.
المحاربون	الكفّ الأترب - هز بني داكن مرقط. يمرن المبتدئ بسّ أرمد.
	النمر الأشرم - هز مخطط.
	يمرن المبتدئ بسّ سريع.

النمر الوحيد - هرّ بني مخطّط شاب.
 يمرّن المبتدئة البسة البيضاء.
 إناث الحضانة سحابة الرماد - هرّة رمادية.
 زهرة الصباح - هرّة ذات لون بني داكن وفاتح.

عشيرة النهر

الزعيم النجم الأعوج - هرّ مخطّط ضخّم وفاتح اللون يمتاز
 بفكّه الأعوج.
 النائب فراء الفهد - هرّة مخطّطة ومرفّطة بلون ذهبي غريب.
 الهرّ المداوي فراء الوحل - هرّ بني فاتح ذو فراء طويل.
 المحاربون سواد الليل - هرّ أسود داكن.
 يمرّن المبتدئ بسّ بليد.
 قلب الصوّان - هرّ رمادي أذناه تحملان ندوب المعارك.
 يمرّن المبتدئة بسة الظلام.
 كركور - هرّ بني داكن.
 يمرّن المبتدئ بسّ فضي.
 شعاع الفضة - هرّة رمادية مخطّطة جميلة ورشيقة.
 الكفّ الأبيض - محارب أسود.

قطط من خارج العشائر

زعر - هرّ صغير أبيض وأسود، ممتلئ الجسم وودود،
 يعيش في منزل عند أطراف الغابة.
 بربر - هرّ أبيض وأسود يعيش في مزرعة قريبة من الغابة.
 النجم نمرود - هرّ بني داكن ذو فراء مخطّط وطويل،
 كان زعيم عشيرة الظلال سابقاً.

الكفّ الأسود - هزّ أبيض كبير أكفّه سوداء كالفحم، كان
نائب عشيرة الظلال سابقاً.
نمس - هزّ بنّي تكثر فيه الندوب.
جلمود - هزّ فضّي مخطّط.
بسّ أدهم - هزّ أسود أملس مع بقعة بيضاء على طرف
ذيله.
أميرة - هزة مخطّطة عسلية اللون ذات صدر أبيض
وأكفّ بيضاء - بسبوسة أليفة.
بسبوس الغمام - ابن أميرة البكر، وهو هزّ أبيض ذو فراء
طويل.

رموز

الخارطة



غابات نضحية



مستنقعات



مستنقعات



مستنقعات



مستنقعات



مستنقعات



تشافور

غابة تشافور

غابات واينهارت

طريق ويندوفر

موقع إعادة التشجير في
نورت اليندوفر

نهر تشيل

أساس الشيطان [قطع
حجارة مهجورة]

دريد

دريد

مستنقعات ويندوفر

مزرعة ويندوفر

مخيم مزرعة
مورغان

مزرعة
مورغان

طريق مورغان

البحر من وجهة نظر نوري السائق



الشمال

عشيرة النجوم

عشيرة الرياح

عشيرة الخلال

عشيرة النهر

عشيرة الرد

العشائر

رموز

مسافة ذوي الساقين

غابة الصنوبر

صدور الأفاعي

الحجارة العظيمة

مخيم عشيرة الرد

شجرة اليوم

درب الرد

مخيم عشيرة الخلال

منطقة الجيف

منطقة الأشجار الخفيفة

البحر

المخيم المشتملة

الشلالات

الأشجار الأربع

مخيم عشيرة الرياح

مرزقة برد

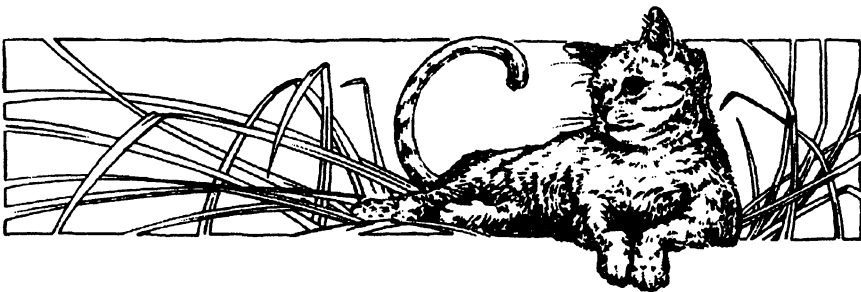
الأحجار العالية

التيه من وجهة نظر الدومينو

فجأة، اهتز النفق مع مرور وحش فوقه. فأجفل
المحاربان المتوتران أساساً، لكنّ قطط عشيرة الرياح لم
تحرك ساكناً، بل اكتفت بالالتصاق ببعضها بأعينها شبه
المغمضة، غافلة تماماً عما يجري حولها.

عندما تلاشى الصوت، أخذ قلب النار نفساً عميقاً،
وخطا خطوة عند الزاوية، ثم وقف في الضوء الخافت.
التفت إليه هرّ رمادي من عشيرة الرياح، واقتعر فرائه
وهو يموء منبهاً بقية قطط العشيرة. بحركة واحدة، اصطفت
محاربو عشيرة الرياح في النفق أمام الإناث والمسنين،
وقوسوا ظهورهم وهم يهسّون بشراسة.

ارتعد قلب النار خوفاً وهو يرى مخالبتهم وأنيابهم
الحادة تلمع في الظلام. كانت تلك القطط التي تتصوّر
جوعاً تتأهب للهجوم.



مقدمة



تصاعدت ألسنة اللهب البرتقالية في الهواء البارد وأطلقت شراراتها في سماء الليل. تراقص ضوء النار فوق مساحة مقفرة من الأرض المكسوة بالعشب، وأظهر خيالات داكنة لذوي الساقين المحتشدين هناك. ظهر ضوءان أبيضان من بعيد إنذاراً باقتراب أحد الوحوش. اندفع وهو يهدر على درب الرعد، وملاً الهواء بالأبخرة الحادة. عند أطراف الأرض المقفرة، تحرك هزّ ولمعت عيناه في الظلال. انتفضت أذناه ثم انخفضتا على أنفه. تبعته قطط أخرى على التوالي فوق العشب القذر. خفضت أذيالها، وراحت تشتت الهواء العابق بالروائح الحادة مكورة شفاهها.

هسّ أحد الهررة: «ماذا لو رأنا ذوو الساقين؟». أجاب هزّ ضخّم، وقد انعكس ضوء النار على عينيه العنبريتين المستديرتين: «لن يرونا، فبصرهم ضعيف ليلاً». تقدّم إلى الأمام، وأضاءت النار الفراء الأبيض والأسود الذي يكسو كتفيه القويتين. رفع ذيله الطويل عالياً في رسالة تشجيع إلى عشيرته.

غير أن القطط الأخرى خفضت أجسادها فوق العشب وهي ترتجف. فهذا المكان غريب، وأصوات الوحوش المندفعة كالرياح آذت

شعيرات آذانها الحساسة، فيما لسعت الرائحة الحادة أنوفها.

هزّت هزّة حضانة رمادية ذيلها بقلق وقالت: «لماذا أتينا إلى هنا أيها النجم المذنب؟».

التفت الهزّ الأبيض والأسود إليها وأجاب: «لقد طردنا من كلّ مكان حاولنا الاستقرار فيه يا سحابة الرماد. ربّما استطعنا إيجاد بعض السلام هنا».

ردّدت سحابة الرماد غير مصدّقة: «السلام! هنا!». وجذبت صغيرها نحوها وحمته تحت بطنها قبل أن تضيف: «مع هذه النيران وتلك الوحوش! لن يعرف صغاري الأمان!».

ماء صوت آخر: «لكنّا لم نعرف الأمان في أرضنا». اقترب هزّ أسود وهو يعرج بشدّة على كفّه الملتوي. نظر إلى النجم المذنب وقال بحدّة: «لم نستطع حمايتهم من عشيرة الظلال؛ حتّى داخل مخيمنا!». ارتفع مواء مضطرب من بعض القطط وهي تتذكّر المعركة العنيفة التي انتهت بطردهم من أرضهم في المرتفعات، عند أطراف الغابة. ماء مبتدئ شابّ بصوت خائف: «ربّما ما زال النجم نمرود ومحاربوه يطاردوننا!».

جذبت الصرخة انتباه ذوي الساقين المتحلّقين حول النار، فوقف أحدهم وحدّق إلى الظلال. صمتت القطط فوراً وانخفضت، وحتّى النجم المذنب خفض ذيله. صاح ذو الساقين في الظلام، ورمى شيئاً نحو القطط، فطار فوق رؤوسها وتحطّم إلى قطع صغيرة حادة على درب الرعد في الخلف.

أجفلت سحابة الرماد عندما جرحت شظية كتفها، لكنّها ظلّت صامّة وكوّرت جسدها حول صغيرها المذعور.

هسّ النجم المذنب: «لا ترفعي رأسك».

بصق ذو الساقين على الأرض، ثم عاد وجلس في مكانه.

انتظرت القطط بضع لحظات قبل أن يقف النجم المذنب مجدداً.

وقفت سحابة الرماد هي الأخرى وتقلّص وجهها بسبب ألم كتفها،

وقالت: «أنا خائفة على سلامتنا هنا أيها النجم المذنب، كما أنني لا أشتّم رائحة طرائد، فماذا سنأكل؟».

مدّ النجم المذنب عنقه ولامس بخطمه رأس الهرة بلطف، ثم ماء

قائلاً: «أنا أعرف أنك جائعة، لكننا سنكون أكثر أماناً هنا ممّا كنا عليه

في أرضنا أو في حقول ذوي الساقين وغاباتهم. انظري إلى هذا المكان!

حتىّ عشيرة الظلال لن تجرؤ على اللحاق بنا إلى هنا. لا توجد رائحة

كلاب، كما أنّ ذوي الساقين الموجودين هنا بالكاد يستطيعون الوقوف».

التفت إلى الهزّ الأسود ذي الكفّ الملتوي وقال له آمراً: «أيها الكفّ

الأعرج، خذ النمر الوحيد وابحثا عن شيء نأكله. فحيث يعيش ذوو

الساقين تعيش الجرذان».

تذمّرت سحابة الرماد عندما انطلق الكفّ الأعرج مع هزّ مخطّط

بنّي أصغر حجماً وقالت: «جرذان! هذا ليس أفضل من طعام الغربان!».

فهمس هزّ بنّي إلى جانبها قائلاً: «هس! لحم الجرذان أفضل من

الموت جوعاً!».

عبست الهرة وخفضت رأسها لتلحق بصغيرها خلف أذنيه.

تابع الهزّ البنيّ بنبرة أكثر لطفاً: «علينا العثور على مكان جديد نستقرّ

فيه يا سحابة الرماد. فزهرة الصباح تحتاج إلى الراحة والطعام، وذلك

لأنّ صغارها سيولدون قريباً، وعليها أن تكون قوية».

في تلك اللحظة، خرج الكفّ الأعرج والنمر الوحيد من الظلال

بجسديهما الرشيقين.

قال الأول: «أنت محق أيها النجم المذنب، فرائحة الجردان تملأ الهواء، وأعتقد أنني وجدت مكاناً ناوي إليه». جمع النجم المذنب بقية قطط عشيرته بهزة من ذيله وأمره قائلاً: «قدنا إليه».

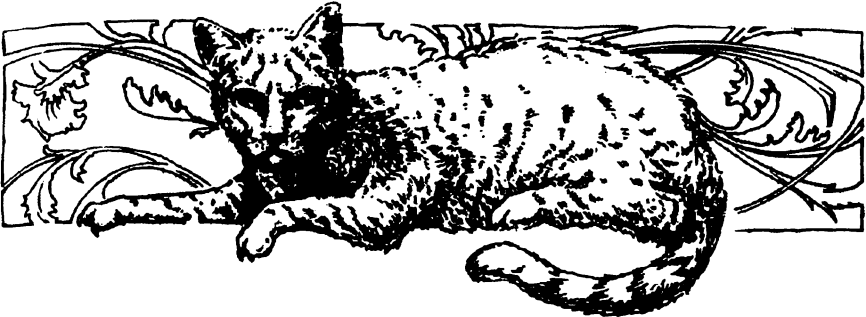
تقدمت القطط بحذر خلف الكف الأعرج في الأرض المقفرة. قادها نحو درب الرعد الذي يمتد إلى الأعلى، وتمايلت ظلالها التي ولدها ضوء النار فوق أرضه الصلبة. مرّ وحش هادر اهتزت الأرض من سرعته، لكن حتى أصغر القطط شعر بالحاجة إلى الصمت وارتجف خوفاً من دون أن يبكي.

توقف الكف الأعرج بجانب حفرة مستديرة على ارتفاع هزين، وماء قائلاً: «هنا». كان ثمة نفق معتم ينحدر في الأرض، ويجري فيه جدول من الماء.

أضاف: «الماء عذب، ويمكننا أن نشرب منه». تدمرت سحابة الرماد: «ستبقى أكفنا مبتلة ليل نهار!». فقال لها الهز الأسود: «لقد دخلت ووجدت مكاناً بعيداً عن الماء. سنكون بأمان من ذوي الساقين والوحوش على الأقل».

تقدم النجم المذنب ورفع رأسه ثم أعلن قائلاً: «لقد تنقلت عشيرة الرياح طويلاً، ومضى شهر تقريباً منذ أن طردتنا عشيرة الظلال من أرضنا. أصبح الجوّ أبرد، وفصل تعري الأشجار سيحل قريباً. لذلك، ليس لدينا خيار سوى البقاء هنا».

زمت سحابة الرماد عينيها، ولكنها لم تقل شيئاً، بل لحقت بقطط عشيرتها بصمت وهم يدخلون النفق المظلم واحداً تلو الآخر.



الفصل 1



ارتعش قلب النار برداً. ففراؤه ناري اللون ما زال خفيفاً مثل الورق الأخضر، ويحتاج إلى بضعة أشهر قبل أن يصبح كثيفاً بما فيه الكفاية ليقيه برداً كهذا. حَزَّ كَفِّهِ الأماميين على الأرض الصلبة. كان الظلام يتبدد أخيراً مع انبلاج الفجر ببطء. لكن، على الرغم من برودة أطرافه، لم يستطع أن يخفي إحساسه بالفخر. فبعد أشهر التدريب الطويلة أصبح محارباً أخيراً.

أعاد في ذهنه أحداث انتصار يوم أمس في مخيم عشيرة الظلال. تراءت له عينا النجم نمرود وهما تلمعان حقداً مع انسحاب زعيم عشيرة الظلال. أطلق التهديدات قبل أن يفز هارباً خلف رفاقه الخونة. أمّا من تبقى من قطط عشيرة الظلال فعبّروا عن امتنانهم العميق للمساعدة التي قدّمها عشيرة الرعد في تخليصهم من زعيمهم الشرير، ولفترة السلام التي منحتهم إياها حتّى ينهضوا مجدداً. غير أنّ النجم نمرود لم يحدث فوضى في عشيرته وحسب، بل عمد أيضاً إلى إخراج عشيرة الرياح من مخيمها وأراضيها. لقد كان ظلاً ثقيلاً على الغابة، حتّى قبل أن يتخلّى قلب النار عن حياته كبسبوس أليف وينضمّ إلى عشيرة الرعد. بيد أنّ ظلاً آخر كان يقلق راحة قلب النار، ألا وهو النمر الشرس،

نائب عشيرة الرعد. ارتعش مجدداً وهو يفكر بالمحارب العظيم الذي أُرهب تلميذه بسّ أدهم. في النهاية، قام قلب النار وصديقه المقرّب النمر الرمادي بمساعدة المبتدئ الخائف على الهرب إلى أراضي ذوي الساقين خلف المرتفعات. بعد ذلك، قال قلب النار للعشيرة إنّ بسّ أدهم قُتل على يد قطط عشيرة الظلال.

إن كان ما قاله بسّ أدهم عن النمر الشرس صحيحاً، فمن الأفضل أن يعتقد نائب العشيرة أنّ تلميذه قد مات، وذلك لأنّه يعرف سرّاً يودّ النمر الشرس إبقاءه طي الكتمان بأيّ ثمن. فقد أخبره بسّ أدهم أنّ المحارب المخطّط القوي أقدم على قتل ذيل الأرجوان، نائب عشيرة الرعد السابق، أملاً في أن يصبح النائب الجديد... وكان له ذلك فعلاً. هزّ قلب النار رأسه ليطرد الأفكار السوداء، وعاد يحدّق إلى النمر الرمادي الجالس إلى جانبه. كان هذا الأخير قد نفش فراءه الكثيف اتّقاء للبرد. وعرف قلب النار أنّ صديقه ينتظر أولى أشعة الشمس بشوق مثله، غير أنّه لم يعتبر عن ذلك بصوت عالٍ. فعادات العشيرة فرضت عليهما السهر بصمت هذه الليلة. في هذه الليلة، يحرس المحارب الجديد العشيرة ويتفكّر في اسمه ومنصبه الجديدين. لكن حتّى الليلة الفائتة، كان قلب النار معروفاً باسمه كمبتدئ، بسّ النار.

كان الذيل الأبرّ أول من استيقظ. رأى قلب النار الهزّ المسنّ وهو يتنقّل في الظلال في وكر المسنّين. التفت إلى وكر المحاربين في الجهة الأخرى من الفسحة، فميّز من بين الأغصان التي تحيط بالوكر كتفي النمر الشرس العريضتين وهو نائم.

عند أسفل الصخرة العالية، تحرّكت نباتات الأشنة التي تغطّي مدخل وكر نجمة الصباح، ورأى زعيمة عشيرته وهي تخرج منه. توقّفت

ورفعت رأسها لاشتمام الهواء، ثم خرجت بصمت من ظل الصخرة العالية، وتوهّج فراؤها الطويل بلونه الرمادي المائل إلى الزرقة في ضوء الفجر. فكّر أنّ عليه تحذيرها من النمر الشرس. كانت نجمة الصباح قد حزنت على وفاة ذيل الأرجوان مع بقية أعضاء العشيرة، ظناً منها أنّه قُتل في المعركة على يد قلب السنديان، نائب عشيرة النهر. وكان قلب النار قد تردّد سابقاً، لأنّه يعرف مدى أهميّة النمر الشرس بالنسبة إليها. غير أنّ الخطر كان عظيماً، وعلى نجمة الصباح أن تعرف أنّ عشيرتها تؤوي قاتلاً بدم بارد.

خرج النمر الشرس من وكر المحاربين، وانضمّ إلى نجمة الصباح عند طرف الفسحة. تتمم بشيء لها وهو يهزّ ذيله بإلحاح. كبت قلب النار مواء التحيّة التلقائي. كانت الشمس قد بدأت تضيء السماء، لكنّه لم يجرؤ على خرق صمته قبل أن يتأكّد أنّ الشمس ارتفعت فوق الأفق. شعر أنّ الكلام محتبس في صدره مثل طائر سجين، وقرّر التحدّث مع نجمة الصباح بأسرع وقت ممكن. غير أنّه اكتفى في تلك اللحظة بهزّ رأسه باحترام عندما مرّ الهزان من أمامه. بجانبه، لامسه النمر الرمادي بخطمه وأشار بأنفه إلى الأعلى. كان الوهج البرتقالي يظهر للتوّ في الأفق.

«ألستما أنتما الاثنان سعيدين بطلوع الفجر؟». فوجئ قلب النار عندما سمع مواء الرعب الأبيض العميق، لأنّه لم يلاحظ المحارب الأبيض وهو يقترب. فهزّ قلب النار والنمر الرمادي رأسيهما معاً. تابع بصوت لطيف: «لا بأس، يمكنكما الكلام الآن، فقد انتهت فترة الصمت». كان المحارب قد قاتل أمس جنباً إلى جنب مع قلب النار والنمر الرمادي في المعركة التي خاضوها ضدّ عشيرة الظلال، وبدا في

عينيه احترام جديد وهو ينظر إليهما.

ماء قلب النار بامتنان: «شكراً لك أيها الرعب الأبيض». ثم نهض ومدد قوائمه المتصلبة واحدة تلو الأخرى.

نهض النمر الرمادي هو الآخر، وماء وهو ينفض البرد عن فرائه: «برررر! ظننت أن الشمس لن تشرق أبداً!».

ماء صوت بنبرة حقودة من خارج وكر المبتدئين: «المحاربان العظيمان يتكلمان!».

أتت بسة الرمال نافشة فراءها البرتقالي الفاتح بعدائية. جلس بس أغبر إلى جانبها بفرائه المخطّط الداكن وبدا وكأنه ظلّ بسة الرمال. نفش صدره بتكبر وقال ساخراً: «يفاجئني أن يشعر هذان البطلان بالبرد!». فخرخرت صديقتة ضاحكة.

ألقي عليهما الرعب الأبيض نظرة جادة، ثم أمر قلب النار والنمر الرمادي قائلاً: «اذهبا لتناول شيء، ثم خذا قسطاً من الراحة». بعد ذلك، استدار المحارب وتوجّه إلى وكر المبتدئين، ثم ماء قائلاً: «وأنتما اتبعاني، حان وقت التدريب».

هسّ النمر الرمادي في أذن قلب النار وهما ذاهبان إلى زاوية تركزت فيها بضع قطع من صيد الليلة الماضية: «أتمنى أن يطلب منهما مطاردة السناجب الزرقاء طوال اليوم!».

ماء قلب النار مُربكاً: «لكن، لا توجد سناجب زرقاء».

لمعت عينا النمر الرمادي العنبريتان وقال: «أعرف!».

أشار قلب النار بلطف: «لا يمكنك أن تلومهما، فقد بدأ تدريبهما قبلنا. ولو قاتلا في المعركة أمس، لأصبحا محاربين أيضاً على الأرجح». هزّ النمر الرمادي كتفيه وقال: «أعتقد ذلك». عندما وصلا إلى كومة

الصيد، هتف قائلاً: «انظر! ثمة فأر لكلّ منا وطائر صغنج نتقاسمه!». حمل الصديقان طعامهما ونظرا إلى بعضهما بعضاً. فجأة، لمعت عينا النمر الرمادي سروراً وماء قائلاً: «أفترض أنّه علينا أخذ طعامنا إلى وكر المحاربين الآن».

لحق قلب النار بصديقه إلى بقعة القراص حيث يتشارك الرعب الأبيض والنمر الشرس وبقية المحاربين طعامهم، وخرخر قائلاً: «أظنّ ذلك».

قال النمر الرمادي وهو يتلع اللقمة الأخيرة: «والآن، أظنّ أنني أستطيع النوم شهراً كاملاً، ماذا عنك؟». وافقه قلب النار قائلاً: «وأنا أيضاً».

نهض الصديقان وتوجّها إلى وكر المحاربين. أقحم قلب النار رأسه بين الأغصان المنخفضة، ورأى الفأرة السمراء والنمر الذئبال نائمين في الجهة الأخرى من الوكر.

شقّ طريقه إلى الداخل، وعثر على بقعة من الطحالب في أطراف الوكر، عرف من رائحتها أنّها لا تنتمي إلى أحد من المحاربين. أمّا النمر الرمادي فاستقرّ إلى جانبه.

أصغى قلب النار إلى أنفاس صديقه الثابتة وهي تسترخي لتتحول إلى شخير طويل مكتوم. أحسّ بالإرهاك هو الآخر، ولكنّه كان يرغب كثيراً في التحدّث مع نجمة الصباح. أسند رأسه إلى الأرض، واستطاع من مكانه رؤية مدخل المخيم. حدّق إليه بانتظار عودة زعيمته، لكنّ النوم غلبه تدريجياً، فاستسلم له.

سمع صوتاً حوله، مثل صوت الرياح وهي تعصف بالأشجار الباسقة. لسعت رائحة درب الرعد الحادة أنفه، مصحوبة برائحة جديدة

أكثر حدة وخطراً. النار! تصاعدت ألسنة النار إلى السماء السوداء، وتطايرت منها الشرارات في سماء الليل الخالية من النجوم. فوجئ قلب النار وهو يرى قطعاً تنتقل أمام النار. لماذا لا تهرب؟

توقّف أحدها ونظر مباشرة إلى قلب النار. لمعت عينا الهزّ السوداوان في الظلام، ورفع ذيله الطويل عالياً وكأنّه يسلم عليه. ارتجف قلب النار وهو يتذكّر الكلمات التي قالتها الورقة الرقطاء، مداوية عشيرة الرعد السابقة، قبل موتها: «وحدها النار ستنقذ العشيرة!». هل يمكن أن تكون لذلك علاقة بالقطط الغريبة التي لم تخش النار؟ «قلب النار، استيقظ!».

رفع قلب النار رأسه مجفلاً عندما سمع صوت النمر الشرس المزمجر.

«كنت تموء في نومك!».

جلس قلب النار وهزّ رأسه ليبعد عنه أثر الحلم، ثمّ قال: «أ... أجل أيّها النمر الشرس!». أحسّ بالذعر، وتساءل عمّا إذا كان قد كزّر كلام الورقة الرقطاء بصوت عالٍ. كانت قد راودته أحلام كهذه من قبل، أحلام حقيقية استطاع أن يتذوّق طعمها تقريباً، ثمّ تحقّقت. وبالتأكيد، لا يريد أن يشتهب النمر الشرس بأنّه يملك قوى لا تمنحها عشيرة النجوم عادة سوى للهرة المداوية.

تسلّل ضوء القمر عبر السياج النباتي المحيط بالوكر، فأدرك أنّه نام طوال اليوم.

قال النمر الشرس: «ستنضمّان أنت والنمر الرمادي إلى دورية المساء، أسرعاً!». ثمّ استدار الهزّ المخطّط وخرج من الوكر. انتظر قلب النار إلى أن استرخى فراء كتفيه. من الواضح أنّ النمر

الشرس لم يشتهه شيء غير اعتيادي. لكن مع أن سرّه ما زال بأمان، إلا أنه مصمّم على كشف حقيقة الدور الإجرامي الذي أدّاه النمر الشرس في مقتل ذيل الأرجوان.

لحق قلب النار شفتيه. كان النمر الرمادي ممدّداً إلى جانبه ينظّف فراءه، فقد انتهى للتوّ من تقاسم وجبة في فسحة المخيم. غابت الشمس، واستطاع رؤية القمر المكتمل تقريباً وهو يتوهّج في سماء صافية وباردة. كانت الأيام القليلة الماضية حافلة بالعمل. إذ يبدو أنه كلّما جلسا لأخذ استراحة، أرسلهما النمر الشرس في دورية أو مهمّة صيد. بقي قلب النار يقظاً، يبحث عن فرصة للتحدّث مع نجمة الصباح على انفراد. لكن، إن لم يكن في مهمّة من مهام النمر الشرس، فهو يجد زعيمة العشيرة دائماً برفقة نائبها.

بدأ ينظّف كفّه ويجول بنظره في أرجاء المخيم بحثاً عن نجمة الصباح.

ماء النمر الرمادي بفمه المليء بالفراء: «عمّ تبحث؟». أجابه وهو يخفض كفّه: «عن نجمة الصباح». «لماذا؟». وتوقّف عن لعق فرائه ونظر إلى صديقه. «أنت تبحث عنها منذ ليلة الحراسة، ما الذي تخطّط له؟». «عليّ إخبارها عن بسّ أدهم وتحذيرها من النمر الشرس». فقال المحارب الرمادي بذهول: «لكنك وعدت بسّ أدهم أن تخبرهم أنه مات!». «وعدته بإخبار النمر الشرس فقط. أمّا نجمة الصباح، فينبغي أن

تعرف القصة كاملة. عليها أن تدرك ما يمكن لنائبها أن يفعل».

خفض النمر الرمادي صوته وهسّ بالحاح: «لكنّا لا نملك دليلاً على أنّ النمر الشرس هو الذي قتل ذيل الأرجوان سوى رواية بسّ أدهم».

«ألا تصدّقه؟». أحسّ قلب النار بالصدمة من شكوك صديقه.

«اسمع، إن لم يكن النمر الشرس قد قتل قلب السنديان انتقاماً لمقتل ذيل الأرجوان، فهذا يعني أنّ ذيل الأرجوان هو الذي قتل قلب السنديان. وأنا لا أصدّق أنّ ذيل الأرجوان يقدم على قتل نائب عشيرة آخر عمداً خلال معركة، فهذا يخالف قانون المحاربين. نحن نحارب لإثبات قوّتنا والدفاع عن أرضنا وليس ليقتل بعضنا بعضاً».

اعترض قلب النار قائلاً: «لكنني لا أحاول اتّهام ذيل الأرجوان بشيء، بل النمر الشرس هو المشكلة». كان ذيل الأرجوان نائب عشيرة الرعد قبل النمر الشرس. ومع أنّ قلب النار لم يقابل ذيل الأرجوان قطّ، إلّا أنّه يعرف مدى الاحترام الذي تكّنه له العشيرة.

لم ينظر النمر الرمادي مباشرة إلى عيني صديقه وهو يضيف: «ما تقوله ينعكس سلباً على شرف ذيل الأرجوان. وما من هزّ آخر يواجه مشاكل مع النمر الشرس، باستثناء بسّ أدهم الذي كان يخشاه».

سرت رعشة انزعاج في جسد قلب النار وماء باستياء: «إذاً، أنت تظنّ أنّ بسّ أدهم قد اختلق القصة لأنّه لم ينسجم مع مدرّبه؟».

تمتم النمر الرمادي: «كلّا، بل أظنّ أنّه علينا أن نحترس وحسب». نظر قلب النار إلى عيني صديقه المشوبتين بالقلق وبدأ يتساءل. رأى أنّ وجهة نظر صديقه منطقية، فهما محاربان منذ بضعة أيام فقط، وليسافي وضع يسمح لهما بإطلاق الاتّهامات ضدّ أهمّ محارب في العشيرة.

ماء قلب النار أخيراً: «حسناً، يمكنك البقاء خارج الموضوع». أحسن النمر الرمادي بشيء من الندم، لكنه هزّ رأسه وعاد يلحق فراءه. لم يوافق قلب النار على أن بسّ أدهم هو الوحيد الذي يواجه مشاكل مع النمر الشرس، فقد عرف بغريزته أنه لا ينبغي الوثوق بنائب العشيرة، وعليه أن يطلع نجمة الصباح على شكوكه حفاظاً على سلامتها وسلامة عشيرة الرعد.

لمح فراء رمادياً في الجهة الأخرى من الفسحة، فعرف أن نجمة الصباح خرجت من وكرها وكانت بمفردها. هبّ واقفاً، لكنّ زعيمة العشيرة قفزت فوراً إلى الصخرة العالية ونادت بقيّة القطط. فهزّ ذيله بنفاد صبر.

انتفضت أذنا النمر الرمادي بحماسة وهو يسمع نداء نجمة الصباح، فماء قائلاً: «أهو احتفال تسمية؟ لا بدّ أن النمر الذئال سيعيّن مدرباً للمرّة الأولى، فهو يلمح إلى ذلك منذ مدّة». وانطلق للانضمام إلى القطط المجتمعمة عند أطراف الفسحة، ولحق به قلب النار وهو يشعر بالإحباط. خرج هزّ صغير أسود وأبيض إلى الفسحة، من دون أن تصدر خطواته المكتومة أيّ صوت على الأرض الصلبة. اقترب من الصخرة العالية وهو ينظر إلى الأرض بعينيه الشاحبتين، فتوقّع قلب النار تقريباً أن يراه يرتجف. كان ثمّة شيء في انحناء كتفي هذا الصغير جعله يبدو صغيراً وخجولاً ليبدأ تدريبيه. فكّر أن النمر الذئال لن يفرح به، وتذكّر الحقد الذي أبداه عندما وصل قلب النار إلى المخيم أوّل مرّة. فقد ضايقه المحارب كثيراً في يومه الأوّل في العشيرة، وسخر من أصوله كبسبوس أليف. ومنذ ذلك اليوم، لم يحبّه قلب النار مطلقاً.

ماءت نجمة الصباح وهي تحدّق إلى الهزّ الصغير: «من الآن

فصاعداً، وحتى يُمنح هذا المبتدئ اسم محارب، سيدعى بسّ رشيق». لم يجد أيّ تصميم في نظرات الصغير الأسود والأبيض وهو ينظر إلى زعيمته. فعوضاً عن ذلك، كان يحملق بعينه العنبريتين بقلق.

التفت قلب النار إلى النمر الذئال الذي اقترب من تلميذه الجديد. تكلمت نجمة الصباح مجدداً: «أيها النمر الذئال، كنت تلميذ النمر الأسود، وقد أحسن تدريبك حتى أصبحت محارباً شرساً ومخلصاً. أتمنى أن تنقل هذه الصفات إلى بسّ رشيق».

بحث قلب النار عن أيّ أثر للزدرء على وجه النمر الذئال وهو ينظر إلى بسّ رشيق، لكنّ عيني المحارب رقنا عندما نظر إلى تلميذه الجديد قبل أن يتلامس الهزان بأنفيهما بلطف. تمتم النمر الذئال مشجعاً: «لا تقلق، أنت تبلي حسناً». حدّث قلب النار نفسه بمرارة: أجل، صحيح، لمجرد كونه ابن العشيرة. بالتأكيد لم يستقبلني النمر الذئال هكذا. نظر حوله إلى بقية القطط، وأحسّ بشيء من الاستياء عندما بدأ الجميع يهتئون المبتدئ الجديد.

سأله النمر الرمادي هامساً: «ما خطبك؟ يوماً ما سيحين دورنا». هزّ قلب النار رأسه، وأحسّ بفرح مفاجئ لفكرة أن يكون له تلميذ، وسرعان ما تبدّد استياؤه. لقد أصبح الآن فرداً من العشيرة، وهذا هو المهم.

اكتمل القمر في الليلة التالية. صحيح أن قلب النار كان يتطلّع إلى حضور أول اجتماع له كمحارب، لكنّه لا يزال مصمّماً على إيجاد فرصة لإخبار نجمة الصباح بكلّ ما يعرفه عن النمر الشرس. فقد شعر أنّ هذا الأمر أشبه بصخرة تثقل كاهله.

سأله النمر الرمادي: «هل تعاني من يرقّة في أمعائك أو ما شابه؟

تعاير وجهك غريبة جداً!..

نظر قلب النار إلى صديقه، وتمنى لو أنه يستطيع أن يفضي إليه بهوممه، ولكنه وعد بإبقائه خارج هذه المسألة. فماء مجيئاً: «أنا بخير. هيا بنا، سمعت نجمة الصباح تنادي».

ذهب الهزان إلى مجموعة القطط المحتشدة في الفسحة. خفضت نجمة الصباح رأسها عند وصولهما، ثم استدارت وقادت القطط إلى خارج المخيم.

توقف قلب النار، بينما مرّت القطط على الطريق المرتفع المؤدي إلى الغابة في الأعلى. قد تمنحه هذه الرحلة وقتاً كافياً للتحديث مع نجمة الصباح، وعليه استجماع أفكاره. ناداه النمر الرمادي: «ألن تأتي؟».

«بلى!». مدّ قلب النار قائمته الخلفيتين، وبدأ يقفز من صخرة إلى أخرى مبتعداً عن المخيم.

توقف في الأعلى لالتقاط أنفاسه، وراح جسده يعلو ويهبط. كانت الغابة تمتدّ أمامه. شعر تحت أكفّه بالأوراق الجافة التي سقطت حديثاً. ولمع الفراء الفضّي في السماء مثل ندى الصباح المتناثر على فراء أسود. فكّر قلب النار برحلته الأولى إلى الأشجار الأربع مع النمر الشرس وقلب الأسد، وأحسّ بشيء من الحزن عندما تذكر هذا الأخير؛ كان مدرّب النمر الرمادي ونائب عشيرة الرعد الذي خلف ذيل الأرجوان وسبق النمر الشرس. وقد عُرف ذاك المحارب الذهبي بطيبة قلبه. وعندما قُتل في إحدى المعارك، حلّ النمر الشرس مكانه نائباً. في زيارة قلب النار الأولى إلى الأشجار الأربع، قاد قلب الأسد المبتدئين في جولة عبر غابة الصنوبر، وصخور الشمس، وحدود عشيرة النهر. أمّا الليلة،

فستقودهم نجمة الصباح مباشرة وسط أراضي عشيرة الرعد. رآها قلب النار وهي تختفي بين الشجيرات، فأسرع خلف مجموعة الهررة. كانت نجمة الصباح تسير في المقدمة إلى جانب النمر الشرس. تجاهل قلب النار مواء النمر الرمادي المتفاجئ ولحق بزعيمة العشيرة. وعندما اقترب منها، ناداها وهو يلهث: «نجمة الصباح، هل يمكنني التحدث إليك؟».

نظرت إليه نجمة الصباح وهزّت رأسها موافقة، ثمّ مادت قائلة: «سر في المقدمة أيّها النمر الشرس». أبطأت من مشيتها، وتقدّم النمر الشرس المجموعة. تبعت بقية القطط الهزّ المخطّط من دون أن تطرح أيّ سؤال، بينما أسرع يقودها عبر الأدغال.

مشت نجمة الصباح وقلب النار ببطء، وبعد لحظات أصبحا بمفردهما.

قادهما الطريق من بين نباتات الخنشار الكثيفة إلى فسحة صغيرة، فقفزت نجمة الصباح على جذع شجرة مقطوعة وجلست عليه ثمّ لفّت ذيلها فوق كفيها الأماميين، وسألته قائلة: «ما الأمر يا قلب النار؟».

تردّد قلب النار وراودته الشكوك فجأة. كانت نجمة الصباح هي التي شجّعته على ترك حياته القديمة كبسبوس أليف والانضمام إلى العشيرة. ومنذ ذلك الحين وثقت به مرّات عدّة، في حين شكّت القطط الأخرى بولائه إلى عشيرة لم يولد فيها. فما الذي ستقوله عندما يخبرها أنّه كذب بشأن بسّ أدهم؟

أمرته نجمة الصباح بينما ابتعد وقع خطوات قطط عشيرة الرعد الأخرى: «تكلم».

أخذ قلب النار نفساً عميقاً وقال: «بسّ أدهم لم يمت». انتفض ذيل

نجمة الصباح من شدة المفاجأة، ولكنها أصغت بصمت إلى قلب النار وهو يتابع: «بل اصطحبناه أنا والنمر الرمادي إلى أراضي عشيرة الرياح. أعتقد... أعتقد أنه يعيش برفقة بربر». كان بربر هزاً شريداً، وليس هز غابة أو بسبوساً أليفاً. وهو يعيش في مزرعة لذوي الساقين تقع على الطريق المؤدي إلى الأحجار العالية، في مكان تبجّله كلّ قطط الغابة. شردت نظرات زعيمة عشيرة الرعد إلى أعماق الغابة خلف قلب النار. وحاول هذا الأخير أن يقرأ تعابيرها بقلق. أهى غاضبة؟ غير أنه لم يرَ أيّ غضب في عينيها الزرقاوين الكبيرتين.

بعد لحظات طويلة، تكلمت نجمة الصباح: «أنا مسرورة لأنّ بسّ أدهم ما زال حياً، وأتمنى أن يكون أكثر سعادة مع بربر ممّا كان عليه في الغابة».

فوجئ قلب النار بتقبّل زعيمته لرحيل بسّ أدهم بهذا الهدوء، وقال: «لكنّه ينتمي إلى عشيرة الرعد!».

«هذا لا يعني بالضرورة أنّ حياة العشيرة تناسبه. ففي النهاية، أنت لست هزّ عشيرة، ولكنك أصبحت محارباً شجاعاً. ربّما يجد بسّ أدهم طريقه الحقيقي في مكان آخر».

فاعترض قائلاً: «لكنّه لم يغادر العشيرة بملء إرادته، بل كان من المستحيل أن يبقى بيننا!».

«مستحيل!»، نظرت إليه وسألته: «ماذا تعني؟».

خفض بصره إلى الأرض.

«إذاً، وضّح».

جفّ حلق قلب النار وهو يجيب: «بسّ أدهم يعرف سرّاً عن النمر الشرس. و... وأعتقد أنّ النمر الشرس كان يخطّط لقتله أو لتحريض

قطط العشيرة ضده».

هزّت نجمة الصباح ذيلها من جانب إلى آخر، ولاحظ أنّ كتفها توترتا فجأة. «لماذا تظنّ ذلك؟ ما هو السرّ الذي يعرفه بسّ أدهم؟».

واجه ملامحها الجادة بجرأة، وأجاب بتردد: «إنه يعرف أنّ النمر الشرس قتل ذيل الأرجوان في معركتهما مع عشيرة النهر».

ضاقت عينا نجمة الصباح وقالت: «لا يمكن لمحارب أن يقتل محارباً آخر في عشيرته! ينبغي أن تعرف ذلك، فقد عشت معنا طويلاً». انكمش قلب النار لدى سماعه كلامها وخفض أذنيه. إنها المرّة الثانية التي تشير فيها إلى أصوله.

تابعت قائلة: «قال النمر الشرس إنّ نائب عشيرة النهر - قلب السنديان - هو الذي قتل ذيل الأرجوان. لا بدّ أن يكون بسّ أدهم مخطئاً. هل رأى النمر الشرس بأمّ عينه وهو يقتل ذيل الأرجوان؟». هزّ قلب النار ذيله بعصبية محرّكاً الأوراق على الأرض خلفه وأجاب: «قال إنه فعل».

«وهل تعرف أنّك بقولك هذا تشكّك في شرف ذيل الأرجوان؟ لأنّ هذا يعني أنّه المسؤول عن مقتل قلب السنديان؛ مع أنّه لا ينبغي لنائب أن يقتل نائباً آخر في المعركة ما دام قادراً على تجنّب ذلك. لقد كان ذيل الأرجوان أشرف محارب عرفته في حياتي». وبدا الألم في عيني الزعيمة، فأحسّ قلب النار بالاستياء لأنّه أساء إلى ذكرى نائبها السابق؛ وإن كان عن غير قصد.

تمتم قائلاً: «لا يمكنني تبرير أفعال ذيل الأرجوان. كلّ ما أعرفه هو أنّ بسّ أدهم يؤكّد أنّ النمر الشرس أقدم على قتل ذيل الأرجوان». تنهدت نجمة الصباح واسترخت كتفها، ثمّ مادت بلطف وتعاطف:

«كلّنا نعرف أنّ بسّ أدهم يتمتّع بخيال خصب. لقد تعرّض لإصابة بالغة في المعركة، وعاد قبل انتهاء القتال. هل يمكنك أن تتأكّد من أنّه لم يخلّق بنفسه الأحداث التي فاتته؟».

قبل أن يجيبها قلب النار، تردّد مواء في الغابة، وخرج النمر الشرس من بين الشجيرات. كانت الرية بادية في عينيه وهو ينظر إلى قلب النار قبل أن يقول لنجمة الصباح: «نحن ننتظرك عند الحدود».

هزّت الزعيمة رأسها وأجابت: «أخبرهم أنّا آتيان». خفض النائب رأسه، ثمّ استدار وأسرع عائداً من بين نباتات الخنشار.

راقبه قلب النار وهو يختفي، وتردّدت كلمات نجمة الصباح في رأسه. إنّها على حقّ. فسّ أدهم يتمتّع بخيال خصب بالفعل. وتذكّر أوّل اجتماع للعشائر حضره؛ عندما تحلّق المبتدئون من كلّ القبائل لسماع رواية بسّ أدهم لمعركته مع عشيرة النهر. يومذاك، لم يأت على ذكر النمر الشرس مطلقاً.

هبّ قلب النار واقفاً عندما نهضت نجمة الصباح، وسألها وقد خشي فجأة أن يكون قد تسبّب بضرر أكبر لصديقه: «هل ستعيدين بسّ أدهم إلى العشيرة؟».

حدّقت مطوّلاً إلى عينيه، ثمّ مادت بهدوء: «أعتقد أنّه أكثر سعادة هناك على الأرجح. حالياً، سترك العشيرة تعتقد أنّه ميت».

نظر إليها قلب النار باستغراب. فهل ستكذب نجمة الصباح على العشيرة؟!

تابعت هذه الأخيرة: «النمر الشرس محارب عظيم، ولكنّه شديد الفخر بنفسه. سيكون من السهل عليه أن يتقبّل موت تلميذه في معركة عوضاً عن هربه. كما أنّ هذا سيكون أفضل بالنسبة إلى بسّ أدهم أيضاً».

فسألها: «ألأنّ النمر الشرس قد يخرج للبحث عنه؟». هل يحتمل أن تكون نجمة الصباح قد صدّفته ولو قليلاً؟

هزّت نجمة الصباح رأسها نافية وقالت: «كلّا. قد يكون النمر الشرس طموحاً ولكنّه ليس قاتلاً. من الأفضل أن نتذكّر بسّ أدهم كبطل ميت عوضاً عن جبان حيّ».

نادى النمر الشرس مجدّداً، فقفزت نجمة الصباح عن الجذع واختفت بين نباتات الخنشار. عندئذٍ، هبط قلب النار عن الجذع في قفزة واحدة وأسرع خلف زعيمته.

لحق بها عند ضفّة جدول، وراقبها وهي تعبره وتقفز من صخرة إلى أخرى إلى أن أصبحت على الضفّة الثانية. تبعها بحذر والأفكار تعصف برأسه. كانت معرفته بظروف مقتل ذيل الأرجوان تثقل كاهله منذ أيام، لكنه بعد أن أخبر نجمة الصباح بذلك أخيراً، لم يتغيّر شيء. فمن الواضح أنّ زعيمة العشيرة لا تصدّق أنّ النمر الشرس قادر على القتل بدم بارد. والأسوأ من ذلك أنّ قلب النار نفسه بدأ يشكّ في صحّة كلام بسّ أدهم. قفز على الضفّة الأخرى وانطلق بين الشجيرات.

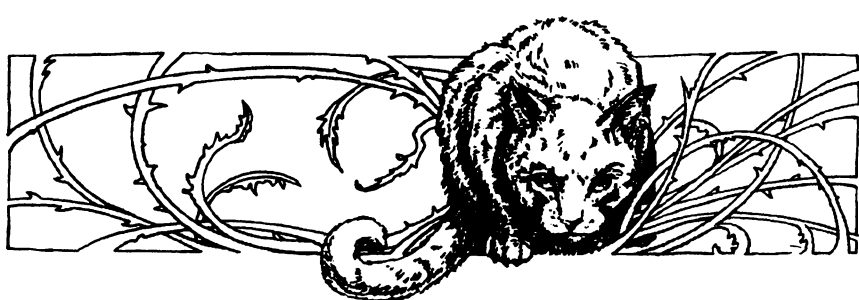
توقّف قلب النار خلف نجمة الصباح عندما لحقاً بقطط العشيرة. كانت المجموعة تنتظر عند أعلى المنحدر المؤدّي إلى الأشجار الأربع، وهي أشجار سنديان عملاقة تجتمع عندها قطط العشائر الأربع بسلام كلّما اكتمل القمر.

اقشعرّ جسد قلب النار عندما أحسّ أنّ النمر الشرس يراقبه. هل اشتبه المحارب الأسمر بما جرى بينه وبين زعيمة العشيرة؟ هزّ رأسه لتصفية ذهنه، وحاول أن يفكر مثلها. بالطبع سيهتّم النمر الشرس بما قاله قلب النار لنجمة الصباح. فهو نائب العشيرة، ومن الطبيعي أن يرغب في

معرفة كلّ ما يؤثّر عليها. نظر مجدّداً إلى النمر الشرس، فوجده يحدّق إلى أسفل المنحدر، وأذناه تهتزّان بحذر. حرّكت القطط أكفّها بترقب، فنظر النائب إلى كلّ منها، وجمعها بصمت بنظرته العنبرية الثابتة. رفعت نجمة الصباح أنفها واشتَمّت الهواء، فأحسّ قلب النار بتوتّر العضلات وانتصاب الفراء حوله. وأخيراً، أعطت إشارة بذيلها، فهبطت قطط عشيرة الرعد المنحدر نحو مكان الاجتماع.



telegram @
yasmeenbook



الفصل 2



توقفت نجمة الصباح عند أطراف الفسحة مع عشيرتها التي اصطفّت إلى جانبها. فالتفتت بعض قطط عشيرتي النهر والظلال وألقت عليهم التحية.

اقترب النمر الرمادي من قلب النار وسأله: «أين اختفيت؟». هزّ قلب النار رأسه وأجاب: «لا يهم». كان لا يزال مربكاً ومضطرباً بعد حديثه مع نجمة الصباح، ففرح لأنّ النمر الرمادي لم يضغط عليه، بل التفت لينظر إلى البقية.

قال: «انظر، تبدو قطط عشيرة الظلال أقوى ممّا كنت أظنّ. في النهاية، تركهم النجم نمرود جياً».

نظر قلب النار إلى حيث ينظر صديقه، ورأى محارباً رشيقاً من عشيرة الظلال. فوافقه قائلاً باستغراب: «أنت محقّ».

قال النمر الرمادي ساخراً: «أتذكر كيف قاتلنا عوضاً عنهم؟». قاطع الرعب الأبيض خرخرة قلب النار المرحّة وماء بجديّة: «لقد حاربت قطط عشيرة الظلال ببسالة مثلنا لطردهم النجم نمرود، وعلينا أن نقدر تصميمها على النهوض مجدداً». ثم ذهب إلى مجموعة من المحاربين المجتمعين تحت إحدى أشجار السنديان الضخمة.

نظر النمر الرمادي بندم إلى قلب النار قائلاً: «لم أكن أعرف أنه يسمعنا!».

بقي المحاربان الشابان جانباً، واستطاع قلب النار أن يتعرّف بسهولة على مبتدئي العشائر الأخرى، وذلك لأنّ فراءهم بدت ناعمة مثل فراء الصغار، ووجوههم مستديرة، وأكفّهم ممتلئة ومربكة.

اقترب محاربان من النمر الرمادي وقلب النار، ومشى خلفهما مبتدئ صغير بنّي اللون. عرف قلب النار الهزّ المخطّط الرمادي المنتمي إلى عشيرة الظلال، ولكنّه لم يعرف الهزّ الأسود الذي يسير معه. ماء الهزّ الرمادي: «مرحباً!».

أجاب قلب النار: «أهلاً كفّ تشتوش». ثمّ نظر إلى الهزّ البنيّ. ماء كفّ تشتوش قائلاً: «هذا سواد الليل من عشيرة النهر». هزّ النمر الرمادي وقلب النار رأسيهما بالتحية، وتقدّم المبتدئ إلى الأمام بحياء.

أضاف كفّ تشتوش: «وهذا تلميذي بسّ سنديان». نظر بسّ سنديان إلى قلب النار بعينين واسعتين طغى عليهما التوتر، ثمّ ماء قائلاً: «م... مرحباً يا قلب النار». فردّ قلب النار التحية بهزة من رأسه.

قال كفّ تشتوش: «سمعت أنّ نجمة الصباح جعلتكما محاربين بعد المعركة، تهانينا! لا بدّ أنكما أمضيتم ليلة حراسة باردة». وافق النمر الرمادي قائلاً: «فعلاً!».

سأل قلب النار: «من هذه؟». إذ لفت انتباهه هزة رشيقة ذات فراء بنيّ مرقّط وقفت تتحدّث مع النمر الشرس بجانب الصخرة العظيمة في وسط الفسحة.

أجاب محارب عشيرة النهر: «إنّها فراء الفهد، نائب عشيرتنا». توتر قلب النار وهو يفكر بنائب عشيرة النهر السابق، قلب السنديان، وكيف مات في المعركة مع عشيرة الرعد. غير أنّ صعود نجمة الصباح إلى قمة الصخرة لبدء الاجتماع أنقذه من قول أي شيء. انضم إليها هزان آخران، أحدهما أسود مسنّ دعا القطط إلى التجمّع عند أسفل الصخرة. عرف قلب النار الهزّ الأسود، وفوجئ رغماً عنه. هل أصبح فراء الليل زعيم عشيرة الظلال بعد فرار النجم نمرود؟

عندما استقرّت القطط أمام الصخرة العالية، تكلمت نجمة الصباح، وأعلنت بنبرة رسمية: «لقد أحضرت عشيرة الرعد إلى هذا الاجتماع هزّتها المداوية الجديدة جمرة». وتوقّفت عن الكلام بينما نظرت كلّ العيون إلى الهزّة العجوز ذات الفراء الكثيف والخطم المسطح. رآها قلب النار وهي تحرّك وركيها على الأرض الصلبة. كان قد أمضى خلال تدريبه شهراً كاملاً تقريباً في رعاية الهزّة السوداء إلى أن تماثلت للشفاء بعد مجيئها إلى مخيم عشيرة الرعد. وعرف الآن من انتفاض أذنها اليمنى أنّها لا تشعر بالارتياح تحت النظرات الفاحصة لقطط العشائر الأخرى. كانت جمرة في السابق الهزّة المداوية لعشيرة الظلال، ولم تكن القطط معتادة على ترك عشيرتها والانضمام إلى عشيرة أخرى. نظرت حولها ببطء إلى أن التقى نظرها نظر شرشور، الهزّ المداوي الجديد لعشيرة الظلال. بعد صمت قصير، تبادلّا هزّة رأس باحترام، ثم استقامتا أذنا جمرة واسترخى قلب النار.

تكلمت نجمة الصباح مجدّداً: «أحضرنا أيضاً محاربين تمّت تسميتهما حديثاً؛ قلب النار والنمر الرمادي».

رفع قلب النار رأسه عالياً، ولكن مع تحوّل كلّ الأنظار إليه، أحسّ

بالارتباك وانتفض ذيله بعصية.

تقدّم فراء الليل ومزّ من أمام نجمة الصباح، ثم وقف على أعلى جزء من الصخرة وأعلن قائلاً: «أنا فراء الليل، وقد تولّيت زعامة عشيرة الظلال. فبعدما خرق زعيمنا النجم نمرود قانون المحاربين، أُجبرنا على طرده».

همس النمر الرمادي في أذن قلب النار: «لم يأتِ على ذكر المساعدة التي قدّمناها».

تابع فراء الليل: «تحدّثت أرواح أجدادنا مع شرشور، واختارني زعيماً للعشيرة. صحيح أنني لم أذهب بعد إلى فم الأرض لكي أُنحّ تسع أرواح من عشيرة النجوم، ولكنني سأقوم بهذه الرحلة ليل غد، قبل أن يبدأ القمر بالنقصان. وبعدما أمضي الليلة عند حجر القمر، سيصبح اسمي نجم الليل».

صاحت هرة من الحشد: «وأين النجم نمرود الآن؟». كانت بياض الثلج؛ إحدى إناث الحضانة في عشيرة الرعد.

أجاب فراء الليل: «باعقادي، يمكننا الافتراض أنّه ترك الغابة مع بقية المحاربين المبعدين. فهو يعرف أنّ عودته تشكّل خطراً على حياته».

«آمل ذلك». سمع قلب النار بياض الثلج وهي تتمم بذلك للهرة الواقفة إلى جانبها، وكانت أنثى بنية ممتلئة.

تقدّم زعيم عشيرة النهر، النجم الأعوج وقال: «فلنأمل أن يكون النجم نمرود قد رحل عن الغابة إلى غير رجعة، وذلك لأنّ طمعه بالأرض هدّد سلامتنا جميعاً».

انتظر النجم الأعوج إلى أن هدأ مواء التأييد قبل أن يتابع: «عندما كان النجم نمرود زعيم عشيرة الظلال، سمحت له بالصيد في نهرنا.

ولكن بعد أن أصبح لعشيرة الظلال زعيم جديد، فإنني ألغي هذا الاتفاق.
الطرائد الموجودة في نهرنا تنتمي لعشيرة النهر وحسب».

ارتفع مواء النصر من ققط عشيرة النهر، ولكن قلب النار لاحظ
أن جسد فراء الليل اقشعرَ توتراً.

تكلم فراء الليل بصوت عالٍ: «ما زالت احتياجات عشيرة الظلال
كما كانت عليه في عهد النجم نمرود. لدينا أفواه عديدة نطعمها أيها
النجم الأعوج، وقد عقدت اتفاقك مع عشيرة الظلال بأكملها!».
هَبَ النجم الأعوج واقفاً، والتفت إلى فراء الليل، وأخفض أذنيه
وأطلق هسيساً فصمت كل الققط.

وقفت نجمة الصباح بسرعة بين الزعيمين، وماءت بصوت لطيف:
«لقد مُنيت عشيرة الظلال بخسائر عديدة مؤخراً. ومع انخفاض عدد
الأفواه، أما زلتم بحاجة إلى أسماك عشيرة النهر يا فراء الليل؟».
هسَّ النجم الأعوج مجدداً، لكن فراء الليل ظلّ يحدّق إليه من
دون أن يرف له جفن.

تكلمت نجمة الصباح مجدداً بنبرة أكثر قوة: «لقد تخلصتم للتو من
زعيمكم، ومن عدد من أقوى محاربيكم! كما أن النجم نمرود خالف
قانون المحاربين عندما أجبر النجم الأعوج على الموافقة على مشاركة
ثروات النهر معه».

ازدرد قلب النار لعابه بتوتر وهو يلاحظ أن فراء الليل يخرج
مخالبه، ولكن نجمة الصباح لم يرف لها جفن، ولمعت عيناها الزرقاوان
الباردتان في ضوء القمر وهي تدمدم قائلة: «تذكر أنك لم تُمنح بعد
أرواحك التسع من عشيرة النجوم، فهل أنت واثق أنك تستطيع فرض
هذه المطالب؟». توتر قلب النار وهو يشعر بتزايد عدائية الققط حوله.

كان الحشد بأكمله ينتظر جواب فراء الليل.

أشاح فراء الليل بنظره غاضباً، وحرك ذيله يميناً ويساراً من دون أن يقول شيئاً.

لقد فازت نجمة الصباح. لان صوتها وهي تموء قائلة: «جميعنا نعرف أن عشيرة الظلال عانت الكثير خلال الأشهر الماضية. وقد وافقت عشيرة الرعد على ترككم بسلام إلى أن تستعيدوا قواكم مجدداً». ثم حوّلت نظرها إلى النجم الأعوج مضيفة: «وأنا واثقة أن النجم الأعوج سيراعي وضعكم أيضاً».

زمّ النجم الأعوج عينيه، وهزّ رأسه قائلاً: «هذا فقط إن لم نشتم رائحة عشيرة الظلال في أرضنا».

استرخى قلب النار، واستوى فراؤه على كتفيه. الآن، وقد بات يعرف معنى القتال في معركة حقيقية، أعجب أكثر بشجاعة زعيمته في تحديّ هذين المحاربين الكبيرين. وصدر عن بقية القطط أيضاً مواء مكتوم تعبيراً عن ارتياحها وتأيدها؛ مع تبدّد التوتر الذي سيطر على الصخرة العظيمة.

قال فراء الليل: «لن تشتم رائحتنا أيها النجم الأعوج. فنجمة الصباح محقة، نحن لسنا بحاجة إلى أسماككم. ففي النهاية، لدينا المرتفعات لنصطاد فيها بعدما هجرتها عشيرة الرياح».

نظر النجم الأعوج إلى فراء الليل، ولمعت عيناه وهو يوافق قائلاً: «هذا صحيح. ستؤمن هذه الأرض المزيد من الطعام لنا جميعاً». رفعت نجمة الصباح رأسها بحدة وقالت: «كلّا! بل ينبغي لعشيرة الرياح أن تعود!».

نظر النجم الأعوج وفراء الليل إلى زعيمة عشيرة الرعد، وسألها

النجم الأعوج: «لماذا؟».

وقال فراء الليل: «إن تقاسمنا أراضي عشيرة الرياح، فسنحصل على المزيد من الطعام لصغارنا!».

أصرت نجمة الصباح على موقفها قائلة: «تحتاج الغابة إلى أربع عشائر. فتماماً مثلما نملك أربع أشجار وأربعة فصول، منحنا عشيرة النجوم أربع عشائر. لذلك، علينا العثور على عشيرة الرياح بأسرع ما يمكن وإعادتها إلى أرضها».

ارتفعت أصوات التأييد من عشيرة الرعد، لكن مواء النجم الأعوج الغاضب طغى عليها: «حجّتك ضعيفة يا نجمة الصباح. هل نحن بحاجة حقاً إلى أربعة فصول؟ ألا تفضلين الاستغناء عن فصل الثلوج وما يرافقه من برد وجوع؟».

نظرت نجمة الصباح بهدوء إلى المحاربين الواقفين إلى جانبها وقالت: «أعطينا عشيرة النجوم فصل الثلوج لكي تستعيد الأرض قواها وتستعد لفصل الزهر. لقد أعالتنا هذه الغابة والتلال لأجيال، ولا يحقّ لنا أن نعترض على قوانين عشيرة النجوم».

قالت فراء الفهد، نائب عشيرة النهر: «لماذا يتحتم علينا تحمّل الجوع من أجل عشيرة عاجزة عن الدفاع عن أرضها؟».

تطاول النمر الشرس بجسده، وعلا على بقية القطط المحيطة به، ثم قال بنبرة حادة: «نجمة الصباح محقة! ينبغي لعشيرة الرياح أن تعود!».

التفتت نجمة الصباح إلى زعيم عشيرة النهر وقالت: «اسمع أيّها النجم الأعوج، أراضي عشيرة النهر معروفة بغناها. لديكم النهر بكلّ ما فيه من أسماك، فما حاجتكم إلى المزيد من الطرائد؟». فأشاح النجم الأعوج بنظره ولزم الصمت. لاحظ قلب النار أنّ قطط عشيرة النهر تتمم

بتوتر في ما بينها، فتساءل عن السبب الذي جعل أجسادها تقشعر عند سماعها سؤال نجمة الصباح.

تابعت زعيمة عشيرة الرعد: «وأنت يا فراء الليل، النجم نمرود هو الذي أخرج عشيرة الرياح من أرضها». وصمتت الهرة ذات الكتفين العريضتين قليلاً قبل أن تتابع: «ولهذا السبب ساعدتكم عشيرة الرعد على طرده».

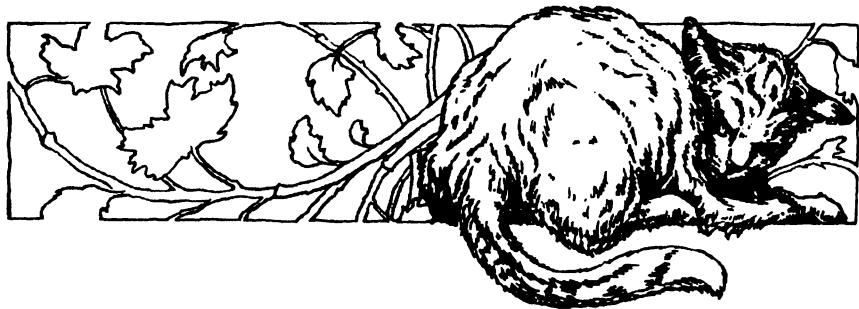
ضاق قلب عينا قلب النار، وعرف أن نجمة الصباح تذكر فراء الليل بلطف بالمعروف الذي يدين به لعشيرة الرعد.

أغمض زعيم عشيرة الظلال عينيه نصف إغماضة. وبعد صمت دام طويلاً، فتح عينيه وقال: «حسناً يا نجمة الصباح. سنسمح لعشيرة الرياح بالعودة». في تلك اللحظة، رأى قلب النار كيف أدار النجم الأعوج رأسه غاضباً، وبدت عيناه أشبه بشقيين أسودين.

هزت نجمة الصباح رأسها قائلة: «وافق اثنان منا أيها النجم الأعوج. علينا إيجاد عشيرة الرياح وإعادتها إلى أرضها. وحتى ذلك الحين، لا يسمح لأيّ عشيرة بالصيد في المرتفعات».

بدأ المجتمعون يتفرقون مع استعداد القطط للعودة إلى مخيماتهما. بقي قلب النار في مكانه يراقب الزعماء الواقفين على الصخرة العظيمة. تبادلت نجمة الصباح والنجم الأعوج السلام بالأنف قبل أن تهبط على الأرض. وعلى الصخرة، التفت النجم الأعوج إلى فراء الليل، والنظرة الصامتة التي تبادلها جعلت جسد قلب النار يقشعر خوفاً. هل يمكن ألا تكون نجمة الصباح قد حصلت فعلاً على تأييد فراء الليل؟ نظر قلب النار حوله بسرعة، وأدرك من الغضب الذي بدا في عيني النمر الشرس أن تلك النظرة لم تفت نائب عشيرة الرعد.

وللمرّة الأولى، شارك قلب النار نائب العشيرة قلقه، وهذا تبدّل لم يتوقّعه في أحلاف العشائر. فبعد المجازفة التي قامت بها عشيرة الرعد عندما ساعدت عشيرة الظلال على طرد النجم نمرود، كيف يتحالفون الآن مع عشيرة النهر؟



الفصل 3



قادت نجمة الصباح المجموعة في رحلة العودة السريعة إلى المخيم. وقد أيقظت الجلبة التي أحدثتها عودتهم القطط التي بقيت هناك. فمع دخول المجموعة عبر نفق القندول، بدأت الوجوه الناعسة تطلّ من أوكارها.

سألهم الذيل الأبتري: «ما الأخبار؟».

وسألت غصن الصفصاف: «هل حضرت عشيرة الظلال الاجتماع؟».

أجابت نجمة الصباح بجديّة: «أجل». ومزّت من أمام غصن الصفصاف، وقفزت على الصخرة العالية. لم تكن ثمة حاجة لندائها المعتاد لاجتماع العشيرة، لأنّ القطط اجتمعت أساساً تحت الصخرة، فقفز النمر الشرس ووقف إلى جانبها.

قالت الزعيمة: «كان التوتّر سيّد الموقف هذه الليلة، وأعتقد أنّه من

المحتمل نشوء حلف جديد بين النجم الأعوج وفراء الليل».

أقحم النمر الرمادي نفسه في المساحة الصغيرة إلى جانب قلب النار وسأله: «عمّ يتحدثون؟ ظننت أنّ فراء الليل وافق على اقتراحات نجمة الصباح».

«فراء الليل!». ارتفع صوت عوراء المبحوح من آخر الحشد.

فقال نجمۃ الصباح: «لقد تمّ تعيينه زعيماً جديداً لـعشيرة الظلال». سألت عوراء: «لكن ماذا عن اسمه؟ ألم تقبل به عشيرة النجوم بعد؟».

أجاب النمر الشرس: «إنّه يخطّط للذهاب إلى حجر القمر ليلة غد». تمتعت عوراء بصوت عالٍ سمعته كلّ القطط: «لكن، لا يحقّ لأيّ زعيم أن يتكلّم باسم عشيرته في اجتماع العشائر ما لم يحصل أولاً على تأييد عشيرة النجوم».

فأجابت نجمۃ الصباح وهي تهزّ رأسها للهرة العجوز: «لديه تأييد عشيرة الظلال يا عوراء، ولا يمكننا تجاهل ما قاله الليلة». تنهّدت عوراء باستياء، بينما رفعت نجمۃ الصباح رأسها متوجّهة إلى العشيرة بأكملها. «اقترحتُ في اجتماع العشائر أن نعرّ على عشيرة الرياح ونعيدها إلى أراضيها، غير أنّ النجم الأعوج وفراء الليل غير موافقين على عودتها». قال النمر الرمادي: «لكن، من المستبعد أن يتحالفا، أليس كذلك؟ فهما مختلفان تقريباً على حقوق الصيد في النهر».

التفت قلب النار إلى صديقه وقال: «ألم ترّ النظرة التي تبادلاها في نهاية الاجتماع؟ كلاهما متلهّفان لوضع أكفهما على أراضي عشيرة الرياح».

سألت بسّة الرمال التي كانت جالسة إلى جانب مدرّبها الرعب الأبيض: «لكن، لماذا؟».

فأجابها الرعب الأبيض: «أعتقد أنّ عشيرة الظلال ليست ضعيفة بقدر ما كنّا نظنّ. ويبدو أنّ طموحات فراء الليل تتجاوز توقّعات بقيّة الهررة».

قالت غصن الصفصاف: «لكن، لماذا تريد عشيرة النهر أن تصطاد

في أراضي عشيرة الرياح؟ فلطالما ملأت بطونها من أسماك نهرها الغني! والمرتفعات بعيدة ولا تستحق قطع كل تلك المسافة من أجل اصطياد بضعة أرانب عصفت بها الرياح!».

مات فراء الكستناء؛ الهرة التي كانت معروفة بجمالها، قائلة بصوتها المسنّ: «خلال اجتماع العشائر، دار حديث بين مسنّي عشيرة النهر حول ذوي الساقين الذين استولوا على جزء من نهرهم».

أضافت بياض الثلج: «هذا صحيح. إذ يقولون إنّ ذوي الساقين يعيشون منذ سنوات على ضفة النهر ويصطادون السمك. وقد اضطرت قطة عشيرة النهر إلى الاختباء بين الأدغال ومراقبتهم ببطون خاوية!». بدت نجمة الصباح مهمومة وقالت: «حالياً، علينا أن نحذر من فعل شيء يقرب أكثر بين عشيرتي الظلال والنهر. اذهبوا واستريحوا الآن، وسيتولّى البرق الخاطف وبسّ أغبر دورية الفجر».

أصدر ورق الشجر اليابس حفيفاً خشناً مع هبوب نسيم بارد على الأشجار، بينما ذهبت القطط إلى أوكارها وهي ما زالت تتمتم بين بعضها.

ليلة الثانية يحلم قلب النار. كان يقف في الظلام، وكان هدير درب الرعد ورائحته قريين جداً. أحسّ أنّ الوحوش التي تهدر ذهاباً وإياباً بأعينها المتوهجة تكاد تعمي بصره وتلقي به بعيداً. فجأة، سمع من خلال ضجيجها صرخة هرّ صغير. واخترقت الصرخة اليائسة هديرها. استيقظ قلب النار مجفلاً. ظنّ للحظة أنّ الصرخة هي التي أيقظته، ولكنه لم يسمع سوى شخير المحاربين النائمين إلى جانبه. سمع زمجرة آتية من وسط الوكر، وبدأت أنها صادرة عن النمر الشرس. لم يستطع أن يعاود النوم مجدداً، لذلك خرج من الوكر بهدوء.

كان الظلام دامساً في الخارج، وعرف من النجوم التي تتلألأ في سماء الليل أنّ الفجر ما زال بعيداً. كان عويل الهَرّ الصغير ما زال يتردّد في ذهنه، فذهب إلى الحضانة رافعاً أذنيه. سمع خطوات خلف سياج المخيم، فاشتَمّ الهواء وعرف رائحة النمر الأسود والنمر الذِيال اللذين يحرسان أراضي عشيرة الرعد.

ساعده هدوء المخيم النائم على الاسترخاء. حدّث نفسه قائلاً: كلّ القطط ترى كوابيس عن درب الرعد بلا شك. وعاد إلى الوكر وتكوّر في فراشه. خرخر النمر الرمادي قليلاً في نومه بينما كان قلب النار يستقرّ إلى جانبه ويغمض عينيه.

أيقظه النمر الرمادي الذي راح يدفعه بأنفه، فتمتم قلب النار: «دعني وشأني».

هسّ صديقه: «استيقظ!».

«لماذا؟ ليست لدينا دورية!».

«نجمة الصباح تريد رؤيتنا في وكرها حالاً».

وقف قلب النار وتبع الهَرّ الرمادي إلى خارج الوكر والنعاس لا يزال يثقل جفنيه. كانت الشمس قد بدأت تحمّر في الأفق، والجليد يعلو أغصان الأشجار المحيطة بالمخيم.

ذهب الهَرّان إلى وكر نجمة الصباح، وأعلنا عن وصولهما بمواء خافت.

أجاب النمر الشرس من خلف ستارة النبات: «ادخلا!». أحسّ قلب النار بشيء من الخوف وهو يتذكّر حديثه مع نجمة الصباح في طريقهم إلى الاجتماع. هل أخبرت النمر الشرس بالاتهامات التي وجهها إليه؟

دخل النمر الرمادي وكر نجمة الصباح، وتبعه قلب النار بتوتر.
كانت نجمة الصباح جالسة فوق فراشها، ورأسها مرفوع وعيناها
تلمعان، بينما وقف النمر الشرس في وسط الأرض الرملية الناعمة.
حاول قلب النار أن يقرأ تعابيرها، ولكنَّ عَيْنِي الهَزَّ المخطَّط القوي كانتا
باردتين وثابتتين كالعادة.

قالت الزعيمة فوراً: «سأוכל إليكما مهمة عاجلة أيُّها المحاربان».
ردَّ قلب النار: «مهمة!». وحلَّ الارتياح والحماسة محلَّ القلق.
«أريد منكما أن تبحثا عن عشيرة الرياح وتعيدها إلى أرضها».
زمجر النمر الشرس: «قبل أن تتحمَّسا كثيراً، عليكما أن تعرفا أنَّ
هذا الأمر قد يشتمل على خطورة كبيرة. فنحن لا نعرف إلى أين ذهبت
عشيرة الرياح. لذا، عليكما أن تتقَّيا ما بقي من آثارهم، وقد تضطرا
إلى دخول أراضٍ غريبة».

قالت نجمة الصباح: «لكن، سبق لكما أن دخلتما أراضِي عشيرة
الرياح عندما رافقتما نِي إلى حجر القمر. ستكون رائحتهم مألوفة لكما،
وكذلك الأمر بالنسبة إلى أراضِي ذوي الساقين خلف الهضاب».
سألها قلب النار: «وهل سنذهب بمفردنا؟».

فقال النمر الشرس: «نحن بحاجة إلى بقيَّة المحاربين هنا. ففصل
الثلوج سيحلُّ قريباً، وعلينا جمع ما يمكننا من الصيد، إذ تنتظرنا شهور
عديدة سيندر فيها الطعام».

هزَّت نجمة الصباح رأسها وقالت: «سيساعدكما النمر الشرس على
الاستعداد للرحلة». أحسَّ قلب النار بوخز في أكفِّه. ما زالت نجمة
الصباح مطمئنة تماماً لنائبها، وبات هو الهَزَّ الوحيد في عشيرة الرعد
الذي لا يثق بالنمر الشرس؟

تابعت نجمة الصباح: «عليكما أن ترحلا بأسرع ما يمكن، وأتمنى لكما التوفيق».

وعدها النمر الرمادي: «لا تقلقي، سنعثر عليهم».

أما قلب النار فأعاد أفكاره إلى الرحلة التي تنتظرهما وهز رأسه موافقاً.

تبعهما النمر الشرس إلى خارج الوكر، وسألهما: «هل تذكران الطريق المؤدية إلى أراضي عشيرة الرياح؟».

«آه، أجل أيها النمر الشرس، فقد كنّا هناك منذ...».

قاطع قلب النار صديقه وقال بسرعة: «منذ بضعة أشهر فقط».

وألقى نظرة تحذير إلى صديقه الذي كاد يبوح بأمر الرحلة التي قاما بها قبل بضع ليالٍ مع بسّ أدهم.

تردد النمر الشرس، فأمسك قلب النار أنفاسه. هل انتبه إلى خطأ النمر الرمادي؟

ماء النائب: «وهل تذكران رائحة عشيرة الرياح؟».

شكر قلب النار عشيرة النجوم بصمت.

هزّ المحاربان الشابان رأسيهما، وبدأ قلب النار يتخيل نفسه وهو يجري بين نبات القندول الشائك في التلال بحثاً عن العشيرة المفقودة.

قال النمر الشرس: «ستحتاجان إلى الأعشاب لمنحكما القوة وتخفيف الشهية. اطلباها من جمرة قبل أن تغادرا المخيم». وصمت قليلاً ثم أضاف: «ولا تنسيا أن فراء الليل يخطّط للذهاب إلى حجر القمر الليلة، لذا ابتعدا عن طريقه».

أجاب قلب النار: «حسناً أيها النمر الشرس».

وأكد له النمر الرمادي: «لن يعرف أبداً بوجودنا».

ماء النمر الشرس: «هذا ما أتوقعه. والآن، انطلقا!». ثم استدار وابتعد من دون أن يقول المزيد.

قال النمر الرمادي: «كان بإمكانه أن يتمنى لنا التوفيق».

فمازحه قلب النار وهما يتوجّهان إلى وكر جمرة: «إنه على الأرجح يعتقد أننا لا نحتاج إليه». في الوقت نفسه، لاحظ أن النمر الشرس يعاملهما بالاحترام الواجب لأيّ محارب، فهل يمكن ألا يكون خائناً كما اعتقد بسّ أدهم؟ كان الجو لا يزال بارداً على الرغم من الشمس التي بدأت تشرق، لكنهما لم يرتجفا من البرد، بل شعر قلب النار أن فراءه بدأ يزداد كثافة مع ازدياد النهار قصراً.

كان وكر جمرة يقع في آخر نفق محاط بنبات الخنشار. وفي زاوية ظليلة منه، توجد صخرة كبيرة مشقوقة عاشت فيها الورقة الرقطاء قبل جمرة. غاص قلب قلب النار وهو يتذكّر الهزة المداوية البنية اللطيفة التي قتلها أحد محاربي عشيرة الظلال. كم يفتقد إليها.

نادى النمر الرمادي: «جمرة! أتينا لأخذ أعشاب سفر!».

سمع الهزان مواء مبحوحاً من الظلّ في وسط الصخرة، وخرجت جمرة من الشقّ وسألتهما: «إلى أين تذهبان؟».

فقال قلب النار والفخر بادٍ في صوته: «سنذهب للعثور على عشيرة الرياح وإعادتها إلى أراضيها».

قالت جمرة: «هذه أوّل مهمّة لكما كمحاربين! تهانينا! سأحضر لكما الأعشاب التي تحتاجان إليها». وعادت بعد بضع دقائق حاملة كومة صغيرة من الأعشاب الجافة في فمها. وضعتها على الأرض وخرخرت قائلة: «استمتعا بها!».

مضغ المحاربان الأعشاب الكريهة باستسلام، وقال النمر الرمادي:

«ياه! لم يتغير طعمها». وهز قلب النار رأسه وقد تشنّج وجهه. كانت الورقة الرقطاء قد أعطته الأعشاب نفسها عندما رافقا نجمة الصباح إلى حجر القمر.

ابتلع النمر الرمادي آخر لقمة، ثم وكز قلب النار بأنفه قائلاً له: «هيا أيها الكسول! فلننطلق!». ثم قال لجمرة من خلف كتفه وهو يسرع مبتعداً: «إلى اللقاء».

ماء قلب النار وهو يلحق بصديقه: «انتظرنى». ودّعتهما جمرة قائلة: «مع السلامة! بالتوفيق أيها الشابان!». أخذ قلب النار يجري عبر النفق وهو يسمع حفيف أوراق الخنشار في نسيم الصباح كما لو أنها تهمس لهما: «بالتوفيق! رافقتكما السلامة!».



الفصل 4



اندفع المحاربان الشابان إلى خارج المخيم. وفي طريقهما، أوشكا على الاصطدام بالرعب الأبيض الذي كان يقود بسنة الرمال والبرق الخاطف إلى الغابة من أجل دورية الفجر.

اعتذر قلب النار وهو يلهث وتوقف، فحذا النمر الرمادي حذوه. خفض الرعب الأبيض رأسه وماء قائلاً: «سمعت أنكما ذاهبان في مهمة».

أجاب قلب النار: «أجل».

قال المحارب الأبيض بجديّة: «إذا، رافقتكما السلامة». قالت بسنة الرمال ساخرة: «إلى أين؟ هل تنويان اصطيد الفئران؟».

استدار البرق الخاطف، وكان هزاً مخطّطاً ورشيقاً، وهمس شيئاً في أذن بسنة الرمال. فتبدّلت ملامحها، وحلّ الفضول محلّ الاستياء في نظرات عينيها الخضراوين.

ابتعد أعضاء الدورية جانباً لإفساح الطريق لقلب النار والنمر الرمادي، فانطلق الهزان وصعدا سفح الوادي.

لم يتبادل الصديقان سوى بضع كلمات في طريقهما نحو الأشجار

الأربع، بل اذخرا أنفاسهما للرحلة الطويلة التي تنتظرهما. توقفا عند أعلى المنحدر، في الطرف الأقصى للفسحة التي تظلّلها أشجار السنديان. وكان جسماهما يعلوان وينخفضان بعد المجهود الذي بذلاه في الصعود.

تساءل النمر الرمادي وهو ينفش فراءه الكثيف اتقاء للهواء البارد الذي هبّ من المرتفعات: «هل المرتفعات عاصفة دوماً؟». فأجابه قلب النار وهو يغمض عينيه في وجه الرياح: «أعتقد أن السبب هو عدم وجود أشجار تخفّف من سرعة الهواء». كانت تلك أراضي عشيرة الرياح. اشتّم قلب النار الهواء، والتقط رائحة عرف بكلّ حواسه أنّها دخيلة على المكان، فتساءل بشيء من القلق: «هل تشتم رائحة محاربي عشيرة النهر؟».

رفع النمر الرمادي أنفه وقال: «كلّا، هل تعتقد أنّهم هنا؟». «هذا ممكن، فربّما كانوا يريدون الاستفادة قدر الإمكان من غياب عشيرة الرياح، لا سيّما وقد عرفوا أنّها ستعود قريباً». همس النمر الرمادي: «في الواقع، أنا لا أشتّم شيئاً الآن». مشى الصديقان بحذر على طريق عشبي مظلل بنبات الخلنج. فجأة، توقّف قلب النار عندما اشتّم رائحة حديثة، وهنّ قائلاً: «هل تشتمّ ذلك؟».

فهمس النمر الرمادي وهو يخفض جسده على الأرض: «أجل، إنّها رائحة عشيرة النهر!».

انخفض قلب النار أيضاً، وأبقى أذنيه تحت الأغصان. وإلى جانبه، رفع النمر الرمادي رأسه الداكن للتحديق من فوق الشجيرات، ثمّ متمّ قائلاً: «أنا أراهم، إنّهم يصطادون».

رفع قلب النار رأسه بحذر ليسترق النظر هو الآخر، فرأى أربعة محاربين من عشيرة النهر يطاردون أرنباً بين أغصان القندول. عرف قلب النار سواد الليل الذي التقاه في اجتماع العشائر. قفز الهرّ الأسود مستلاً مخالفه، ولكنّه عاد وجلس خالي الوفاض. لا شكّ في أنّ الأرنب قد اختفى في جحره.

أخفض الصديقان رأسيهما مجدّداً، وانبطحا على الأعشاب الباردة.

همس النمر الرمادي بازدراء: «إنّهم لا يتقنون صيد الأرانب». «أعتقد أنّ عشيرة النهر معتادة على صيد السمك». واهتزّ أنفه وهو يشتمّ رائحة أرنب مذعور يقترب، وتملّكه الخوف عندما سمع خطوات محاربي عشيرة النهر وهم يطاردونه بسرعة. «إنّهم آتون باتّجاهنا! علينا أن نختبيء!».

همس النمر الرمادي: «اتبعني، فأنا أشتمّ رائحة حيوانات الغرير من هذا الطريق».

«الغرير! أهى آمنة؟». كان قد سمع قصّة الذيل الأتر الذي خسر ذيله خلال عراك مع غرير عجوز سيئ المزاج.

فطمأنه صديقه قائلاً: «لا تقلق، الرائحة قوية ولكنها قديمة. لا بدّ أنّها منبعثة من وكر قديم قريب من هنا».

اشتّم قلب النار الهواء، فالتقطت غدده رائحة قوية شبيهة برائحة الثعالب. «هل أنت واثق من أنّه مهجور؟».

«سنعرف قريباً. هيّا بنا، علينا الخروج من هنا». قاده بسرعة بين الأدغال المنخفضة، وعرف من حفيف أوراق الخلنج أنّ محاربي عشيرة النهر يقتربون.

«من هنا!». دفع النمر الرمادي بكتفه أغصان الخلنج، ليكشف عن جحر رملي في الأرض. «ادخله! فرائحة الغرير ستموّه رائحتنا. يمكننا الانتظار هنا حتّى يرحلوا».

دخل قلب النار بسرعة الجحر المظلم وتبعه النمر الرمادي. كانت رائحة الغرير خانقة.

تردّد وقع خطوات فوق رأسيهما، فحبس الهزان أنفاسهما مع توقّفهما، وسمعا صوت أحد محاربي عشيرة النهر. «هذا وكر غرير!». عرف قلب النار فوراً صوت سواد الليل الخشن.

وأجاب صوت آخر: «أهو مهجور؟ قد يكون الأرنب مختبئاً في الداخل».

أحسّ قلب النار بفراء النمر الرمادي وهو ينتصب خوفاً في الظلام، فأخرج مخالفه وحدّق إلى مدخل الجحر استعداداً للقتال في حال دخول المحاربين.

ماء سواد الليل: «انتظر، الرائحة تقود إلى هذا الطريق». وسمع وقع أكفّ قبل أن يتعد محاربو عشيرة النهر مسرعين.

تنهّد النمر الرمادي ببطء وقال: «هل تعتقد أنّهم رحلوا؟». «ربّما يجدر بنا الانتظار قليلاً حتّى نتأكّد من أنّهم ذهبوا جميعاً».

هدأت الأصوات في الخارج، فوكز النمر الرمادي صديقه قائلاً: «هيا بنا».

تبع قلب النار صديقه بحذر إلى ضوء النهار، فلم يجدا أثراً لدورية عشيرة النهر. هبّ نسيم عذب ونظّف غدد قلب النار من رائحة الغرير، فقال للنمر الرمادي: «علينا أن نبحث عن مخيم عشيرة الرياح. فهو أفضل

مكان لالتقاط رائحتهم».

أجاب النمر الرمادي: «حسناً».

مشياً ببطء بين نبات الخلنج، وفتحاً فميهما قليلاً لالتقاط رائحة عابرة لمحاربي عشيرة النهر. توقفاً عند أسفل صخرة مسطحة وكبيرة ترتفع إلى الأعلى فوق أجسام القندول.

قال النمر الرمادي: «سأتسلّقها أولاً وألقي نظرة، ففرائي يتناسب أكثر مع لون الصخرة».

وافقه قلب النار قائلاً: «حسناً، لكن أبقِ رأسك منخفضاً».

راقب صديقه وهو يتسلّق الصخرة. جثم النمر الرمادي على قمّتها وحدّق إلى السهل، ثمّ هبط مجدداً وقال وهو يلهث مشيراً بذيله: «ثمّة غور هناك على ما أظنّ، فقد رأيت فجوة في نبات الخلنج».

قال قلب النار: «فلنتحقّق منه، قد يكون المخيم».

وافقه قائلاً: «هذا ما ظننته. فهو على الأرجح المكان الوحيد

المحمي من الرياح».

ومع اقترابهما من الغور، سبق قلب النار صديقه وحدّق من الحافة. بدا له وكأنّ أحد محاربي عشيرة النجوم مدّ يده من الأعلى وأخذ حفنة من الخثّ من السهل، واستبدلها بكتلة كثيفة من القندول الذي نما ليلغ مستوى الأرض من كلّ الجوانب.

اشتّم الهواء ووجده حافلاً بروائح عديدة لجميع قطط عشيرة الرياح؛ كبار وصغار، ذكور وإناث، هذا فضلاً عن رائحة خفيفة لصيد أصبح منذ زمن طعاماً للغربان. لا بدّ أنّ هذا هو المخيم المهجور.

هبط قلب النار المنحدر وغاص في الأدغال. احتكّ القندول

بفرائه وجرح أنفه، فدمعت عيناه. سمع النمر الرمادي خلفه يشتم بسبب احتكاك الأشواك بأذنيه هو الآخر. أخيراً، دخلا فسحة ظليلة. كانت أرضها الترايبية ممهّدة بأكفّ أجيال من القطط. وعند أحد أطراف الفسحة، ارتفعت صخرة ملساء صقلتها الرياح على مرّ الأشهر.

تمتم قلب النار: «حسناً، هذا مخيمهم».

ماء النمر الرمادي وهو يفرك أنفه المؤلم بأحد أكفّه: «لا أصدّق أنّ النجم نمرود تمكّن من إخراج عشيرة الرياح من مكان محمي كهذا!».

«يبدو أنّ عراكاً عنيفاً دار هنا». وأدرك مجفلاً مدى الخراب الذي لحق بالمخيم؛ فقد تناثرت كتل الفراء على الأرض، ولوّثت بقع الدماء الجافة التراب. كما تمّ جرّ أعشاش الطحالب من الأوكار وتمزيقها. وفي كلّ أرجاء المكان، اختلطت روائح عشيرة الظلال بروائح قطط عشيرة الرياح المذعورة.

ارتجف قلب النار وماء قائلاً: «فلنعثر على أثر رائحتهم بعد خروجهم من هنا». وبدأ يشتمّ الهواء بحذر وهو يتقدّم ويتقفّى أثر الرائحة الأقوى، فلحق به النمر الرمادي باتجاه فجوة ضيقة في أجسام القندول.

قال المحارب الرمادي وهو يقحم نفسه خلف صديقه: «لا بدّ أنّ قطط عشيرة الرياح أصغر حجماً ممّا ظننت!».

نظر إليه قلب النار بشيء من التسلية. أصبح أثر الرائحة واضحاً الآن. فهذه حتماً رائحة عشيرة الرياح، لكنّها ممزوجة بروائح أخرى، كما أنّها حادة كما لو أنّها صادرة عن العديد من الهرة الخائفة. نظر قلب النار إلى الأسفل، ووجد قطرات دماء على الأرض. ماء بتجهم:

«نحن نسلك الطريق الصحيح». فبعد شهرين من المطر والرياح، لم تتلاش آثار العذاب. استطاع أن يتخيل بوضوح صورة العشيرة المهزومة والجريحة وهي تفرّ من أرضها، فانطلق خلف صديقه وقد استبدّ به الغضب.

قادهما الطريق إلى الطرف الأقصى للمرتفعات، فتوقفا هناك لالتقاط أنفاسهما. وأمامهما، انحدرت الأرض باتجاه مزرعة ذوي الساقين. وفي البعيد، بدأت الشمس تغيب خلف الأحجار العالية. تمتم قائلاً: «أتساءل عما إذا كان فراء الليل قد وصل إلى هناك». ففي نفق تحت الأحجار العالية يقع حجر القمر الذي يقصده زعماء العشائر لمشاركة الأحلام مع عشيرة النجوم.

أشار النمر الرمادي بذيله إلى أراضي ذوي الساقين وقال: «حسناً، نحن لا نودّ مصادفته هناك! فنحن سنواجه ما فيه الكفاية من الصعوبات في تجنّب ذوي الساقين والجرذان والكلاب، ولا ينقصنا الالتقاء بزعيم عشيرة الظلال الجديد أيضاً».

هزّ قلب النار رأسه موافقاً. فكّر برحلتها الأخيرة إلى هذا المكان مع نجمة الصباح والنمر الشرس. يومذاك، كادوا يُقتلون في هجوم الجرذان، ولم ينقذهم سوى وصول الهزّ الشريد بربر. وعلى الرغم من ذلك، خسرت نجمة الصباح إحدى أرواحها التسع. أحسّ قلب النار بغصّة وهو يتذكّر ذلك.

التفت النمر الرمادي إلى قلب النار وسأله: «هل تظنّ أننا سنجد أثراً لبسّ أدهم هناك؟».

أجاب قلب النار: «أتمنّى ذلك». كان طرف ذيل بسّ أدهم الأبيض وهو يختفي خلال العاصفة التي هبّت على المرتفعات آخر ما رآه

من صديقه. هل تمكّن مبتدئ عشيرة الرعد من الوصول بأمان إلى
بربر؟

بدأ المحاربان بهبوط المنحدر، وهما يشتمّان بعناية كلّ كتلة من
الأعشاب للتأكّد من أنّهما يتبعان أثر عشيرة الرياح.

قال النمر الرمادي: «لا يبدو أنّهم كانوا متوجّهين إلى الأحجار
العالية». إذ قادتهما الطريق جانباً باتجاه حقل فسيح مكسوّ بالأعشاب.
دارا حوله، وبقياً على مقربة من السياج مثلما فعلت عشيرة الرياح،
فقادتهما الرائحة إلى خارج الحقل، على طريق لذوي الساقين يمرّ عبر
أيكة صغيرة من الأشجار.

ماء النمر الرمادي: «انظر!». تناثرت أكوام من عظام الفرائس التي
بيّضتها الشمس بين الأعشاب، وجُهِز فراش من الطحالب تحت أجسام
العلّيق الأكثر كثافة.

قال قلب النار باستغراب: «لا بدّ أنّ عشيرة الرياح حاولت الاستقرار
هنا».

اشتّم النمر الرمادي الهواء قائلاً: «أتساءل عمّا دفعهم إلى الرحيل،
فالرائحة قديمة».

هزّ قلب النار كتفيه، وتبع الهزّان أثر الرائحة باتجاه سياج كثيف.
وبشيء من الصعوبة، أقحما جسديهما عبره، وخرجا منه إلى حافة
عشبية. خلف خندق ضيق امتدّ طريق ترابي عريض.

قفز النمر الرمادي فوق الخندق ووصل إلى الطريق الترابي الصلب.
نظر قلب النار حوله، وتصلّب وهو يرى شكلاً واضحاً في البعيد. هسّ
قائلاً: «توقّف أيّها النمر الرمادي!».

«ما الأمر؟».

أشار قلب النار بأنفه قائلاً: «انظر إلى منزل ذوي الساقين هناك! لا بدّ أننا قرييون من أرض بربر».

تحركت أذنا النمر الرمادي بعصبية. «هناك يعيش الكلبان! لكن، من المؤكّد أنّ عشيرة الرياح مرّت من هنا. لذا علينا أن نسرع لنجتاز منزل ذوي الساقين قبل الغروب».

تذكّر قلب النار كيف أخبره بربر أنّ ذوي الساقين يفلتون الكلبين من عقالهما ليلاً، وكانت الشمس تغيب أساساً. فهزّ رأسه قائلاً: «ربّما طرد الكلبان عشيرة الرياح من الغابة». وانتابه القلق فجأة على بسّ أدهم فسأل: «هل تعتقد أنّه وجد بربر؟».

«من؟ أتعني بسّ أدهم؟ ولمّ لا ما دمنا قد استطعنا الوصول إلى هنا؟ لا تُسيئ تقديره. هل تذكر عندما أرسله النمر الشرس إلى صخور الأفاعي؟ يومذاك عاد بثعبان!».

خرخر قلب النار وهو يتذكّر، بينما قفز النمر الرمادي على الطريق وعبر السياج عند الطرف الآخر، فلحق به، وحثّ خطاه إلى أن واكب صديقه خطوة خطوة.

نبج كلب بشراسة، لكن سرعان ما هدأ نباحه الغاضب في البعيد. انخفضت الحرارة مع غروب الشمس، وبدأ الجليد يتكوّن على العشب.

سأله النمر الرمادي: «هل نتابع؟ ماذا لو قادنا أثرهم إلى الأحجار العالية في النهاية؟ لا شكّ في أنّ فراء الليل هناك الآن».

رفع قلب النار أنفه واشتمّ بعض أغصان الخنشار، فلذعت رائحة عشيرة الرياح الحادة بفعل الخوف أنفه وقال: «من الأفضل أن نتابع، سنتوقّف عندما نضطر لذلك».

حمل النسيم البارد رائحة أخرى إلى أنف قلب النار، فعرف أن ثمة
درب رعد قريباً. تقلّصت ملامح النمر الرمادي عندما اشتَمَّ الرائحة هو
الآخر، وتبادل المحاربان نظرة اشمئزاز، لكنهما واصلا السير. ازدادت
الرائحة قوّة إلى أن استطاعا سماع هدير الوحوش على درب الرعد في
البعيد. وعندما وصلا إلى السياج الممتدّ على جانبي الطريق الرمادي
العريض، تعذّر عليهما تماماً تمييز أثر عشيرة الرياح.

توقّف النمر الرمادي ونظر حوله وقد بدا الشكّ في عينيه. لكنّ
قلب النار استطاع التقاط رائحة الخوف، فزحف بين الظلال بجانب
السياج إلى أن وصل إلى منطقة أصبح فيها السياج أقلّ كثافة. قال وهو
يتخيّل قطط عشيرة الرياح تحدّق إلى سياج درب الرعد: «لقد لجأوا
إلى هذا المكان».

لحق النمر الرمادي بصديقه إلى السياج وقال: «هذه هي المرّة
الأولى على الأرجح التي رأى فيها معظمهم درب الرعد».
نظر قلب النار إلى صديقه باستغراب. لم يسبق له أن التقى أيّ
هزّ من عشيرة الرياح؛ لأنّهم أخرجوا من أرضهم بعد مدّة قصيرة من
انضمامه إلى عشيرته. فسأل بحيرة: «ألا يراقبون حدودهم؟».

«كما رأيت، أراضيهم برّية ومقفرة، ولا يسهل اصطياد الفرائس
فيها. أعتقد أنّه لم يخطر في بالهم أن ترغب العشائر الأخرى في الصيد
فيها. ففي النهاية، عشيرة النهر لديها نهراها. وفي الأعوام الجيدة، تكون
غابتنا مليئة بالطرائد ولا يحتاج أيّ هزّ إلى أرائبهم الهزيلة».

هدر وحش من الجهة الأخرى من السياج، وتوهّجت عيناه في
ظلام الليل. أجفل قلب النار والنمر الرمادي من الهواء الذي هبّ
حاملاً أثره وشعث فراءهما حتّى من خلال السياج النباتي. وعندما ابتعد

الصوت، جلسا بحذر وبدأ يشتمان جذور السياج.

«يبدو أنّ الأثر يقودنا من هنا». ضغط قلب النار على الحافة العشبية

الممتدة على طول درب الرعد، واقترب منه النمر الرمادي.

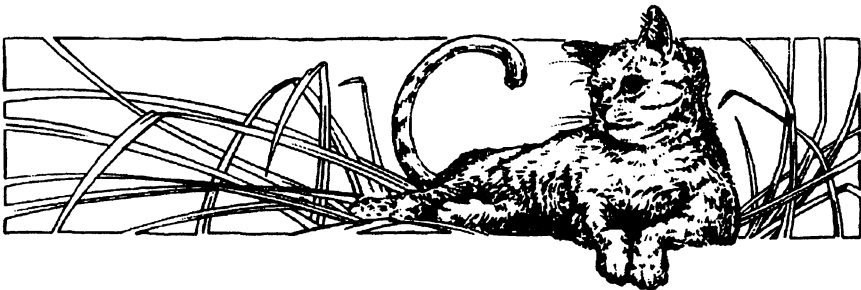
لكن من الجهة الأخرى للسياج توقّف أثر الرائحة فجأة.

قال قلب النار: «إمّا أنّهم عادوا أدراجهم أو عبروا درب الرعد.

ابحث أنت هنا، وأنا سأتحقّق من الجهة الأخرى». وكافح للحفاظ على

هدوء صوته، ولكنّ التعب كان قد بدأ يستبدّ به. يستحيل أن يفقدا أثرهم

الآن بعدما قطعنا كلّ هذه المسافة.



الفصل 5



لم يعد قلب النار يسمع سوى ضجيج الدماء في أذنيه، فاقترب من حافة درب الرعد. امتد الطريق أمامه عريضاً، برائحته الكريهة، ولكنه كان هادئاً. اندفع يجتازه، وأحس بالأرض تحت أكفّه باردة وملساء. لم يتوقف إلى أن وصل إلى الأعشاب عند الطرف الآخر.

كان الهواء هناك مشوباً بالرائحة الكريهة لدرب الرعد ووحوشه، ولذلك توجه إلى السياج. غير أنه لم يجد أثراً لقطط عشيرة الرياح، فغاص قلبه.

فجأة، مزق صوت وحش الصمت، فقفز قلب النار في الهواء مذعوراً. ثم أسرع للاختباء تحت السياج؛ وهو يرتجف ويتساءل بجنون عما سيفعله الآن.

فجأة، اشتَم رائحة خفيفة جداً حملها الهواء الذي هب في أثر الوحش. لقد مرّت عشيرة الرياح من هنا!

نادى صديقه بأعلى صوته، فخيم الصمت قليلاً، ثم سمع وقع أكفّ تجري على درب الرعد للانضمام إليه.

سأله صديقه الرمادي: «هل وجدت شيئاً؟».

«لست واثقاً. اشتممت رائحة خفيفة ولكنني لم أستطع تحديد

مصدرها». شقّ قلب النار طريقه عبر السياج، ومشى النمر الرمادي خلفه. رفع أنفه باتجاه الحقل المفتوح أمامهما وسأل: «هل لديك فكرة عما يوجد هناك؟».

أجاب النمر الرمادي: «كلاً. لا أظنّ أساساً أنّ قطط أيّ من العشائر أتت إلى هذا المكان من قبل».

تمتم قلب النار بوجوم: «باستثناء عشيرة الرياح». بعيداً عن الأبخرة المربكة المتصاعدة من درب الرعد، أصبح أثر رائحة العشيرة واضحاً فجأة. من المؤكّد أنّ عشيرة الرياح مرّت من هنا. خرج الهزّان من بين الأعشاب الطويلة وبدأ يعبران الحقل.

«قلب النار!». بدا صوت النمر الرمادي خائفاً.

«ما الأمر؟».

«انظر».

توقّف قلب النار ورفع رأسه، فرأى درب رعد أمامهما مقوّساً في الهواء على سيقان حجرية ضخمة، تضيئه أعين الوحوش التي تسير عليه. كما امتدّ تحته درب رعد آخر ينحرف في اتجاه مظلم. أشار برأسه إلى نبتة عالية وقال: «اشتّم هذا أيضاً!».

اشتّم قلب النار الرائحة، ووجد أنّها حديثة وتنتمي إلى عشيرة

الرياح!

تمتم النمر الرمادي غير مصدّق: «لا بدّ أنّهم استقروا على مقربة من هنا!».

اجتاحت قلب النار موجة حماسة. نظر الهزّان إلى بعضهما بصمت للحظة، ثمّ اندفعا نحو دربي الرعد.

أخيراً، قال النمر الرمادي: «لماذا أتت عشيرة الرياح إلى مكان

كهذا؟».

فأجابه قلب النار بحزن: «أعتقد لأنّ أحداً لن يرغب باللحاق بهم إلى هنا، حتّى النجم نمرود نفسه». وتوقّف فجأة وقد شغلت باله فكرة. وقف النمر الرمادي إلى جانبه وسأله: «ماذا الأمر؟».

ماء قلب النار ببطء: «إن كانت عشيرة الرياح مختبئة على هذه المسافة من دروب الرعد، فهذا يعني أنّهم كانوا حريصين على الاختباء تماماً. أعتقد أنّهم سيثقون بنا أكثر إن وصلنا نهراً عوضاً عن مفاجأتهم في الظلام».

فسأله النمر الرمادي وهو يتهاوى جالساً: «هل هذا يعني أنّنا نستطيع أخذ استراحة؟».

قال قلب النار: «فقط حتّى طلوع الفجر. سنجد مكاناً نختبئ فيه ونحاول أخذ قسط من النوم. هل أنت جائع؟». هزّ النمر الرمادي رأسه نافياً، فتابع قلب النار قائلاً: «ولا أنا. لا أدري ما إذا كانت تلك الأعشاب أم رائحة درب الرعد هي التي تسبّب لي الغثيان».

نظر النمر الرمادي حوله متسائلاً: «أين سنام؟».

كان قلب النار قد لاحظ ظلاً داكناً على الأرض أمامهما. «ما هذا؟». بدت الحيرة على وجه النمر الرمادي. «أهو جحر؟ يبدو كبيراً جداً على أرنب، ومن المؤكّد أنّ حيوانات الغرير لا تعيش هنا!». «فلنلق عليه نظرة».

كان الجحر أكبر من جحر الغرير، وبدا أملس ومحاطاً بالصخور. اشتّمه قلب النار، ثمّ وضع أكفّه على الحافة وحدّق بحذر إلى الداخل. امتدّ نفق صخري في الأرض، وتردّد صدى صوته في الداخل وهو يموء قائلاً: «أستطيع الإحساس بالهواء الذي يتخلّله. لا بدّ أنّه يؤدّي إلى مكان

ما هناك». وأخرج رأسه وأشار بأنفه إلى شبكة دروب الرعد.
«أهو خال؟».

«هذا ما يبدو من الرائحة».

«إذاً، هيا بنا». تقدّمه النمر الرمادي إلى داخل النفق. وبعد مسافة
عدّة ثعالب، أصبح النفق منبسّطاً.

توقّف قلب النار واشتّم الهواء الرطب، فلم يشعر سوى بروائح
درب الرعد. هدر صوت قوي فوقهما، فارتعشت أكفّ قلب النار مع
اهتزاز الأرض تحته. هل درب الرعد فوقهما؟ نفش فراءه في مواجهة
الهدير الذي لا يهدأ، وأحسّ بفراء النمر الرمادي يحتكّ به. كان صديقه
يلتف حول نفسه استعداداً للنوم، فربض قلب النار والتصق به. أغمض
عينيه، وفكّر بنسائم الغابة اللطيفة وبحفيف أوراق الشجر. واقترن تعبهُ
لهنيهة بتوق عارم للعودة إلى المخيم والنوم في فراشه، قبل أن يستسلم
للنوم.

عندما فتح قلب النار عينيه مجدّداً، رأى ضوءاً رمادياً يتوهّج في
آخر النفق. لا شك أنّ الفجر أصبح قريباً. ألمته عظامه بسبب الأرض
الصلبة والباردة. وكز صديقه الذي احتجّ قائلاً: «هل حلّ الصباح؟».
أجابه وهو يقف: «تقريباً». فتمطّى النمر الرمادي ونهض هو الآخر.
ماء قلب النار وهو يميل عنقه بعيداً عن الضوء: «برأيي، يجدر بنا
الذهاب بهذا الاتجاه. فأنا أظنّ أنّ هذا النفق يمرّ مباشرة تحت أحد
دروب الرعد، وقد يوصلنا إلى مسافة أقرب من...» ظلّت جملته معلقة
لأنّه لم يجد كلاماً يصف به شبكة دروب الرعد التي رآها أمس. وبجانبه،
هزّ النمر الرمادي رأسه موافقاً، فبدأ يسيران بصمت في الظلام.

بعد قليل، رأى قلب النار ضوءاً أمامهما فأسرعا، إلى أن بدأ
يجريان لصعود منحدر قصير وشاهق قادهما إلى عالم غارق بضوء
الفجر الرمادي.

كانا قد وصلا إلى طرف بقعة من الأعشاب القذرة. فقد أحاط بها
دربا الرعد من الجانبين، ومَرَّ فوقها درب آخر. كانت ثمة نار مشتعلة
في وسط العشب، بينما استلقى عدد من ذوي الساقين حولها. تمطى
أحدهم وتقلب، وتمتم آخر في نومه غاضباً، لكن لم يبدُ عليهم الانزعاج
من ضجيج دروب الرعد وروائحها.

راقبهم قلب النار بقلق، ثم جمد في مكانه عندما لمح أشكالاً
داكنة تتنقل أمام النار. قطط! هل يمكن أن تكون من عشيرة الرياح؟
نظر إلى النار والقطط، وعادت إليه صور حلمه؛ ضجيج درب الرعد،
والنار والقطط، وصوت الورقة الرقطاء وهي تتمتم: «وحدها النار ستنقذ
العشيرة».

أحسّ بضعف في أطرافه من شدة الانفعال. هل هذا يعني أن مصير
عشيرة الرعد مرتبط بمصير عشيرة الرياح؟
«قلب النار! قلب النار!».

أعاده صوت النمر الرمادي إلى الواقع على نحو مفاجئ، فأخذ
نفساً عميقاً ليهدي أعصابه.

ماء قاتلاً: «علينا العثور على النجم المذنب والتكلم معه».

«إذاً، أنت تظن أن هذه هي عشيرة الرياح؟».

«ألم تشتتم رائحتهم؟ من سيكونون إذاً؟».

نظر إليه النمر الرمادي وعينه تلمعان بنشوة الانتصار، ثم قال: «لقد
عثرنا عليهم!».

هزّ قلب النار رأسه موافقاً، ولم يذكره بأنّ العثور على عشيرة الرياح لا يشكّل سوى جزء من المهمة. فما زال عليهما إقناع العشيرة بأنّها تستطيع العودة إلى أرضها بأمان.

استعدّ النمر الرمادي ليندفع إلى الأمام قائلاً: «هيا بنا!».

فحذّره قلب النار: «مهلاً، فنحن لا نريد إخافتهم».

في تلك اللحظة، جلس أحد ذوي الساقين فجأة، وبدأ يصيح في وجوه القطط التي تتجول حول النار بحالتها المزرية، فأيقظ صوته رفاقه الذين شاركوه الصياح بأصوات غاضبة وخشنة.

تفرّقت قطط عشيرة الرياح، فنسي المحاربان حذرهما وأسرعاً خلفها. أحسّ قلب النار بفرائه يقشعر خوفاً بينما كان هو والنمر الرمادي يجريان باتجاه النار وذوي الساقين مباشرة. أمرته غريزته بالابتعاد، ولكنّه لم يجرؤ على فقدان أثر القطط الهاربة.

وقف أحد ذوي الساقين أمامه، فتوقّف قلب النار مثيراً الغبار حوله. انفجر شيء ما إلى جانبه، وتناثرت عليه شظايا حادة، ولكنها لم تخترق فرائه الكثيف. نظر إلى الخلف باحثاً عن النمر الرمادي، وفرح عندما رآه خلفه تماماً وقد اتّسعت عيناه خوفاً وانتصب فراؤه من شدّة التوتر. ركضاً إلى أمان الظلال تحت درب الرعد العالي، فرأى قلب النار قطط عشيرة الرياح تتوقّف عند القدم الضخمة لدرب الرعد قبل أن تختفي واحداً تلو الآخر في الأرض.

ماء النمر الرمادي باستغراب: «أين ذهبوا؟».

وتساءل قلب النار: «أهو نفق آخر؟ تعال لنرى».

اقترب الصديقان بحذر من المكان الذي اختفت فيه قطط عشيرة الرياح. ومع اقترابهما، رأيا جحراً في الأرض. وتتماماً مثل النفق الذي

ناما فيه، كان مدخله مستديراً ومحاطاً بالصخر، وينحدر في الظلام الدامس.

مشى قلب النار في المقدمة، وتنبّهت كلّ حواسه خوفاً من الاصطدام بدورية مراقبة لعشيرة الرياح. كانت الأرض تحت أكفّه رطبة وزلقة، بينما تردّد صوت مياه تقطر حولهما. ومع استواء النفق، رفع أذنيه وفتح فمه. بدت رائحة الهواء الرطب عفنة وأكثر سوءاً من النفق الذي ناما فيه. إذ اختلطت هنا أبخرة درب الرعد بروائح الخوف المنبعثة من ققط عشيرة الرياح.

كان الظلام دامساً، ولكن بعد بضع خطوات استطاع قلب النار أن يرصد بشاربه انعطافاً في النفق، فهزّ ذيله، ولامس النمر الرمادي قليلاً بطرفه. لم يستطع رؤية صديقه في الظلام، ولكن لا بدّ أنّ هذا الأخير قد أحسّ بإشارته لأنّه توقّف إلى جانبه ونظرا معاً من الزاوية.

وجدا النفق أمامهما مضاءً بفتحة ضيقة في السقف تؤدّي إلى الأراضي الجرداء في الأعلى. رأى قلب النار قططاً عديدة محتشدة إلى جانب بعضها تحت الضوء الرمادي: محاربين ومسنّين، وإنثاءً وصغاراً، وكلّهم هزيلون على نحو مثير للشفقة. هبّ نسيم بارد من الفتحة في السقف وعبث بفراء الأجساد النحيلة، فارتعد قلب النار لأنّ النسيم حمل إليه رائحة المرض وطعام الغربان.

فجأة، اهتزّ النفق مع مرور وحش فوقه، فأجفل المحاربان المتوتران أساساً، ولكنّ ققط عشيرة الرياح لم تحرّك ساكناً، بل اكتفت بالالتصاق ببعضها بأعينها شبه المغمضة، غافلة تماماً عمّا يجري حولها.

وعندما تلاشى الصوت، أخذ قلب النار نفساً عميقاً، وخطا خطوة عند الزاوية، ثمّ وقف في الضوء الخافت.

التفت إليه هزّ رمادي من عشيرة الرياح، واقشعر فرائه وهو يموء
منتبهاً بقيّة قطط العشيرة. وبحركة واحدة، اصطفّ محاربو عشيرة الرياح
في النفق أمام الإناث والمسنّين، وقوسوا ظهورهم وهم يهسّون بشراسة.
ارتعد قلب النار خوفاً وهو يرى مخالبتهم وأنيابهم الحادة تلمع في
الظلام. كانت تلك القطط التي تتصوّر جوعاً تتأهّب للهجوم.



الفصل 6



التصق قلب النار بالنمر الرمادي محذراً، وكان هذا الأخير قد اقترب وانضم إليه. عليهما عدم إظهار أي تهديد إن أرادا البقاء. وقف محاربو عشيرة الرياح من دون أن يرف لهم جفن، فأدرك قلب النار أنهم ينتظرون إشارة من زعيمهم! ما زالوا يحترمون قانون المحاربين حتى وهم يعيشون هنا.

اقترب هرّ أبيض وأسود من خلف صف المحاربين ووقف أمامهم، فأجفل قلب النار عندما عرف الهرّ ذا الذيل الطويل الذي رآه في الحلم. لا شك في أنه النجم المذنب، زعيم عشيرة الرياح.

اشتّم النجم المذنب الهواء، ولكنّ النسيم كان يهبّ باتجاه قلب النار والنمر الرمادي ويحمل رائحتهما بعيداً. وعندما اقترب الهرّ منهما، اشتّم قلب النار رائحة طعام الغربان الكريهة العالقة بفرائه. لكن شأنه شأن النمر الرمادي، وقف جانباً ونظر إلى الأرض بينما كان النجم المذنب يحوم حولهما ويشتم فراءهما.

أخيراً، التفت النجم المذنب إلى محاربيه وسمعه قلب النار يتمتم: «إنّهما من عشيرة الرعد». استرخى المحاربون، ولكنهم ظلّوا واقفين في صف دفاعي أمام بقية الهررة.

التفت النجم المذنب إلى زائريه وجلس، ثم لف ذيله بعناية حول أكفّه. بدت العدائية في نظراته وهو يقول: «كنت أتوقّع أن تلحق بنا عشيرة الظلال. ما الذي أتى بكما؟».

ماء قلب النار بصوت متوتر: «أتينا بحثاً عنكم. فنجمة الصباح وقائدا العشيرتين الآخرين يريدون منكم العودة إلى أرضكم». أجاب زعيم عشيرة الرياح بصوت لا يزال مشوباً بالقلق: «لم تعد تلك الأرض آمنة بالنسبة إلى عشيرتي». ولمح قلب النار في عيني زعيم العشيرة نظرة خوف ملأت قلبه بالحزن.

فماء قائلاً: «لقد قامت عشيرة الظلال بطرد النجم نمرود». التفت المحاربون الواقفون خلف النجم المذنب وتبادلوا نظرات الاستغراب، بينما سرت همهمات بين أفراد العشيرة. تابع قلب النار: «عليكم أن تعودوا بأسرع وقت ممكن؛ فعشيرتا الظلال والنهر بدأتا تصطادان في المرتفعات. وقد رأينا دورية صيد تابعة لعشيرة النهر قرب وكر الغرير القديم ونحن في طريقنا إلى هنا». انتصب فراء النجم المذنب غضباً.

وأضاف النمر الرمادي: «لكنهم لا يتقنون صيد الأرانب، وأعتقد أنهم عادوا إلى أراضيهم ببطون خاوية».

خرخر النجم المذنب ومحاربوه برضى. وشجعت روحهم المرحّة قلب النار، ولكنّه لاحظ مدى ضعفهم. هذه العشيرة ستواجه صعوبة في رحلة العودة، ولذلك اقترح عليهم باحترام: «هلاً سمحتم لنا بالسفر معكم».

لمعت عينا النجم المذنب، وأدرك أنّ السؤال كان عرضاً للمساعدة موجّهاً بلياقة، فنظر إلى قلب النار وأجاب: «أجل، شكراً لكما».

عندها، أدرك قلب النار أنهما لم يعرفا عن نفسيهما، فماء قائلاً: «هذا النمر الرمادي». ثم أخفض رأسه مضيفاً: «وأنا أدعى قلب النار. نحن محاربان من عشيرة الرعد».

ردّد النجم المذنب بشرود: «قلب النار». كانت الشمس قد تسلّلت من فجوة السقف وجعلت فراء قلب النار البرتقالي يتوهّج في النفق المظلم. «هذا الاسم يلائمك تماماً».

هدر وحش آخر فوق رؤوسهم، فأجفل كلّ من قلب النار والنمر الرمادي. راقبهما النجم المذنب بشيء من التسلية وهزّ ذيله. ولا بدّ أنّها كانت إشارة، لأنّ صفّ المحاربين تفرّق خلفه. وأعلن وهو يقف: «علينا أن نرحل حالاً».

سأل النجم المذنب بينما كان المحاربون يمزّون بين إناث الحضانة والمسنّين: «هل الجميع قادرون على القيام بالرحلة؟». فأجاب محارب بّني مرقط: «كلّنا باستثناء صغير زهرة الصباح. فهو صغير جدّاً».

فأجاب النجم المذنب: «إذاً، ستناوب على حملة». تقدّمت قطط عشيرة الرياح، وبدت أعينها باهتة من شدّة الألم والإنهاك. كانت بينهم هرّة بنية تحمل بلطف هرّاً صغيراً من عنقه. وبالكاد كان المخلوق الصغير قادراً على فتح عينيه. سألهم النجم المذنب: «هل أنتم جاهزون؟». نظر هرّ أسود ذو كفّ مشوّه حوله وأجاب بالنيابة عنهم: «جاهزون».

استدار قلب النار والنمر الرمادي وعادا أدراجهما إلى مدخل النفق، ثم انتظرا هناك إلى أن خرجت قطط عشيرة الرياح إلى ضوء النهار بأعين

منبهرة. أغمض بعض المسنين أعينهم لمدة أطول، والتوت قسماتهم أمام ضوء الشمس الباهت، فأدرك قلب النار أنهم لم يغادروا النفق منذ مدة. خرج النجم المذنب من النفق بعد الجميع، ثم تقدّم عشيرته. سأله قلب النار: «هل نأخذكم من الطريق التي أتينا منها؟ أظنّ أنها طريق مختصرة».

سأله النجم المذنب: «أهي آمنة؟». رأى قلب النار مجدداً نظرة الخوف في عيني الزعيم.

أجاب النمر الرمادي: «لم نواجه أيّ مشاكل في طريقنا». هزّ النجم المذنب ذيله بحركة حاسمة وكأنّه يبعد عنه الشكوك، ثم أعلن قائلاً: «حسناً، تعال معي أيها النمر الرمادي، ودلّني على الطريق. أمّا أنت يا قلب النار، فتقدّم مع العشيرة وأخبر نائبي في حال واجهتهم أيّ مشاكل».

سأله قلب النار: «وأيّهم النائب؟». عندها، أشار النجم المذنب برأسه إلى الهزّ الأسود وقال: «الكفّ الأعرج». فالتفت المحارب عندما سمع اسمه ورفع أذنيه. خفض قلب النار رأسه تحيّة له، ثم ترك النمر الرمادي مع النجم المذنب وانضمّ إلى بقيّة القطط.

وبينما كانت العشيرة تشقّ طريقها تحت قوس درب الرعد، استطاع قلب النار أن يشتم رائحة النار. لكن، عندما وصلوا إلى بقعة الأرض الجرداء، لم يجد أثراً لذوي الساقين. توجه النمر الرمادي مباشرة إلى النفق الذي أمضى فيه الليلة مع قلب النار. فدخل النجم المذنب أولاً، وانتظر قلب النار في النهاية إلى أن دخلت العشيرة بأكملها ولم يبق سوى الكفّ الأعرج.

سأله الهزّ الأسود بقلق: «هل أنت واثق من أنّه يؤدّي إلى ضوء النهار؟».

«سيقودنا تحت درب الرعد تماماً. ألم تستعملوا هذا النفق مطلقاً؟». «عندما يعبر محاربونا درب الرعد، فهم يفضلون رؤية المكان الذي يتجهون إليه». هزّ قلب النار رأسه بفهم بينما أضاف النائب: «ادخل أنت أولاً».

دخل قلب النار الجحر المظلم، ثمّ خرج منه ليجد قطط عشيرة الرياح في الحقل المؤدّي إلى درب الرعد الأخير. رأى النجم المذنب يتشاور قليلاً مع النمر الرمادي قبل أن ينطلقا بين الأعشاب المكسوة بالجليد. مشى قلب النار إلى جانب بقيّة العشيرة بينما سار النائب من الجانب الآخر وهو يعرج.

وقبل أن يصبحوا في منتصف الحقل، بدا واضحاً أنّ الكثير من القطط تواجه صعوبة في مواكبتهم، فصاح الكفّ الأعرج: «أيّها النجم المذنب! علينا أن نبطئ من سيرنا».

نظر قلب النار إلى الخلف، فرأى بعض القطط متأخرة عنهم على نحو متزايد. كانت زهرة الصباح بينهم، وكان صغيرها يتأرجح وهو يتدلّى من فمها. ذهب إليها ووجدها تلهث بقوة. لا شكّ أنّه لم يمضِ عليها وقت طويل منذ أن أنجبت.

عرض قائلاً: «دعيني أحمله ريثما تلتقطين أنفاسك».

نظرت زهرة الصباح إليه بحذر، ثمّ لانت ملامحها بعد قليل. وضعت صغيرها فحمله بلطف، ومشى إلى جانبها لكي لا يبعد صغيرها الغالي عن نظرها.

أبطأ النجم المذنب في مشيته قليلاً وحسب. فعلى الرغم من إنهاكه

الواضح ونحوه الذي جعل أضلاعه تبدو من تحت فرائه، كان يضجّ بالطاقة ويتنقل بسرعة.

استطاع قلب النار أن يتفهّم جزءاً من سبب عجلته. فقد كانت الشمس تشرق في الأفق، وكانت بعض قطط العشيرة مريضة، وبعضها الآخر مسنّ، وجميعها تعاني من الضعف والجوع. وإن كانوا يريدون عبور درب الرعد من دون خسارة أيّ منهم، فعليهم فعل ذلك بسرعة قبل أن تكثر الوحوش على الطريق.

عندما وصل قلب النار وزهرة الصباح إلى السياج، كانت عشيرة الرياح مجتمعة خلف زعيمها.

أعلن النجم المذنّب قائلاً بصوت علا على صوت وحش مسرع: «سنعبر درب الرعد من هنا». وأقحم زعيم عشيرة الرياح جسده تحت السياج، وتبعه الفكّ الأعرج والنمر الرمادي ومحارب أصغر سنّاً. مالت زهرة الصباح نحو قلب النار وأخذت صغيرها. كانت قد استعادت أنفاسها الآن، فمرّرت خدّها على خدّ قلب النار امتناناً وهي تأخذ منه الصغير. خفض قلب النار رأسه للهِزّة البنيّة وتبع النمر الرمادي من تحت السياج.

جلس النجم المذنّب والفكّ الأعرج يحدّقان بصمت إلى الطريق الرمادي العريض. وقف النمر الرمادي إلى جانبهما وأشار بذيله إلى المحارب الأصغر سنّاً، وقال لقلب النار: «هذا النمر الوحيد».

مرّ وحش مسرع، وطغى بصخبه تقريباً على صوت النمر الرمادي مشيراً عاصفة مزعجة من الغبار.

ماء قلب النار بعينين دامعتين بتحيّة إلى النمر الوحيد، ثمّ حوّل انتباهه إلى درب الرعد وقال: «علينا أن نحاول اجتياز الطريق في

مجموعات صغيرة. سنبقى أنا والنمر الرمادي مع أيّ هزّ يحتاج إلى المساعدة». ونظر إلى زعيم العشيرة وأضاف: «هذا من بعد إذنك أيّها النجم المذنب».

هزّ النجم المذنب رأسه موافقاً وقال: «ستعبر المجموعة الأقوى أولاً».

بدأت قطط عشيرة الرياح الأخرى تظهر من تحت السياج. وسرعان ما اجتمعت العشيرة بأكملها إلى جانبهم، واحتشدت بجانب السياج النباتي الشائك محاولة الابتعاد قدر الإمكان عن درب الرعد.

اقترب قلب النار والنمر الرمادي من حافة الطريق، وراقبا فسحة بين خطّ الوحوش. كان درب الرعد قد أصبح أكثر ازدحاماً بكثير عما كان عليه عندما عبراه في الليلة الماضية.

قاد النمر الوحيد أوّل مجموعة إلى الأمام.

عرض عليه قلب النار: «هل تريدنا أن نعبر معكم؟». إذ كان قد اشتّم خوف الهزّ الشاب، غير أنّ الهزّ البنيّ هزّ رأسه نافياً. حدّقت القطط الواقفة إلى جانبه إلى درب الرعد من الجهتين. وعندما خيم الصمت، اندفعت المجموعة ووصلت بأمان إلى الجانب الآخر.

حان دور محاربين يرافقهما مسنّان هزيلان. بعد عبور وحش مسرع أعلن قلب النار: «الآن!».

تقدّمت القطط الأربع على الطريق الخالي، وتقلّصت ملامح المسنّين وهما يمشيان على أكفّهما الطرية بسبب رطوبة النفق. راح قلب النار يحثّهم على التقدم مع اقترابهم من الطرف الآخر، وذلك لأنّ وحشاً كان يدنو منهم.

صاح النمر الرمادي: «احترسوا!». فأسرع المسنّان وقد انتصب

فراؤهما، وبلغا الطرف الآخر قبل لحظة من مرور الوحش.

عبرت مجموعتان كبيرتان أخريان، ولم يتبق سوى واحدة. أما النجم المذنب والكف الأعرج، فلن يجتازا الطريق إلا بعد أن تصبح كل القطط بأمان في الطرف الآخر.

وقفت زهرة الصباح وصغيرها إلى جانب قلب النار، ووقفت خلفهم ثلاث قطط مسنة جداً وهي ترتجف.

قال قلب النار: «سنعبر معكم». ونظر إلى النمر الرمادي الذي هز رأسه موافقاً. «أخبرنا متى يصبح العبور آمناً أيها النمر الرمادي». مال قلب النار ليأخذ صغير زهرة الصباح، ولكنها تراجعت وخفضت أذنيها. فنظر إلى عينيها العنبريتين الخائفتين، وفهم أنها إما أن تعيش هي وصغيرها أو يموتا معاً.

هتف النمر الرمادي: «الآن!». فانطلق قلب النار وزهرة الصباح يجتازان درب الرعد. أما المسنون فمشوا خلفهم ومشى معهم النمر الرمادي. بدا أن الوقت توقف بينما كان المسنون يسرون ببطء على أقدامهم المتصلبة والمكسوة بالندوب. قال قلب النار في سره: إن مرّ وحش الآن، فستحول إلى صيد طازج في لمح البصر. كان الطرف الآخر لا يزال على بعد عدة قفزات أرنب.

حثم النمر الرمادي: «هيا تقدّما». فحاول المسنون أن يسرعوا، لكن أحدهم تعثر فاضطر النمر الرمادي إلى دفعه بأنفه لكي يقف مجدداً. سمع قلب النار هدير وحش بعيداً فهسّ قائلاً لزهرة الصباح: «اسبقينا، ونحن سنحضر المسنين».

تقدّمت زهرة الصباح، وأخذ صغيرها يموء وهو يرتطم بالأرض. والتصق قلب النار والنمر الرمادي بالمسنين يدفعان أجسادهم الهزيلة

قُدماً، فيما ازداد ضجيج الوحش المقرب ارتفاعاً.
أمسك قلب النار بمؤخر عنق الهزّ الأقرب إليه وجرّه إلى الأمام،
قبل أن يستدير ليسحب الهزّ الثاني إلى مسافة أقرب من حافة الطريق.
اقترب الوحش أكثر، فأغمض قلب النار عينيه واستعدّ لمواجهة
مصيره.

سُمع صرير عالٍ، وانبعثت رائحة حادة لسعت حلقة، ثمّ خمد زئير
الوحش وهو يتعدّ مسرعاً. فتح قلب النار عينيه ونظر حوله، فرأى النمر
الرمادي رابضاً في وسط الطريق يحدّق حوله بعينين مستديرتين كالبدر،
لكن من دون أن يصيبه أيّ أذى. وجثم أحد المسنّين بينهما بينما كان
الاثنان الآخران يرتجفان بجانب حافة الطريق. أمّا الوحش، فأخذ يتعدّ
في خطّ منحرف على درب الرعد. الشكر لعشيرة النجوم! لقد نجوا
بحياتهم.

أخذ قلب النار نفساً عميقاً وماء قائلاً لآخر مسنّ: «هيا، أوشكنا
على الوصول».

عبر النجم المذنّب الطريق مع الكفّ الأعرج، وجمع عشيرته
المذعورة حوله عند حافة الطريق.

لامس النمر الوحيد أنفه بأنف قلب النار وتمتم قائلاً: «كدتما أن
تموتا لأجلنا. لن تنسى عشيرة الرياح صنيعكما أبداً».

علا صوت النجم المذنّب خلفهم: «النمر الوحيد على حقّ،
سنكرّمكما في حكاياتنا. والآن علينا متابعة المسير، إذ تنتظرنا رحلة
طويلة».

وبينما كانت القطط تستعدّ لمتابعة الرحلة، اقترب قلب النار من
زهرة الصباح التي كانت تعلق صغيرها.

سألها: «أهو بخير؟».

«آه، أجل».

«وماذا عنك؟».

لم تجبه زهرة الصباح.

التفت قلب النار إلى هرة حضانة رمادية أجابته عن السؤال الذي

لم يطرحه: «لا تقلق، أنا سأحمله الآن».

مشت العشيرة على طول السياج الممتد على طرف درب الرعد قبل أن تستدير لتسلك الطريق عبر الغابة. ومع أن روائح هذا المكان هذأت من روع قطط العشيرة على ما يبدو، إلا أن تعب الرحلة كان قد أخذ منها مأخذاً. فقد راحت تمشي على نحو أبطأ من أي وقت مضى. وعندما بلغوا السياج عند الطرف الآخر، بذل قلب النار كل قوته لمساعدة أضعف القطط على عبوره.

عندما رأى قلب النار منزل ذوي الساقين في البعيد، كانت الشمس قد تجاوزت وسط السماء. فاشتّم الهواء بحثاً عن رائحة بسّ أدهم، لكن عبثاً. وعندئذٍ، أحسّ بالحزن يغمر قلبه، وحاول ألا يفكر في أنه لم يكن يجدر به إرسال صديقه إلى هنا بمفرده.

تجمّعت السحب فوق الأحجار العالية، وازدادت سواداً وهي تغطّي الشمس التي كانت تنخفض في الأفق. هبّت رياح باردة عبث بفراء القطط وأتت معها بأولى قطرات المطر.

نظر قلب النار إلى قطط العشيرة، وأدرك أنه يستحيل عليها أن تسافر في ليلة طويلة وممطرة. كان يشعر بالتعب هو الآخر، كما بدأ يحسّ بأولى قرصات الجوع منذ أن أكل أعشاب جمرة. كما أن نظرة واحدة إلى النمر الرمادي كانت كافية ليعرف أن صديقه يشعر بالمثل.

كانت مياه المطر تقطر من ذيل المحارب الرمادي بينما خفض أذنيه
اتقاء للرداذ.

نادى زعيم العشيرة قائلاً: «أيها النجم المذنب، ربّما يجدر بنا
التوقّف وإيجاد ملجأ نمضي فيه الليلة».

توقّف زعيم العشيرة، وانتظر إلى أن لحق به قلب النار، ثمّ ماء
مجيئاً: «أوافقك. ثمة خندق هنا يمكننا أن نأوي إليه حتّى طلوع الشمس».
تبادل النمر الرمادي وقلب النار النظرات، ثمّ قال هذا الأخير: «ربّما
كان من الأفضل أن ننام تحت السياج، فتلك الخنادق تؤوي جرذاناً».
هزّ النجم المذنب رأسه موافقاً: «حسناً». ثمّ التفت إلى عشيرته،
وأعلن لهم أنّهم سيمضون الليلة هنا. فجلست هرر الحضانة والمسّنون
فوراً، على الرغم من المطر، بينما اجتمع المحاربون والمبتدئون لتنظيم
دوريات صيد.

انضمّ إليهم قلب النار والنمر الرمادي، وقال قلب النار: «لا أدري
كم سيكون الصيد موفقاً هنا، فالمكان حافل بذوي الساقين».

قرقرت معدة النمر الرمادي وكأنّها توافقه على كلامه، فالتفت إليه
بقيّة المحاربين ونظروا إليه بمرح وتعاطف. فجأة، جمدوا في أماكنهم
عندما سمعوا خشخشة الأعشاب خلفهم. انتصب فراء المحاربين،
وتقوّست ظهورهم، وأبرزوا مخالبهم، لكنّ قلب النار والنمر الرمادي
التفتا بفرح. كانت الرياح قد حملت رائحة مألوفة جدّاً.

«بسّ أدهم!». شهق قلب النار باسم صديقه ما إن رأى الهزّ الأسود
الرقيق وهو يخرج من بين الأعشاب الطويلة.

أسرع قلب النار إلى صديقه القديم ورخّب به بخطمه. خرخر
قائلاً: «كم أنا مسرور برؤيتك!». ثمّ تراجع ليتأمّل بسّ أدهم باستغراب.

ما الذي حلّ بالمبتدئ الأسود الخائف والهزيل؟ كان هذا الهرّ ممتكناً ورشيقاً، كما أنّ فراءه الذي كان خفيفاً في الماضي أصبح يقيه الآن من المطر مثل ورقة شجر سميكة.

ماء بسّ أدهم بسعادة: «بسّ النار!».

صحّح له النمر الرمادي قائلاً: «قلب النار». ثمّ تقدّم وسلّم بأنفه على الهرّ الأسود. «لقد أصبحنا محاربين الآن، وصرت أدعى النمر الرمادي».

زمجر الكفّ الأعرج: «هل تعرفان هذا الهرّ؟».

أجفل قلب النار من العدائية التي بدت في صوته، ونظر إلى قطط العشيرة المتوتّرة، ولام نفسه بصمت لأنّه نادى بسّ أدهم بصوت عالٍ. وتمنّى ألا يكون محاربو النجم المذنّب قد سمعوه بوضوح. فإن ذكرته عشيرة الرياح في أحد الاجتماعات، فسيذيع الخبر بين العشائر كالنار في الهشيم. إذ من المفترض أن يكون بسّ أدهم في عداد الأموات! سأل النمر الوحيد: «أهو شريد؟».

ماء قلب النار بسرعة وهو ينظر إلى بسّ أدهم وقال: «يمكنه مساعدتنا على إيجاد طعام».

هرّ الهرّ الأسود رأسه وقال: «أنا أعرف أفضل أماكن الصيد هنا!». حتّى إنّ فراءه لم يتصب أمام كلّ تلك النظرات العدائية. فكّر قلب النار، كم تغيّز!

سأل الكفّ الأعرج: «ولم يساعدنا هرّ شريد؟».

أجاب النمر الرمادي: «سبق للهرّة الشريفة أن ساعدتنا من قبل. فقد عاوننا هرّ شريد آخر عندما تعرّضنا لهجوم جردان على مقربة من هنا».

تقدّم بسّ أدهم، وخفض رأسه باحترام وهو يتحدّث إلى محاربي
عشيرة الرياح: «اسمحو لي بمساعدتكم! فأنا أدين لقلب النار والنمر
الرمادي بحياتي. وما داما يسافران معكم، فهذا يعني أنكم أصدقاء». ثم
رفع نظره وجال بعينه على قطط عشيرة الرياح، فحدّثوا إليه، وبدا
عليهم الآن التعب لا العدا. كان المطر يتساقط بغزارة أكبر، وبفرائهم
المشعث بدوا أكثر نحولاً من ذي قبل.

قال بسّ أدهم: «سأذهب لإحضار بربر ليساعدنا هو الآخر». ثم
استدار واختفى بين الأعشاب الطويلة.

بدا الفضول في عيني النجم المذنّب، ولكنه لم يطرح على قلب
النار سوى سؤال واحد: «هل يمكننا الوثوق به؟».

نظر قلب النار إلى عينيّ زعيم العشيرة وقال: «تماماً». هزّ
النجم المذنّب رأسه لمحاربيه، فانبسط فرائهم على أكتافهم
وانتظروا باسترخاء.

كان قلب النار مبتلاً حتّى جلده عندما عاد بسّ أدهم. هذه المرّة
أتى بربر برفقته. سلّم قلب النار على الهزّ الشريد الأسود والأبيض،
وفرّح لرؤيته مجدّداً.

ألقي بربر نظرة واحدة على الهرة المبتلة وماء قائلاً: «أنتم بحاجة
إلى ملجأ مناسب، اتبعوني!».

فرّح قلب النار بتحريك قوائمه المتصلّبة، فهبّ واقفاً على الفور.
وقف النمر الرمادي خلفه، بينما بقيت قطط عشيرة الرياح على مسافة
منهم والخوف والريبة باديان في أعينها.

نظر النجم المذنّب إلى عشيرته وقال: «علينا الوثوق به». ثم استدار
ليتبع الهزّ الشريد، فلحق أفراد العشيرة بزعيمهم واحداً تلو الآخر.

قادهم بربر وبسّ أدهم عبر السياج إلى حقل آخر. وفي زاوية محاطة بالنباتات، بين أغصان العليق والقراص، رأوا عشاً مهجوراً لذوي الساقين. كانت الجدران مليئة بالفجوات التي تساقطت منها الأحجار ولم يتبق سوى نصف السقف.

حدّقت قطط العشيرة إلى المكان بخوف وتمتم أحد المسنين: «يستحيل أن أدخل هذا المكان».

فطمأنه بربر: «لم يعد ذوو الساقين يأتون إليه مطلقاً».

أكّد قلب النار: «سيقينا من المطر لبعض الوقت».

قال أحد المبتدئين بصوت عالٍ: «لا أستغرب رغبته في الاختباء في وكر لذوي الساقين، فالبسبوس الأليف يبقى أليفاً».

اقشعرّ جسم قلب النار، إذ لم يكن قد سمع هذه الإهانة منذ عدّة أشهر. لكن، لا بدّ أن يكون خبر انضمام بسبوس أليف إلى إحدى العشائر قد شكّل مادّة حديث دسمة في الاجتماعات. وبالطبع، بلغ الخبر مسامع عشيرة الرياح. استدار وحدّق إلى المبتدئ قائلاً: «أنت أمضيت شهرين في نفق للجرذان، فهل جعل ذلك منك جرذاً؟».

مدّد المبتدئ جسده إلى الأعلى ونفش فراءه، غير أنّ النمر الرمادي وقف بينهما قائلاً: «هيا بنا، فنحن نزداد ابتلااً كلّما مكثنا هنا».

قال النجم المذنب: «لقد واجهنا ما هو أسوأ من مأوى لذوي الساقين خلال الأشهر الماضية، ولن تضرّنا تمضية ليلة هنا».

فتمتمت قطط عشيرة الرياح بعصبية بين بعضها، وبدا عليها التردّد. غير أنّ زهرة الصباح ألقت نظرة على قلب النار، ثمّ حملت صغيرها ودخلت، وتبعته هزة الحضانة الرمادية وهي تدفع صغيرها أمامها لتحميه من المطر. فحذت بقية القطط حذوهما تدريجياً إلى أن أصبحت

جميعها في الداخل.

نظر قلب النار إلى أرجاء المأوى المظلم. كانت الأرض عارية باستثناء بعض الأماكن التي استطاعت فيها الأعشاب أن تشق طريقها من تحت الجدران الحجرية. ومع أن الرياح والمطر تسرباً من فجوات الجدران والسقف، إلا أن المكان كان أكثر جفافاً من الخارج. رأى قطط عشيرة الرياح وهي تشتتم الهواء بفضول. وعندما بدأت تستقر بعيداً عن الفتحات التي يتسرب منها الماء والهواء، نظر إلى النمر الرمادي بارتياح. وحدهما النجم المذنب والكف الأعرج بقيا واقفين.

سأل الكف الأعرج: «ماذا عن الطعام؟».

قال بربر: «أنتم استريحوا جميعاً، فبس...».

قاطعه قلب النار قبل أن ينهي لفظه اسم بس أدهم بصوت عالٍ: «لماذا لا تصطحبنا أنا والنمر الرمادي إلى أفضل أماكن الصيد هنا؟».

قال النجم المذنب: «سيرافكم الكف الأعرج والنمر الوحيد». لم يستطع قلب النار أن يعرف ما إذا كان زعيم عشيرة الرياح لا يزال متردداً في الوثوق بهذين الغريبين، أم أنه مصمم على الإثبات أن عشيرته قادرة على رعاية نفسها.

خرجت القطط الستة إلى المطر. سيكون الصيد صعباً، لكن قلب النار كان يتصور جوعاً، وغالباً ما يجعل منه ذلك صياداً أفضل. هذه الليلة، لن تجد الفئران فرصة للنجاة منه. ماء لبربر وبس أدهم: «دلاني فقط على مكانها!».

قاده الهزان إلى بقعة غابية صغيرة، فأخذ قلب النار نفساً عميقاً من هذه الروائح المألوفة. بعد ذلك، اتخذ وضعية المطاردة وبدأ يتسلل بين نباتات الخنشار.

عادت فرقة الصيد محملة بالطرائد الطازجة. فتشاركت قطط عشيرة الرياح الوليمة مع حلفائها الجدد في تلك الليلة. أكل الجميع - الكبار والصغار - ملء بطونهم، ثم تكوَّروا معاً لتجاذب الألسنة، بينما أخذت الرياح والمطر يعصفان بجدران المأوى.

مع حلول الظلام، نهض بربر قائلاً: «عليّ الذهاب، فقد حان وقت اصطياد الجرذان!».

وقف قلب النار ولامس أنف الهَرّ الشريد بأنفه ثم خرخر قائلاً: «شكراً لك مجدداً، فقد مددت لنا يد المساعدة للمرة الثانية».

أجاب بربر: «أشكرك على إرسال بسّ أدهم إليّ. فهو يتحوّل إلى صياد جرذان ماهر، كما أنّه من الجميل مشاركة وجبة مع صديق من وقت إلى آخر».

سأله قلب النار: «أهو سعيد هنا؟».

«اسأله بنفسك». ثم استدار واختفى في ظلام الليل.

ذهب قلب النار إلى النجم المذنب الذي كان ينظّف أكفّه، فلاحظ كم تبدو متورّمة ومؤلمة. أشار برأسه إلى النمر الرمادي وبسّ أدهم وقال: «إن شئت، سنتناوب على الحراسة هذه الليلة».

نظر النجم المذنب إليه بامتنان، وبدا الإنهاك في عينيه وهو يموء قائلاً: «شكراً لكم». رفّ قلب النار عينيه باحترام لزعيم العشيرة، ثم ذهب لإخبار بسّ أدهم والنمر الرمادي.

كان العرض الذي قدّمه للنجم المذنب حقيقياً، ولكنه يعني أيضاً الانفراد بصديقيه. فقد كان يتوق إلى التحدّث مع بسّ أدهم بعيداً عن مسامع العشيرة وسؤاله عمّا حلّ به. أتى إليه النمر الرمادي وبسّ أدهم ما إن ناداهما.

قادهما قلب النار إلى زاوية في المأوى، بالقرب من المدخل حيث يمكنهم حراسة المكان، لكن بعيداً بما فيه الكفاية عن مسامع القطط الأخرى. سأل الهرّ الأسود ما إن جلسوا: «إذاً، ماذا حلّ بك بعدما تركناك؟».

«ذهبت مباشرة عبر أراضي عشيرة الرياح كما قلت لي».
قال النمر الرمادي: «وماذا عن الكلبين، هل كانا طليقين؟».
«أجل، لكنني لم أواجه أيّ صعوبة في تجنبهما».
استغرب قلب النار مدى عدم اكتراث صديقه بالكلبين وقال متعجباً: «حقاً!».

«اشتممت رائحتهما من مسافة بعيدة، فانتظرت إلى أن حلّ الصباح. وعندما قُيدا مجدداً، رحت أبحث عن بربر. كان رائعاً، وأظنّ أنّه مسرور بوجودي معه». تغيّرت ملامح بسّ أدهم فجأة وهو يضيف بمرارة: «عاملني أفضل بكثير ممّا فعل النمر الشرس. ماذا قلت له؟».
لاحظ قلب النار الخوف الذي بدا في عينيّ بسّ أدهم وهو يتحدث عن مدرّبه القديم، فأجاب بسرعة: «قلنا له إنك قُتلت على يد دورية تابعة لعشيرة الظلال». رأى قلب النار اثنين من مبتدئي عشيرة الرياح يقتربان منهم، فحرّك أذنيه لتحذير صديقيه.

ماء بسّ أدهم بصوت أعلى: «آه أجل، نحن القطط الشريدة نأكل مبتدئي العشائر إن سنحت لنا الفرصة لاصطيادهم».
فرمقه المبتدئان بازدراء، ثمّ ماء قائلين: «أنت لا تخيفنا».
خرخر بسّ أدهم: «حقاً! حسناً، أعتقد أنّ لحمكما قاسٍ على أيّ حال».

سأل أحدهما قلب النار: «كيف صادقتَ هراً شريداً؟».

فأجابه: «المحارب الحكيم يعقد صداقات كلما أتاحت له الفرصة. فلولا هذا الهزّ الشديد، لكنّا نعاني الآن من البرد والجوع، ولما كنّا نائمين في هذا المأوى ببطون ممتلئة». وزمّ عينيه محذراً، فانصرف المبتدئان بعيداً.

ماء بسّ أدهم عندما أصبحوا بمفردهم مجدّداً: «إذاً، تعتقد عشيرة الرعد أنني مت». وحدّق إلى أكفّه وأضاف: «في الواقع، أظنّ أنّ هذا أفضل». ثمّ نظر إلى قلب النار والنمر الرمادي وقال بنبرة دافئة: «لكنني مسرور برؤيتكما مجدّداً». خرخر قلب النار، ووكز النمر الرمادي صديقه بكفّه الخلفي بحنان، فيما تابع هذا الأخير: «لكن يبدو عليكما التعب. خذا قسطاً من النوم وأنا سأقوم بالحراسة، يمكنني الاستراحة غداً». نهض ولعق بلطف رأس كلّ من صديقيه، ثمّ ذهب إلى مدخل المأوى وجلس يحدّق إلى المطر.

نظر قلب النار إلى النمر الرمادي وسأله: «هل أنت متعب؟». «أنا منهك». أسند المحارب الرمادي رأسه على كفّيه وأغمض عينيه.

ألقي قلب النار نظرة أخيرة على بسّ أدهم الجالس عند المدخل. عرف الآن أنّه اتخذ القرار الصائب عندما ساعده على ترك عشيرة الرعد. ربّما كانت نجمة الصباح على حقّ عندما قالت إنّ بسّ أدهم سيكون أفضل حالاً بعيداً عن العشيرة. قال في سرّه: لكلّ هرّ قدره. كان بسّ أدهم سعيداً، وهذا هو المهمّ.

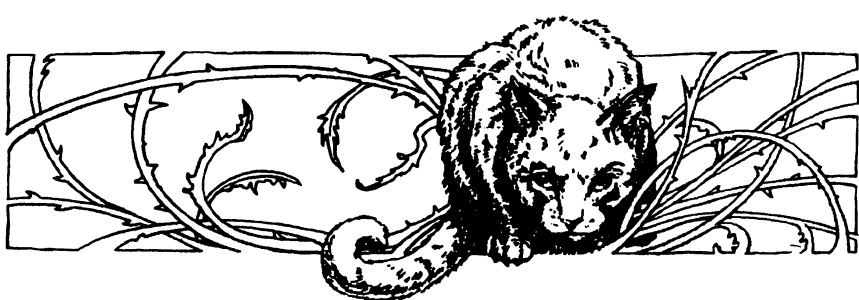
عندما استيقظ قلب النار، كان بسّ أدهم قد رحل والوقت تجاوز الفجر. بدأت السحب الرمادية الممطرة تتبدّد، وقد صُبغت بلون وردي

بفعل أشعة الشمس المشرقة، فبدت مثل أزهار تطفو على سطح بركة. تأملها من خلال فجوة في السقف، بينما بدأت قطط عشيرة الرياح تستيقظ وتتناول شيئاً من بقايا وجبة أمس.

انضمّ هرّ بنّي قصير الذيل إلى قلب النار وحدّق معه إلى السحب. فأجفل هذا الأخير عندما تصاعد مواء فضول من حنجرة الهرّ البنيّ. جذب صوته بقيّة قطط العشيرة التي تحلّقت حوله وهي تتمتم بقلق.

سألته زهرة الصباح: «ما الأمر يا فراء البندق؟ هل كلمتك عشيرة النجوم؟». عندئذٍ، أدرك قلب النار أنّ هذا الهرّ هو مداوي عشيرة الرياح، فتوتر تلقائياً عندما رأى فراء الهرّ المداوي منتصباً.

قال فراء البندق وهو يحدّق إلى السماء بقلق: «السحب مصبوغة بالدماء! إنها إشارة من أجدادنا. ثمة مشاكل تنتظرنا، وقد يجلب هذا اليوم معه موتاً لا لزوم له».



الفصل 7



للحظة، لم تحرّك القطط ساكناً، وخيم عليها الصمت. أخيراً، قال الكفّ الأعرج: «بإمكان كلّ القبائل رؤية هذه السحب. لذا، لا يمكننا أن نجزم أن الرسالة موجّهة إلينا».

تردّد مواء أمل بين أفراد العشيرة، ونظر النجم المذنب إلى عشيرته ثمّ قال بهدوء: «أياً يكن ما ينتظرنا، فإننا عائدون اليوم إلى أرضنا. أنا أستم رائحة المزيد من المطر في الهواء، لذا علينا أن ننطلق». أحسّ قلب النار بالارتياح لنبرة الزعيم العمليّة. فآخر ما يحتاجون إليه اليوم هو نبوءة مشؤومة تنشر الهستيريا بينهم.

تقدّمهم النجم المذنب في هواء الصباح البارد، وتبعه قلب النار والنمر الرمادي. كان زعيم عشيرة الرياح على حقّ، إذ حملت الرياح وعداً بمزيد من المطر وقريباً.

قال قلب النار: «هل نسبّكم لاستطلاع أوضاع الطريق؟».

فأجاب النجم المذنب: «أجل، من فضلكما. أخبراني في حال وجود كلاب أو ذوي ساقين أو جرذان. صحيح أنّ عشيرتي أفضل حالاً هذا الصباح، ولكننا واجهنا مشاكل مع الكلاب لدى خروجنا من الغابة، وعلينا أن نلزم جانب الحذر». أدرك قلب النار من نظرة القلق

التي علت وجه الزعيم أن تحذير فراء البندق أزعجه أكثر ممّا يوحى به كلامه الواثق. قد تكون عشيرته أقوى، ولكنها ليست في حال يسمح لها بقتال أي أعداء.

انطلق قلب النار ولحق به النمر الرمادي، وتناوبا على العودة إلى العشيرة وإخبار النجم المذنب أن الطريق آمن أو تحذيره للانتظار ريثما يمر أحد ذوي الساقين مع كلبه. أمّا قطط عشيرة الرياح، فأطاعت زعيمها بلا اعتراض وهي تسير بثقل؛ على الرغم من قسط الراحة الذي حظيت به ليلاً.

عند علو الشمس، تجمّعت السحب السوداء مجدّداً، وبدأت أولى قطرات المطر تتساقط. أخذت الأرض ترتفع، وعندما شقّ قلب النار طريقه عبر أحد الأسيجة، عرف الطريق الترابي المؤدّي من منطقة ذوي الساقين إلى أراضي عشيرة الرياح، فارتفعت معنوياته، وألقى على النمر الرمادي نظرة انتصار. لقد أوشكنا على الوصول!

سُمع وقع أكفّ مكتوم خلف السياج، فاستدار قلب النار وعاد إلى الحقل. كانت قطط العشيرة قد لحقت بهما، يتقدّمها الكفّ الأعرج الذي بدا عليه الاستغراب من ظهوره المفاجئ.

ماء قلب النار وهو يدلّه على فجوة بين الأوراق المبتلة: «من هنا». كان متلهّفاً لرؤية ردّ فعل العشيرة عندما يلمحون المرتفعات من الجهة الأخرى. فمَرّ الكفّ الأعرج، وبدأت القطط تتوالى خلفه.

مشى قلب النار خلف آخر هزّ، لكنّ الكفّ الأعرج واثنين من المحاربين كانوا قد قفزوا فوق الخندق وعبروا الطريق الترابي، ثمّ بدأوا بعبور السياج من الجهة الأخرى. تسارعت خطواتهم؛ مما يعني أنّهم عرفوا المكان الذي وصلوا إليه. أسرع قلب النار للحاق بهم، وعبر

السياج خلفهم، ثم رافقهم وهم يركضون نحو المنحدر الطويل المؤدي إلى أراضيهم في المرتفعات.

وقف الكف الأعرج ومحاربوه عند أسفل المنحدر بانتظار بقية العشيرة، وأغمضوا أعينهم اتقاء للمطر، ورفعوا رؤوسهم عالياً. رأى قلب النار صدورهم تعلو وتهبط وهم يتنفسون الروائح المألوفة الآتية من التلال.

عاد قلب النار إلى بقية العشيرة للبحث عن زهرة الصباح، فوجدها تمشي بجانب محارب مخطّط يحمل صغيرها بفمه. كانت الهزة البنية تمدّ رأسها كلّ بضع خطوات لاشتتام صغيرها المبتلّ. قريباً ستستقرّ معه في حضانة عشيرة الرياح.

مشى قلب النار إلى جانب النمر الرمادي في الخلف، وتبادلا نظرات الفرح، لكنهما لم يتكلّما من شدة تأثرهما بسعادة عشيرة الرياح بعودتها إلى مخيمها. حتّى إن المسنين أخذوا يسرون بسرعة، بأجساد منخفضة وأعين شبه مغمضة بسبب المطر. وعندما انضمت العشيرة إلى الكف الأعرج عند أسفل المنحدر، وقف النائب وتقدّم النجم المذنب المجموعة. من دون توقّف، بدأ النجم المذنب يتبع طريق الخرفان الضيق عبر نبات الخلنج والأعشاب الشائكة.

ومع اقتراب العشيرة من القمة، سبقهم بعض المحاربين مجدّداً. مشوا عند أعلى التلّ بأجساد فخورة تقاوم العاصفة، بينما هبت عليهم الرياح وتخلّلت فراءهم. كانت أراضيهم القديمة تمتدّ أمامهم. فجأة، اندفع مبتدئان من أمام قلب النار، وأخذا يجريان بين نباتات الخلنج المألوفة.

توتّر النجم المذنب وصاح قائلاً: «انتظرا! ربّما كانت فرق صيد من

عشائر أخرى تتجول هنا!«.

عندما سمعه المبتدئان، توقفوا وعادا للسير إلى جانب العشيرة، لكن فرحة العودة ظلت تشع في أعينهما.

من على قمة صخرية، رأى قلب النار المنخفض الأرضي الذي يخفي مخيم عشيرة الرياح. عندئذٍ، خرخت زهرة الصباح بسرور، وأخذت صغيرها من فم المحارب المخطّط، ثمّ أسرعت باتجاه الغور. حرّك النجم المذنب ذيله، فانطلق ثلاثة من المحاربين لمرافقتها وهي تختفي عند الحافة لتهبّط نحو المخيم.

توقف زعيم عشيرة الرياح، بينما اندفع بقية أفراد عشيرته إلى الأدغال في الأسفل. التفت إلى قلب النار والنمر الرمادي، وعينه تشعان محبة، وماء قائلاً: «إنّ عشيرتي ممتنة للمساعدة التي قدّمتها لنا. فقد أثبتما أنكما محاربان جديران بعشيرة النجوم. والآن، بعدما عادت عشيرة الرياح إلى أرضها، حان الوقت لتعودا أنتما أيضاً إلى أرضكما». أحسّ قلب النار بشيء من الخيبة. فقد أراد أن يرى زهرة الصباح مستقرة في الحضانة مع صغيرها. بيد أنّ النجم المذنب كان محقّقاً، إذ لم تعد ثمة حاجة لبقائهما هنا لمدة أطول.

قال النجم المذنب: «قد تصادفان فرق صيد معادية في الجوار، لذلك سيرافقكما النمر الوحيد والكفّ الأعرج حتّى الأشجار الأربع». خفض قلب النار رأسه قائلاً: «شكراً لك أيّها النجم المذنب».

نادى النجم المذنب محاربيه وأعطاهما أوامره، ثمّ حوّل نظراته المتعبة إلى قلب النار مجدّداً وقال: «لقد قدّمتما مساعدة عظيمة لعشيرة الرياح. أخبر نجمة الصباح أنّ عشيرة الرياح لن تنسى أبداً أنّ عشيرة الرعد هي التي أعادتها إلى أرضها».

تقدّمهما الكفّ الأعرج باتّجاه الأشجار الأربع، ولحق به قلب النار والنمر الرمادي وإلى جانبهما النمر الوحيد. مشوا على مقربة من بعضهم في طريق ضيقة عبر أجمة قندول كثيفة شكّلت لهم مظلة واقية من المطر.

فجأة، توقّف النمر الوحيد واشتّم الهواء، ثمّ أعلن قائلاً بسرور: «ثمة أرنب!». وانطلق مبتعداً بين نباتات القندول، فتوقّف الكفّ الأعرج وانتظر، ورأى قلب النار ومضة في عيني النائب المتعبتين. سُمع وقع أكفّ مسرعة في البعيد مرفقة بخشخشة القندول، ثمّ عمّ الصمت. بعد لحظة، عاد النمر الوحيد حاملاً أرنباً كبيراً بين فكّيه. مال النمر الرمادي نحو قلب النار وقال: «أجده أكثر مهارة بقليل من محاربي عشيرة النهر، أليس كذلك؟». فخرخر قلب النار موافقاً.

وضع النمر الوحيد صيده على الأرض وقال: «من يرغب في مشاركتي؟».

التهموا الأرنب بسرور. وعندما فرغ قلب النار من تناول حصّته، جلس يلعب شفّتيه. أحسّ بنشاط أكبر بعد هذه الوجبة، لكنّ البرد بدأ ينخر عظامه، كما شعر بالألم في أكفّه. إن تبع هو والنمر الرمادي الطريق التي أتيا منها بعد الأشجار الأربع، فبانتظارهما سفر طويل. ماذا لو سلكا الطريق المختصر عبر أراضي عشيرة النهر؟ في النهاية، كانا في مهمّة تمّ الاتفاق عليها من قبل العشائر كافة خلال اجتماع العشائر، فهل يمكن أن تعترض عشيرة النهر إن عبّرا أراضيها؟ فهما لن يسرقا أيّ طرائد. نظر قلب النار إلى رفاقه وماء قائلاً: «أعرفون أنّنا سنصل أسرع إن سلكنّا طريق النهر؟».

رفع النمر الرمادي رأسه، وكان يلحق كَفّه، ثم قال: «لكنّ هذا يعني عبور أراضي عشيرة النهر».

قال قلب النار: «سنسلك المضيق، فعشيرة النهر لا تصطاد هناك لأنّه عميق جدّاً، وهم لا يهبطون إليه دوماً».

وضع النمر الرمادي كَفّه الرطب على الأرض وتمتم قائلاً: «مخاليبي تؤلمني، ولن أمانع سلوك طريق أقصر». ثمّ نظر إلى نائب عشيرة الرياح بعينين صفراوين مفعمتين بالأمل.

فكّر الكفّ الأعرج ثمّ قال: «لقد أمرنا النجم المذنب بمرافقتكما إلى الأشجار الأربع».

فقال قلب النار بسرعة: «إن لم ترغبا في المجيء معنا فسنستفهم ذلك. إن اجتياز أراضي عشيرة النهر لن يستغرق منا وقتاً يذكر، ولا أظنّ أنّنا سنواجه أيّ مشاكل».

هزّ النمر الرمادي رأسه موافقاً، لكنّ الكفّ الأعرج عارضه قائلاً: «لن نسمح لكما باجتياز أراضي عشيرة النهر بمفردكما. فأنتما منهكان، وإن واجهتما مشاكل فلن تتمكنّا من التصدّي لها بهذه الحالة». كان قلب النار مقتنعاً ومصمّماً على إقناع الكفّ الأعرج أيضاً: «لن نلتقي أحداً!».

حدّق إليه الكفّ الأعرج بعينه المستنّيتين الحكيمتين وقال: «إنّ سلكتنا تلك الطريق فستعرف عشيرة النهر أنّ عشيرة الرياح قد عادت». حرّك قلب النار أذنيه بفهم وقال: «وعندما يشتمّون رائحة حديثة لقطط عشيرة الرياح فقد يمتنعون عن المجيء لصيد الأرانب في أرضكم».

لحق النمر الوحيد آخر آثار الصيد عن شفّتيه وقال: «هذا يعني أنّنا

سنعود إلى المخيم قبل طلوع القمر!».

قال الكفّ الأعرج: «أنت لا تحلم سوى بالنوم في فراش مريح في وكرك!». كان صوته جاداً، لكنّ عينيه ومضتاً بلطف.

سأله قلب النار: «إذاً، هل سنذهب عبر أراضي عشيرة النهر؟». أجابه الكفّ الأعرج: «أجل». ثمّ غيّر اتجاهه وقاد القطط عبر طريق غرير قديم بعكس اتجاه المرتفعات الجرداء. وسرعان ما وصلوا إلى أراضي عشيرة النهر. وعلى الرغم من الريح والمطر، استطاع قلب النار سماع خرير النهر المتدفّق على مسافة أمامهم.

توجّهت القطط نحو صوت النهر. وكلّما تقدّمت كان الدرب ينكمش، إلى أن أصبح عبارة عن خطّ ضيق من الأعشاب على طرف مضيق عميق. من جهة، امتدّت الأرض الصخرية نحو الأعلى على ارتفاع شاهق. ومن جهة أخرى، انخفضت في انحدار مستقيم إلى الأسفل. استطاع قلب النار رؤية الطرف الآخر للمضيق على مسافة عدّة ثعالب. بدت المسافة ضيقة جداً، حيث تساءل عمّا إذا كان باستطاعته اجتيازها في قفزة واحدة. ربّما لو لم يكن متعباً وجائعاً... في تلك اللحظة، شعر بوخز في أكفّه خوفاً من السقوط، ولكنّه لم يستطع أن يقاوم النظر إلى الأسفل.

تحت أكفّه، انخفضت الأرض في جرف سحيق. تعلّقت نباتات الخنشار بتنوءات صغيرة، ولمعت أوراقها؛ ليس من المطر بل من رذاذ السيل الذي كان يرغي ويزبد في قعر المضيق.

ابتعد قلب النار عن الحافة، واقشعر فراؤه خوفاً. أمامه، تقدّم الكفّ الأعرج والنمر الوحيد والنمر الرمادي خافضين رؤوسهم. سيتعيّن عليهم السير على هذه الطريق إلى أن يتمكّنوا من الخروج منها عبر شريط غابي

ضيق يمتدّ بينهم وبين أراضي عشيرة الرعد.

تعثر قلب النار وهو يسرع للحاق بهم. لاحظ أن أذني الكفّ الأعرج ارتفعتا عالياً، وانخفض ذيله إلى أن أصبح يجزّه على الأرض تقريباً. من الواضح أن النمر الوحيد توتّر هو الآخر، إذ راح ينظر بحدّة إلى الأعلى وكأنّه سمع شيئاً. غير أن قلب النار لم يسمع سوى هدير النهر. نظر بعصبية خلفه، وانتقلت نظراته يميناً ويساراً وقد ساورته الشكوك بسبب حذر هرّي عشيرة الرياح.

بدأ المنحدر السحيق ينسط، إلى أن تمكّنوا من الابتعاد عن الجرف. كان المطر لا يزال ينهمر على وجوههم، وعرف قلب النار من السماء التي بدأت تظلم أن الشمس تغيب، لكن قريباً سيصلون إلى الغابة. هناك، ستحميهم الأغصان من المطر. أحسّ قلب النار بالسرور وهو يفكر بالطعام وبفراش جاف.

فجأة، ارتفع مواء تحذير من حنجرة الكفّ الأعرج، فاشتّم قلب النار الهواء وتذوّقه. ثمّة دورية لعشيرة النهر في الجوار. علا صرير من خلفهم، فاستدارت القطط لتجد نفسها أمام ستّة محاربين من عشيرة النهر مندفعين باتّجاههم. انتصب فراء قلب النار ذعراً، وذلك لأنّ الوادي السحيق بمياهه المتدفّقة ما زال قريباً منهم على نحو مخيف.

انقضّ عليه هرّ بني داكن من عشيرة النهر، فتدحرج بعيداً عن المضيق، وركله بغضب بقائمتيه الخلفيتين. أحسّ بأسنان المحارب تُغرز في كتفيه، فكافح للإفلات منه. أخذ يتقلّب يائساً على الأرض المبتلة محاولاً التحرّر من قبضته، غير أن المحارب أنشب مخالبه الحادة في جسده، فالتوى قلب النار وأطبق فكّيه على مهاجمه. سمع المحارب وهو يموء، إلّا أن هذا الأخير غرز مخالبه في جسده بشراسة أكبر، وهسّ

قائلاً: «هذه آخر مرّة تطأ فيها أراضي عشيرة النهر».

أدرك قلب النار أنّ رفاقه يقاومون بضراوة، وكان يعرف أنّهم منهكون مثله بسبب الرحلة الطويلة. سمع النمر الرمادي وهو يموء بقوة، بينما هسّ النمر الوحيد بألم وغضب. فجأة، بلغت مسمعيه صرخة آتية من خلفهم. كانت مشبعة بالغضب، ولكنها ملأت قلبه بالأمل. كانت صرخة حرب أطلقها النمر الشرس! اشتّم قلب النار رائحة دورية عشيرة الرعد التي راحت تقترب بسرعة؛ النمر الشرس، غصن الصفصاف، الرعب الأبيض، وبسة الرمال.

قفزت قطط عشيرة الرعد إلى المعركة وهي تموء وتبصق. فأقلت الهزّ البنيّ قلب النار الذي وقف بسرعة. رأى النمر الشرس يسمرّ هزّاً رمادياً مخطّطاً على الأرض، ويعاجله بعضّة في قدمه الخلفية، فهرب الهزّ بين الأدغال وهو يموء بألم. استدار النمر الشرس وثبتّ نظر عينيه الشاحبتين على فراء الفهد. كانت نائب عشيرة النهر المرقطة تتصارع مع الكفّ الأعرج، ولم يكن المحارب الأعرج يجاري الهزّة شراسة. استعدّ قلب النار لينقذه، لكنّ النمر الشرس سبقه. اندفع المحارب الداكن إلى الأمام، وأمسك بكتفي فراء الفهد العريضتين. وبصرخة حادة، أبعدا عن نائب عشيرة الرياح الهزيل.

سمع قلب النار صرخة قويّة خلفه، فاستدار ورأى بسة الرمال مشتبكة في عراك مع هزّة أخرى من عشيرة النهر. أخذت الهزتان تتلويان وتتقلبان فوق العشب الرطب، وتهاجمان بعضهما بشراسة. غير أنّه شهق فجأة عندما رآهما تتدحرجان نحو الحافة الصخرية للمضيق! مسافة قصيرة، وستسقطان في الهاوية.

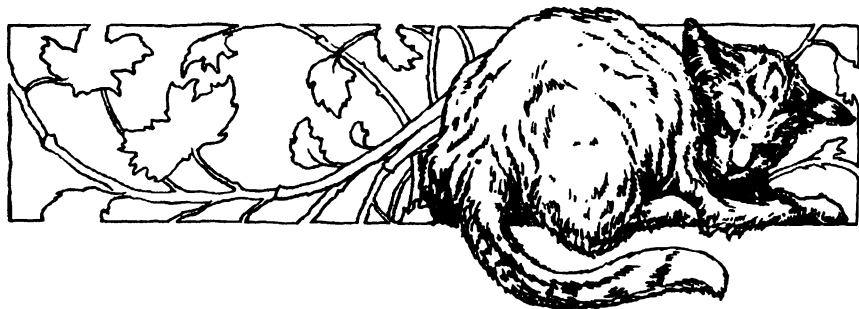
أسرع قلب النار إليهما. وبضربة واحدة، أبعد محاربة عشيرة النهر

عن بسّة الرمال، وبعيداً عن الحافة. لكنّ بسّة الرمال انزلقت واقتربت من الهاوية أكثر، فأسرع وأمسكها من عنقها بأسنانه. أخذت تصيح غاضبة وهو يجزّرها بعيداً عن الهاوية، وأكفّها تنبش الأرض الوحلية. أخيراً، ما إن توقّف، حتّى أفلتت منه ووقفت تهسّ في وجهه وعيناها تشتعلان غضباً: «أنا قادرة على خوض معاركي بنفسي!».

فتح قلب النار فمه ليشرح لها، لكنّهما التفتا عندما سمعا صرخة مدوّة. كان النمر الرمادي منحنيّاً فوق الهاوية ومتشبّثاً بقائمتيه الخلفيتين. بجانبه، لمح قلب النار كفاً أبيض متعلّقاً بالحافة. انحنى النمر الرمادي فاتحاً فمه وحاول الإمساك بالكفّ، لكنّه اختفى بسرعة مخيفة، فصاح المحارب الرمادي خلفه، وتردّد صدى صيحته في أرجاء الوادي.

توقّفت القطط الأخرى عن العراك عندما سمعت صرخة النمر الرمادي. وجمد قلب النار في مكانه مصدوماً ومنهكاً، بينما تدافعت قطط عشيرة النهر إلى حافة الهاوية. تبعها قلب النار ونظر إلى الأسفل. في قعر الوادي السحيق، وبين رذاذ النهر الهادر، رأى رأساً داكناً لأحد محاربي عشيرة النهر وهو يغرق تحت سطح الماء.

في تلك اللحظة، أحسّ برعب بارد يتملّك جسده وهو يتذكّر كلام الهزّ المداوي في عشيرة الرياح: «قد يجلب هذا اليوم معه موتاً لا لزوم له».



الفصل 8



رفعت فراء الفهد رأسها وصاحت: «الكف الأبيض! لا!». تراجع النمر الرمادي إلى الخلف إلى أن أصبحت أكفّه الأربعة آمنة على الأرض. كان فراؤه الرطب مقشعراً، وعيناه متسعيتين من شدة الصدمة. «حاولت أن أمسك به... لكنّ قدمه زلّت... لم أكن أقصد...». تدافعت الكلمات من فمه وهو يلهث، فهرع قلب النار إليه، وضغط أنفه على جسده للتهديئة من روعه، لكنّه ابتعد إلى الخلف من دون أن يراه. تراجعت القطط الأخرى عن الحافة واحدة تلو الأخرى، ونظرت إلى النمر الرمادي. كانت أعين قطط عشيرة النهر تعتمل غضباً وأكتافها متوترة. اقتربت غصن الصفصاف والرعب الأبيض من النمر الرمادي تلقائياً، واتّخذوا وضعية دفاعية من جانبه.

زمجرت فراء الفهد، لكنّ التحذير كان موجّهاً لقطط عشيرتها، إذ أمرتها بالبقاء بعيداً. نظرت نائب عشيرة النهر إلى النمر الشرس وتمتمت: «لقد تجاوز الأمر مجزّد عراك حدودي. سنعود إلى عشيرتنا ونسوّي هذه المسألة في وقت آخر، وبطريقة مختلفة».

بادلها النمر الشرس نظرات التحدي، ولم يبدُ عليه الخوف، بل اكتفى بهزّ رأسه قليلاً. حرّكت فراء الفهد طرف ذيلها، ثم استدارت

مبتعدة، ولحقت بها قطط عشيرتها، واختفت الدورية بين الأدغال.
ارتعش قلب النار عندما سمع تهديد فراء الفهد، وتوجّس شراً،
وخيم الخوف على قلبه مثل ظلّ بارد عندما أدرك أنّ هذه المعركة قد
تكون بداية حرب.

ماء الكفّ الأعرج وهو يتقدّم: «علينا الرحيل. لقد ساعدنا هذان
المحاربان الشابان كثيراً، وعشيرتي ممتنة لكم». غير أنّ عبارات الشكر
الرسمية بدت فارغة بعد المأساة التي شهدوها للتوّ. هزّ النمر الشرس
رأسه، ثم سلك محارباً عشيرة الرياح طريق العودة إلى أرضهما. ماء
قلب النار بوداع خافت للنمر الوحيد وهو يمرّ من أمامه، فألقى عليه
هذا الأخير نظرة خاطفة وابتعد.

لاحظ قلب النار أنّ بسّة الرمال واقفة عند حافة الوادي تحدّق إلى
التيار في الأسفل. كانت أكفّها مسمرة على الأرض ونظراتها مركّزة على
الهاوية السحيقة، فعرف أنّها أدركت للتوّ كم كانت قريبة من المصير
الذي ألّم بالكفّ الأبيض.

بدأ يقترب منها، لكنّ النمر الشرس زمجر قائلاً: «اتبعوني!».
تقدّم المحارب المخطّط بين الأشجار، فلحقت به دوريته، لكنّ
قلب النار تردّد وبقي إلى جانب النمر الرمادي، وحثّه قائلاً: «تعال، علينا
أن نواصل السير!». هزّ المحارب الرمادي كتفيه، وبدا الحزن والألم في
عينيه. وأخيراً، مشى خلف أفراد عشيرته وهو يجزّ أكفّه جزاً، وكأنّها من
الصخر.

سرعان ما اختفت القطط أمامهما، لكنّ قلب النار ظلّ يتعقّبهم
بواسطة الرائحة. كان النمر الشرس يقودهم إلى أراضيهم عبر الشريط
الغابي التابع لعشيرة النهر. فتجنّب دوريات عشيرة النهر لم يعد له داعٍ

لأنّ الضرر وقع، وسيكون من العبث سلوك الطريق الأبعد الذي يمرّ بالأشجار الأربع.

كان النمر الشرس قد توقّف مع بقيّة الدورية في انتظار قلب النار والنمر الرمادي عند حدود عشيرة الرعد.

زمجر قائلاً: «ألم أقل اتبعوني؟».

قال قلب النار: «كان النمر الرمادي...».

قاطع النمر الشرس: «كلّما أسرع النمر الرمادي في العودة إلى المخيم، كان ذلك أفضل».

لم يقل النمر الرمادي شيئاً، لكنّ قلب النار أجفل من نبرة النائب القاسية. «لم يكن موت الكفّ الأبيض ذنبه!».

التفت النمر الشرس بعيداً وماء قائلاً: «أعرف، لكنّ ما حدث قد حدث. هيّا بنا، وابقيا معنا هذه المرّة!». وقفز ليعبر علامات الرائحة المحيطة بأراضي عشيرة الرعد.

منذ أن غادر قلب النار وكر عشيرة الرياح بين دروب الرعد وهو يتطلّع إلى هذه اللحظة. غير أنّه بالكاد لاحظ وصوله الآن وهو يتجاوز العلامات وعينه على النمر الرمادي.

بينما كانوا يسلكون الطريق المعتاد إلى المخيم، بدأ هطول المطر يتوقّف. وعندما عبرت الدورية نفق القندول، خرجت بعض قطط العشيرة من أوكارها رافعة أذيالها عالياً في تحية للقادمين.

سألتهم الفأرة السمراء: «هل عثرت على عشيرة الرياح؟ هل هم بخير؟». هزّ قلب النار رأسه بشرود ولكنه لم يُجب، فخفضت الفأرة السمراء ذيلها. بقيت القطط الأخرى عند أطراف الفسحة، وذلك لأنّ ملامح القطط العائدة لا تبشّر بالخير.

أمر النمر الشرس كلاً من قلب النار والنمر الرمادي قائلاً: «تعاليا معي». وتقدّمهما إلى وكر نجمة الصباح. بقي قلب النار بجوار النمر الرمادي، حيث احتك فراؤه بفراء صديقه. فتابع هذا الأخير طريقه من دون أن يقترب من صديقه أو يبتعد عنه.

رَحَبَ بهم مواء حارّ من الظلال خلف ستارة الأشنة، فدخلت القطط الثلاثة إلى الوكر.

أتت إليهم نجمة الصباح وهي تخرخر قائلة: «أهلاً بكما! هل عثرتما على عشيرة الرياح؟ هل أعدتما العشيرة إلى أرضها؟».

أجابها قلب النار بصوت خافت: «أجل يا نجمة الصباح. إنهم بأمان في مخيمهم، وقد طلب منّي النجم المذنّب أن أشكرك».

مأّت نجمة الصباح: «هذا ممتاز». غير أنّ نظراتها تبدّلت عندما رأت تعبير النمر الشرس المتجهّم. «ماذا جرى؟».

أجاب النمر الشرس: «قرّر قلب النار العودة عبر أراضي عشيرة النهر».

فرفع النمر الرمادي نظره للمرة الأولى وقال: «لم يكن قلب النار وحده الذي قرّر...».

قاطعته النمر الشرس: «فعثرت عليهم دورية لعشيرة النهر. ولو لم تصل دوريتي في الوقت المناسب، لما عادا مطلقاً».

هتفت نجمة الصباح باسترخاء: «إذاً، قمتم بإنقاذهما. شكراً لك أيها النمر الشرس».

قال ساخراً: «الأمر ليس بهذه البساطة. فقد كانوا يتعاركون عند المضيق، وانتهى القتال بسقوط محارب من عشيرة النهر في الهاوية بينما كان يتعارك مع النمر الرمادي». لاحظ قلب النار كيف أجفل صديقه

عندما سمع كلام النائب.

اتّسعت عينا نجمة الصباح من أثر الصدمة وسألته: «وهل مات؟». ماء قلب النار بسرعة: «كان حادثاً! فالنمر الرمادي لن يقدم على قتل هرّ خلال عراك حدودي!».

التفت إليه النمر الشرس وهو يهزّ ذيله يميناً ويساراً وقال: «أشكّ في أن تنظر فراء الفهد إلى المسألة من هذه الزاوية. بماذا كنت تفكرّ حين مررت بأراضي عشيرة النهر؟ ومع قطع من عشيرة الرياح! لقد وجّهت لهم رسالة بأننا حلفاؤهم، وهذا سيقرب أكثر بين عشيرة النهر وعشيرة الظلال».

بدا خوف أكبر على نجمة الصباح التي سألت: «وهل كانت عشيرة الرياح معكما في أراضي عشيرة النهر؟». تتمم قلب النار: «اثنان فقط. أرسلهما النجم المذنّب لمرافقتنا. كنّا متعبين...».

صاح النمر الشرس: «ما كان يجدر بكما المرور في أراضي عشيرة النهر، لا سيّما مع قطع عشيرة الرياح». اعترض قلب النار: «لكنّه لم يكن تحالفاً، كانا يرافقاننا في طريق العودة!».

صاح النمر الشرس: «وهل تعرف عشيرة النهر ذلك؟». «عشيرة النهر تعرف أنّا ذهبنا للعثور على عشيرة الرياح وإعادتها، وقد وافقت على ذلك خلال اجتماع العشائر. ما كان يجدر بهم مهاجمتنا، فقد كنّا في مهمّة خاصّة؛ تماماً مثل الرحلة إلى الأحجار العالية». قال النمر الشرس بحدّة: «لكنّهم لم يوافقوا على السماح لنا بعبور أراضيهم! ما زلت تجهل قوانين العشائر، أليس كذلك؟».

وقفت نجمة الصباح، وومضت عيناها وهي تنظر إلى القطط الثلاثة، لكنّ صوتها كان هادئاً وهي تقول: «ما كان يجدر بكما دخول أراضي الصيد التابعة لعشيرة النهر. كان ذلك عملاً خطراً». ونظرت بجديّة إلى المحاربين الشابين. بحث قلب النار في عينيها عن لوم أكثر قسوة لكنّه لم يجده، فأحسّ أنّ شعوره يتأرجح بين الامتنان والإحساس بالذنب. فقد تسبّب في خلاف مع عشيرة النهر من شأنه أن يهدّد أمن عشيرته لأشهر عديدة.

تابعت نجمة الصباح وهي تهزّ ذيلها بعدم ارتياح: «في الوقت نفسه، أحسنتما فعلاً بالعثور على عشيرة الرياح وإعادتها إلى أرضها. لكن، علينا أن نعدّ أنفسنا لهجوم من عشيرة النهر. يجب أن نبدأ بتدريب المزيد من المحاربين. اسمعاً أيّها المحاربان. أخبرني بياض الثلج أنّ اثنين من صغارها أصبحا جاهزين للبدء بالتدريب. أريد أن يتولّى كلّ منكما تدريب مبتدئ».

ذهل قلب النار. يا له من شرف! لم يصدّق أن تقترح نجمة الصباح ذلك، ولا سيّما الآن. ألقي نظرة خاطفة على النمر الشرس الذي جلس بتصلّب كما لو أنّه قدّ من صخر.

رفع النمر الرمادي رأسه وقال: «لكنّ صغيّري بياض الثلج لم يبلغا شهرهما السادس بعد!».

«سيفعلان قريباً. فالانقسامات التي رأيتهما في آخر اجتماع تقلقني، واليوم...». بقيت جملة نجمة الصباح معلقة، ولاحظ قلب النار أنّ النمر الرمادي نظر مجدّداً إلى أكفّه.

حدّق إليها النمر الشرس بعينه العنبريتين القاسيتين وسألها: «أليس من الأفضل الطلب من محاربين أكثر خبرة مثل النمر الذّيال أو النمر

الأسود تولّي تدريب مبتدئ آخر؟ فهذان الاثنان ما زالوا أقرب إلى المبتدئين!».

«فكرت بذلك، لكنّ النمر الذئال سيكون منشغلاً بما فيه الكفاية مع بسّ رشيق، والنمر الأسود يعمل على إعداد بسّ أغبر ليصبح محارباً كاملاً».

«وماذا عن البرق الخاطف؟».

«البرق الخاطف صياد ماهر ومحارب مخلص، ولكنني لا أظنّ أنّه يملك الصبر للتدريب. ستستفيد عشيرة الرعد أكثر من مهاراته في مجالات أخرى».

ماء النائب بازدرء: «أتظنّ أنّ هذين الاثنين يملكان المواصفات اللازمة لتدريب محاربي عشيرة الرعد؟».

أجفل قلب النار لأنّ النمر الشرس كان يرمقه وحده وهو يتكلّم. فتساءل بغضب: هل يظنّ أنّ البسبوس الأليف غير قادر على تدريب قطط العشائر؟

حدّقت نجمة الصباح إلى نائبها وقالت: «هذا ما سنكتشفه. لا تنسَ أنّهما أعداء عشيرة الرياح إلى أرضها. وبالطبع، أنا أعتمد عليك للإشراف على التدريب». هزّ النمر الشرس رأسه، والتفتت نجمة الصباح إلى قلب النار والنمر الرمادي، ثمّ أمرتهما قائلة: «اذهبا لأكل شيء، ثمّ خذا قسطاً من الراحة. سنقيم حفل تسمية الصغيرين عند علوّ القمر».

قاد قلب النار صديقه إلى خارج الوكر، وترك النائب مع زعيمة العشيرة. كان المطر قد تحوّل إلى رذاذ خفيف.

ماء قلب النار: «أنا أتضوّر جوعاً». كان يشتم رائحة الصيد الطازج في الفسحة. «هل ستأتي معي لتناول شيء؟».

وقف النمر الرمادي خلفه وبدا الشرود والحزن على عينيه. رفض بهزة بطيئة من رأسه وتمتم قائلاً: «أريد أن أنام وحسب». عندما أحسّ قلب النار بالشبع، عاد إلى وكر المحاربين. كان صديقه متكوراً على نفسه، ورأسه مدفون بين كفيه. أحسّ بثقل في عينيه، لكنّ فراءه ما زال مبتلاً، فأجبر نفسه على الاغتسال جيّداً قبل أن يستقرّ في فراشه الدافئ.

أيقظت غصن الصفصاف قلب النار بوكزة خفيفة وهمست: «حان وقت الاحتفال».

رفع رأسه وماء قائلاً وهي تغادراً الوكر: «شكراً». وكز صديقه هامساً: «سيبدأ الاحتفال». ثم وقف ومدّد جسده إلى الأعلى إلى أن ارتجفت قوائمه. أحسّ بوخز في أكفّه من شدة الحماسة وهو يفكر أنّه على وشك أن يصبح مدرّباً!

تحرك النمر الرمادي، ونهض ببطء مثل هرّ مسنّ، فأحسّ قلب النار كما لو أنّ أكفّه تذكرت فجأة رحلتها الطويلة، وعادت تؤلمه مجدداً. على الأقلّ توقّف المطر. ذهب المحاربان إلى الفسحة بصمت، بينما أرسل القمر نوره فوق الأشجار وصبغ أغصانها المبتلة بلون فضّي. «أحسنتما بإعادة عشيرة الرياح إلى أرضها!». أجفل قلب النار عندما سمع الصوت المرح، فالتفت ليرى الذيل الأتر يجلس إلى جانبه. «تعاليا في إحدى الأمسيات لإخبارنا بما جرى».

هزّ قلب النار رأسه بشرود، ثم نظر إلى الفسحة. كانت بياض الثلج جالسة أساساً تحت الصخرة العالية، وإلى جانبيها هرّان صغيران، أحدهما رمادي والآخر أشقر. أمالت الهرة البيضاء رأسها ولعقت

صغيريها خلف آذانهما. فهزّت الهزة الرمادية الصغيرة رأسها بنفاد صبر
بينما كانت أمّها تدلّلها.

مجدّداً، تحرّك فراء قلب النار حماسة.

إلى جانبه، جلس النمر الرمادي يحدّق إلى الأرض فسأله: «ألست
متحمّساً؟».

هزّ النمر الرمادي كتفيه بلا اكتراث.

خفض قلب النار صوته وقال: «اسمع يا صديقي، موت الكفّ
الأبيض ليس خطأك، فالمكان لم يكن مناسباً إطلاقاً للهجوم، وكان
يجدر بقطط عشيرة النهر أن تدرك ذلك. حتّى إنّ بسّة الرمال كادت
تسقط في الهاوية هي الأخرى».

ونظر إلى بسّة الرمال الجالسة في الجوار. جلس بسّ أغبر إلى
جانبها، وحدّق إلى قلب النار بغيرة واضحة. لكنّ قلب النار لا يستطيع
لومه. فهو يوشك أن يصبح مدرّباً، في حين أنّ بسّ أغبر لم يحصل بعد
على اسم محارب. أجفل عندما مال بسّ أغبر نحو بسّة الرمال وهمس
لها بصوت عالٍ بما فيه الكفاية لسمعه قلب النار: «أشعر بالأسف على
تلميذ قلب النار. تخيلي هزّ عشيرة يدرّبه بسبوس أليف!».

بيد أنّ بسّة الرمال لم تتجاوب معه هذه المرّة، بل اكتفت بإلقاء
نظرة غير مريحة على قلب النار.

التفت قلب النار إلى النمر الرمادي وأصرّ قائلاً: «نجمة الصباح
لا تلومك، فهي تعرف أنّك محارب جيّد، حتّى إنّها ستكلّفك بتدريب
مبتدئ».

نظر النمر الرمادي إليه وأجاب بمرارة: «إنّها تفعل ذلك لأنّ عشيرة
الرعد تحتاج إلى المزيد من المبتدئين. ولماذا تحتاج إليهم؟ لأنني

منحت عشيرة النهر عذراً لمعاداتنا!».

صُدم قلب النار بسبب القسوة في نبرة النمر الرمادي. في تلك اللحظة، علا مواء نجمة الصباح وهي تدعوهم إلى الاجتماع. فلم يقل المزيد، بل ذهب إلى زعيمة العشيرة ولحق به النمر الرمادي بكآبة. عندما وصلا إلى وسط الفسحة، تأملت نجمة الصباح القطط المجتمعمة وقالت: « نجتمع هذه الليلة لتسمية مبتدئين جديدين. تقدّما أنتما الاثنان».

اندفعت الهرة الرمادية من جانب أمّها إلى وسط الفسحة رافعة ذيلها المنفوش، ونظرت حولها بعينيهما الزرقاوين الكبيرتين. أمّا الهرة الأشقر فاقترب ببطء، ورفع أذنيه وعبس بجديّة وهو يقترب من أسفل الصخرة العالية.

تسارع نبض قلب النار وهو يفكر: أيهما سيكون من نصيبه؟ أحسن أنّ تدريب الهرة الأشقر ذي الملامح الجادة سيكون أسهل، لكنّ شيئاً ما في حماسة الهرة الرمادية ذكره بنفسه عندما انضمّ إلى العشيرة للمرة الأولى.

مئات نجمة الصباح وهي تحدّق إلى الهرة الرمادية الصغيرة: «من الآن فصاعداً، وحتى تكسب هذه المبتدئة اسم محاربة، ستدعى بسّة الرماد».

«بسّة الرماد!». مئات الهرة الرمادية باسمها الجديد بصوت عالٍ. وعندما هست بياض الثلج لإسكاتها، خفضت رأسها معتذرة. تابعت الزعيمة: «قلب النار، أنت جاهز لتدريب أوّل تلميذة لك. ستبدأ بتدريب بسّة الرماد». أحسّ قلب النار بالفخر. «أنت محظوظ يا قلب النار لأنّك حصلت على أكثر من مدرّب. وأتوقّع أن تنقل كلّ

ما تعلّمته إلى هذه المبتدئة الشابة»- فجأة، بدأ قلب النار يحسّ بثقل المسؤولية التي تلقيها نجمة الصباح على كاهله، ويتساءل عما إذا كان جاهزاً لها- «وأن تشاركها المهارات التي تعلّمتها من النمر الشرس وقلب الأسد».

عند ذكر اسم قلب الأسد، تخيل قلب النار المحارب الذهبي وهو ينظر إليه من الفراء الفضّي بعينه الدافئتين والمليئتين بالتشجيع، ورفع رأسه، ونظر إلى نجمة الصباح بثبات قدر الإمكان.

حوّلت نجمة الصباح نظرها إلى الهزّ الأشقر، وتابعت: «أمّا هذا المبتدئ فسيعرف باسم بسّ أشقر». غير أن بسّ أشقر لم يتحرّك أو يقل شيئاً.

«أيّها النمر الرمادي، ستتولّى تدريب بسّ أشقر. كنت قد تدربّت تحت إشراف صديقنا الراحل قلب الأسد، وآمل أن تنقل مهارته وحكمته إلى تلميذك الجديد».

رفع النمر الرمادي رأسه عالياً عند سماعه كلام نجمة الصباح، ولمع الفخر في عينيه للحظة، ثم اقترب وسلّم على تلميذه الجديد بأنفه. فبادله بسّ أشقر السلام بهذيب. وحدهما عينا هذا الهزّ الشاب اللتان شعّتا مثل نجمتين أظهرتا أنّه لا يقلّ حماسة عن شقيقته.

ما إن رأى قلب النار الهزّين وهما يتلامسان بالأنف حتى أدرك أنّه كان يجدر به القيام بالمثل، فاقترب بسرعة في اللحظة التي رفعت فيها بسّة الرماد رأسها فجأة، واصطدم أنفه بأنفها على نحو مؤلم. لامست بسّة الرماد أنفه مرّة أخرى بارتباك أقلّ هذه المرّة، بينما دمعت عينا قلب النار ألماً. غير أنّه شعر بالارتباك عندما لاحظ أنّ بسّة الرماد تحاول منع شاربها من الانتفاض من شدّة الحماسة. فذكر نفسه قائلاً: أصبحت

مدرباً الآن.

نظر حوله إلى بقيّة أعضاء العشيرة، فوجدهم يهزّون رؤوسهم باستحسان. أخيراً، وقع نظره على النمر الشرس الجالس عند أطراف الفسحة، وبدا له أنّ النائب يسخر منه بنظراته العنبرية.

عاد نظره ليستقرّ على بسّة الرماد التي كانت تحدّق إليه بفخر واضح. فجأة، اقشعرّ جسده. فقد أراد من كلّ قلبه أن يصبح محارباً عظيماً ومدرباً جيّداً، لكن من الواضح أنّ النمر الشرس ينتظر سقوطه.



الفصل 9



استيقظ قلب النار، ووجد النمر الرمادي إلى جانبه منحنيًا على بطنه مثل أرنب. كانت كتفاه متصلبتين وفراؤه منفوشًا. فمًا بصوت خافت: «ما الأمر؟».

أجفل النمر الرمادي.
«هل أنت بخير؟»

استقام وأجاب: «أجل». أحس قلب النار أن مواء صديقه المرح لم يكن صادرًا من قلبه، ولكنه على الأقل يحاول أن يكون إيجابيًا أكثر. ماء قلب النار: «يبدو الطقس باردًا». فقد خرج كلام النمر الرمادي مرفقًا بسحابة بيضاء. كان لا يزال مندسًا بين الأجسام الدافئة لبقية المحاربين.

انحنى صديقه ليلعق صدره وقال: «أجل!». جلس قلب النار وهز رأسه، فأحس أن الهواء كالجليد. سأل صديقه: «ماذا ستفعل اليوم مع بسّ أشقر؟». «سأريه الغابة».

«يمكنني إحضار بسّة الرماد لنذهب معًا». «ربّما يستحسن أن نذهب كلّ بمفرده اليوم».

أَحَسَّ قلب النار بشيء من الألم. فقد تعرّفَا على أراضي الصيد التابعة لعشيرة الرعد معاً عندما كانا مبتدئين، وكان يتمنى أن يقوموا بذلك مجدداً كمدربين. لكن، إن رغب النمر الرمادي في الذهاب بمفرده، فهو لا يستطيع أن يلومه. ماء قائلاً: «حسناً، إلى اللقاء. يمكننا لاحقاً أن نتشارك فأراً ونقارن المبتدئين».

«فكرة جيّدة».

خرج قلب النار من الوكر ليجد الجو أكثر برودة في الخارج. كانت أنفاسه تخرج من خطمه كال دخان. ارتجف ونفث فراءه، ثم مدّد قوائمه كلاً على حدة. كانت الأرض تحت أكفّه صلبة كالصخر وهو يذهب إلى وكر المبتدئين. وجد بسّة الرماد مستغرقة في النوم، وبدت أشبه بكرة رمادية منفوشة تعلو وتهبط على وقع أنفاسها.

ناداها بصوت خافت: «بسّة الرماد». فرفعت الهزة الرمادية رأسها فوراً. تراجع إلى خارج الوكر، وسرعان ما خرجت بسّة الرماد مليئة بالحماسة.

ماء متسائلة وهي تنظر إليه وتحرك أذنيها بهجة: «ماذا سنفعل اليوم؟».

«فكرت في اصطحابك في جولة في أراضي عشيرة الرعد».

سألته بلهفة: «وهل سنرى درب الرعد؟».

«ممم... أجل، سنراه». فكر أن بسّة الرماد ستشعر بالخيبة عندما تكتشف كم يبدو المكان قدراً وكرهه الرائحة. سألتها: «هل أنت جائعة؟». لم يعرف ما إذا كان يجدر به أن يطلب منها أن تأكل أولاً. هزت رأسها نافية: «كلاً!».

«آه، حسناً. سنأكل لاحقاً. اتبعيني إذاً».

«حسناً». نظرت إليه الهرة الشابة بعينين براقيتين، فبعثت فيه إحساساً دافئاً بالفخر بدد الحزن الذي تسلل إلى قلبه منذ حديثه مع صديقه الرمادي. فاستدار متّجهاً إلى مدخل المخيم.

أسرعت بسة الرماد خلفه، وانطلقت عبر نفق القندول، فاضطرّ قلب النار إلى الجري ليلحق بها، وناداهما وهي تتسلق سفح الوادي بسرعة: «ظننت أنني قلت اتبعيني!».

«لكنني أريد رؤية المنظر من الأعلى».

لحق بها وسبقها إلى الحافة بسهولة، ثم جلس يلحق كفّه وعيناه عليها وهي تقفز من صخرة إلى أخرى. وعندما وصلت إلى أعلى السفح كانت تلهث، لكنّ حماسها لم تخب. قالت: «انظر إلى الأشجار! تبدو وكأنّها مصنوعة من حجر القمر».

كانت على حقّ، إذ لمعت الأشجار في الأسفل بلون أبيض تحت أشعة الشمس. أخذ قلب النار نفساً عميقاً من الهواء البارد، وحذرهما قائلاً: «عليك توفير طاقتك، فأمامنا يوم طويل».

«آه أجل، حسناً. بأيّ اتجاه سنذهب الآن؟». راحت تقفز على الأرض بنفاد صبر، مستعدة للانطلاق في الغابة.

ماء قائلاً: «اتبعيني». ثمّ زمّ عينيه وأضاف بمرح: «وأنا أعني ما أقوله هذه المرّة!». ثمّ تقدّمها إلى درب على طول طرف الوادي، ووصولاً إلى الغور الرملي الذي تعلّم فيه الصيد والقتال.

شرح لها قائلاً: «هنا نقيم معظم جلسات التدريب». في فصل الحرّ، تسلّل أشعة الشمس من بين الأشجار مكوّنة بقعاً مضيئة على الأرض. أمّا الآن، فقد تسرّب ضوء النهار البارد وانعكس على الأرض الحمراء الباردة كالجليد.

قال قلب النار وهو يشير بخطمه: «كان ثمة نهر يجري هنا منذ أشهر، وثمة جدول ما زال يتدفق خلف تلك التلة هناك، غير أنه يجف معظم فصل الحرّ. هناك اصطدت أوّل فريسة لي».

«وماذا اصطدت؟». لكنّ بسّة الرماد لم تنتظر الجواب، بل تابعت: «هل سيتجمّد الجدول؟ تعال لنرى!». وانطلقت تهبط إلى الغور متّجهة نحو التلة.

ناداها قلب النار: «ستريه مرّة أخرى!». لكنّ بسّة الرماد واصلت الجري، فاضطر إلى اللحاق بها. توقّف إلى جانبها عند أعلى التلّ ونظرا معاً إلى الجدول. كان الجليد قد تكوّن عند ضفّتيه، لكنّ سرعة المياه وهي تتدفق فوق قعره الرملي منعتة من التجمّد تماماً.

ماءات بسّة الرماد: «لا يمكن صيد الكثير هناك الآن، باستثناء السمك ربّما».

عندما رأى قلب النار البقعة التي اصطاد فيها فريسته الأولى، عاودته الذكريات السعيدة. رأى بسّة الرماد تقف عند طرف الجدول وتحني عنقها لتحّدق إلى الماء الأسود، فحدّرها قائلاً: «لو كنت مكانك، لترك صيد السمك لعشيرة النهر. إن كانوا يحبّون أن يبتلّ فروّهم، فهم أحرار. أمّا أنا، فأفضّل أن تبقى أكفّي جافة».

دارت بسّة الرماد حول نفسها وسألته: «والآن، ماذا سنفعل؟». ملأته حماسها وذكرياته بالطاقة، فقفز مبتعداً وقال من خلف كتفه: «إلى شجرة البوم!». فلحقت به رافعة ذيلها القصير المنفوش.

عبرا الجدول من فوق جذع الشجرة المقطوعة التي استخدمها قلب النار مرّات عديدة من قبل. كان الجذع الأبيض قد جُرّد من لحائه، لذلك حدّرها قائلاً: «ثمة صخور بارزة على مسافة أبعد، لكنّ هذا الطريق

أسرع. ومع ذلك، كوني حذرة! فهو يصبح زلقاً بسبب الماء أو الجليد». تركها تعبر أولاً، وظلّ على مقربة منها خشية أن تزلّ كفّها. لم يكن الجدول عميقاً، ولكنه بارد كالجليد، وما زالت بسة الرماد صغيرة لتحتمل البلل.

عبرت الجذع بسهولة، وأحسّ بشيء من الفخر وهو يشاهد تلميذته تقفز على أرض الغابة. فخرخر قائلاً: «أحسنّت».

لمعت عينها وماءت قائلة: «شكراً. والآن، أين شجرة البوم تلك؟». «من هذا الطريق!». شقّ قلب النار طريقه بين الشجيرات. كانت نباتات الخنشار قد أصبحت بنية بعد فصل الحرّ. وبعد انتهاء فصل الرياح، ستسوى بالأرض بفعل المطر والرياح، غير أنّها ما زالت الآن عالية ويابسة. مشى مع تلميذته بسة الرماد تحت أغصانها المقوسة. ارتفعت أمامهما شجرة سنديان ضخمة طغت على الأشجار المحيطة بها، فرفعت بسة الرماد رأسها إلى الأعلى ونظرت إليها وقالت: «هل تعيش بومة هنا حقاً؟».

أجاب قلب النار: «أجل. أترين تلك الفجوة في الجذع؟». زمّت عينها لتحّدق بين الأغصان، ثم سألته: «وكيف تعرف أنّها ليست جحر سنجاب؟». «اشتّمّي الهواء!».

اشتّمت ثم هزّت رأسها يميناً ويساراً، ونظرت إليه بفضول. قال: «سأعرفك على رائحة السناجب في يوم آخر، لأنك لن تشتمّيها هنا. فالسنجاب لا يجرؤ على العيش على مقربة من جحر بومة. انظري إلى الأرض، ماذا ترين؟».

نظرت بسة الرماد إلى الأسفل بحيرة وقالت: «أوراق».

«انبشيتها قليلاً».

كانت أرض الغابة مفروشة بأوراق السنديان البنية التي صلبها الجليد. بدأت تشتم ما بينها قبل أن تدخل أنفها في وسطها حتى أذنيها. وعندما جلست، كانت تحمل في فمها شيئاً بحجم وشكل كوز الصنوبر. بصقته قائلة: «ياه، رائحته كرائحة طعام الغربان!». فخرخر قلب النار بمرح.

«كنت تعرف بوجوده، أليس كذلك؟».

«انطلت عليّ هذه الخدعة أنا أيضاً عندما كانت نجمة الصباح تدرّبني. لن تنسي رائحتها أبداً».

«ما هذا؟».

«إنّها فضلات بومة». وراح يتذكّر ما قالته له نجمة الصباح: «طيور البوم تأكل الطرائد نفسها التي نأكلها، ولكنها لا تستطيع هضم العظام والفراء، ولذلك تلفّ في بطونها الفضلات على شكل أكواز وتبصقها. إن عثرت عليها تحت شجرة، فهذا يعني أنك عثرت على بومة».

سألته والخوف بادٍ في عينيها: «ولماذا تودّ العثور على بومة؟». اهتزّ شارب قلب النار وهو ينظر إلى عينيها الكبيرتين والزرقاوين مثل عيني أمّها. لا بدّ أن يياض الثلج روت لها قصّة العجائز عن أن طيور البوم تخطف القطط الصغيرة التي تبتعد عن أمّها.

«باستطاعة البومة رؤية الغابة على نحو أفضل منّا. وفي الليالي العاصفة، عندما يصعب تتبّع الروائح، يمكنك البحث عن طيور البوم والذهاب إلى حيث تصطاد». كانت عينا بسّة الرماد لا تزالان تحمقان إليه بدهشة، لكن من دون خوف. هزّت رأسها، وفكّر قلب النار بارتياح أنّها تصغي أحياناً!

«والآن، إلى أين؟».

«إلى الجميزة العظيمة». مشيا عبر الغابة مع شروق الشمس في السماء الزرقاء الشاحبة، وعبرا طريقاً لذوي الساقين وجدولاً صغيراً آخر. أخيراً، وصلاً إلى شجرة الجميز.

شهقت بسنة الرماد: «كم هي ضخمة!».

ماء قلب النار قائلاً: «يزعم شمشوم أنه تسلّقها حتى القمة عندما كان مبتدئاً».

«هذا مستحيل!».

فقال مماًزحاً: «هذا ما أظنه أنا أيضاً. فعندما كان شمشوم مبتدئاً لا بد أن هذه الشجرة كانت مجرد شتلة!». كان لا يزال يحدّق إلى الأعلى عندما سمع صوت خشخشة خلفه، فعرف أن سنة الرماد ابتعدت مجدداً. فتنهّد وبدأ يطاردها بين أجسام السرخس. التقط أنفه رائحة مألوفة، سببت له التوتر، وعرف أن سنة الرماد متوجهة إلى صخور الأفاعي، فأسرع خلفها.

خرج من بين الأشجار ونظر حوله بقلق، فرآها واقفة على صخرة في أسفل المنحدر الصخري الشاهق. نادته قائلة: «هيا، سأسابقك حتى القمة!».

جمد في مكانه مذعوراً بينما جثمت استعداداً للقفز على الصخرة التالية، فصاح قائلاً: «سنة الرماد! انزلي من هناك!».

حبس أنفاسه بينما استدارت ونزلت مجدداً. وقفت وهي ترتجف، وانتصب فراؤها بينما اندفع قلب النار إليها قائلاً: «هذا المكان يدعى صخور الأفاعي».

نظرت إليه بذهول: «صخور الأفاعي!».

«أجل، فالثعابين تعيش هنا. وعضّة واحدة منها كافية لقتل هرّة صغيرة مثلك!». لعق رأسها بلطف وقال: «تعالى لنلقي نظرة على درب الرعد».

توقّفت عن الارتجاف فوراً وهتفت: «درب الرعد؟».

«أجل، اتبعيني!». قادها عبر نباتات الخنشار على طول الطريق الممتدّ حول صخور الأفاعي، ووصولاً إلى الجزء من الغابة الذي يشقّه درب الرعد مثل نهر رمادي صلب.

أبقى عينيه على بسّة الرماد وهما يحدّقان إلى الطريق من طرف الغابة. وعرف من ذيلها المنتفض أنها تتوق إلى الاقتراب واشتتام الطريق. بدأ فراء أذنه يهتزّ مع اقتراب هدير مألوف، واستطاع أن يشعر بالأرض ترتجف تحت أكفّه، فحذّرها قائلاً: «ابقي مكانك! ثمة وحش قادم».

فتحت فمها قليلاً، وماءت قائلة وهي ترفع أنفها وتخفض أذنيها: «يا لها من رائحة مقرّزة!». كان التهدير يقترب مع ظهور شكل في الأفق. «أهذا وحش؟». أجابها قلب النار بهرّة من رأسه.

أنشبت بسّة الرماد مخالبها في الأرض مع اقتراب الوحش، وأغمضت عينها بقوة وهو يمرّ من أمامهما مثيراً عاصفة من الرياح والغبار. ظلّت عيناها مغمضتين إلى أن اختفى الضجيج في البعيد.

هزّ قلب النار رأسه لتنظيف غدد الرائحة لديه ثمّ قال: «اشتَمّي الهواء، هل تجددين فيه رائحة أخرى غير رائحة درب الرعد الكريهة؟». انتظر بينما رفعت بسّة الرماد رأسها وأخذت عدّة أنفاس عميقة.

أجابت بعد بضع لحظات: «أذكر هذه الرائحة، شممتها عندما هاجم النجم نمرود مخيّمنا. كانت عالقة أيضاً على القطط التي اختطفها

عندما أعدتموها إلى المخيم. إنها رائحة عشيرة الظلال! هل هذه الأرض الممتدة خلف درب الرعد أرضهم؟».

أجابها: «أجل». وأحسّ بقشعريرة عندما فكر أنه على هذه المقربة من أرض عشيرة معادية. «من الأفضل لنا الابتعاد من هنا».

قرّر اصطحاب بسّة الرماد عبر طريق العودة الطويل الذي يمر بمنطقة ذوي الساقين لكي ترى غابة الصنوبر ومنطقة الأشجار المقطوعة. ولدى مرورهما بين أشجار الصنوبر الطويلة، أحسّ قلب النار بعدم ارتياح لدى اشتداده روائح منطقة ذوي الساقين، مع أنه كان يعيش في مكان غير بعيد من هنا في صغره. فحذر بسّة الرماد وهي تمشي إلى جانبه: «كوني حذرة، فذوو الساقين يمرّون من هنا أحياناً مع كلابهم». جثم الهزان تحت الأشجار للنظر إلى الأسيجة التي تحيط بأراضي ذوي الساقين. حمل الهواء البارد رائحة إلى قلب النار حرّكت فيه إحساساً غريباً بالدفع، مع أنه لم يعرف السبب.

«انظر!». أشارت بسّة الرماد إلى هزة تمشي في الغابة. كانت الهزة المخططة بلونها البني الفاتح تتميز بصدر أبيض وكفين أماميين أبيضين. أمّا بطنها فكان منتفخاً ومثقلاً بصغار لم يولدوا بعد.

قالت بسّة الرماد وهي تنفّس فراءها: «بسبوسة أليفة! تعال لنطردها من هنا!».

توقع قلب النار أن يساوره الإحساس بالعداء المألوف لدى رؤية غريب على أراضي عشيرة الرعد، لكنّ فراءه ظلّ منبسّطاً. لسبب ما لم يفهمه، عرف أن هذه الهزة لا تشكّل خطراً. وقبل أن تتمكّن بسّة الرماد من الهجوم، تعمّد الاحتكاك بأجمة خشنة من السرخس.

عندما سمعت الهزة صوت تكسّر الأغصان، رفعت رأسها،

وَاتَّسَعَتْ عَيْنَاهَا ذِعْرًا قَبْلَ أَنْ تَسْتَدِيرَ وَتَفْرَّ هَارِبَةً بِسُرْعَةٍ بَيْنَ الْأَشْجَارِ.
وَبَعْدَ لَحْظَاتٍ، قَفَزَتْ مِنْ فَوْقَ سِيَاحٍ لَذْوِي السَّاقَيْنِ.
تَذَمَّرَتْ بَسَّةُ الرَّمَادِ: «كَلَّا! كُنْتُ أَوْدَ مَطَارِدَتِهَا! أَنَا وَاثِقَةٌ أَنَّ بَسَّ أَشْقَرٍ
قَامَ بِمَطَارِدَاتٍ عَدِيدَةٍ الْيَوْمَ».

أَجَابَهَا وَهُوَ يَهْزُ ذِيلَهُ بِاتِّجَاهِهَا: «صَحِيحٌ، لَكِنَّهُ عَلَى الْأَرْجَحِ لَمْ
يُوشِكْ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِعَضَّةِ ثَعْبَانٍ. وَالْآنَ تَعَالِي، بَدَأْتُ أَشْعُرُ بِالْجُوعِ».
لَحَقَتْ بِهِ بَسَّةُ الرَّمَادِ عِبْرَ غَابَةِ الصَّنُوبَرِ وَهِيَ تَتَذَمَّرُ مِنَ الْإِبرِ الَّتِي
تَخْزُ أَكْفَهَا. أَمَرَهَا قَلْبُ النَّارِ بِالتَّزَامِ الصَّمْتِ، لِأَنَّهُ مَا مِنْ أَدْغَالٍ هُنَا
لِلْإِخْتِبَاءِ فِيهَا؛ الْأَمْرُ الَّذِي يَجْعَلُ أَيَّ هَزِّ عَشِيرَةٍ يَحْسَنَ بَعْدَ الْأَمَانِ. سَلَكَ
إِحْدَى الطَّرِيقِ ذَاتِ الرَّائِحَةِ الْكَرِيهَةِ الَّتِي شَقَّتْهَا آكَلَةُ الشَّجَرِ، وَتَوَقَّفَا عِنْدَ
أَطْرَافِ مَنطَقَةِ الْأَشْجَارِ الْمُقْطُوعَةِ. كَانَ الصَّمْتُ يَسُودُ الْمَكَانَ، وَسَيَبْقَى
عَلَى حَالِهِ حَتَّى يَحْلَ فَصْلَ اخْضِرَارِ الْأَوْرَاقِ مُجَدِّدًا. فِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ،
وَحْدَهَا الْآثَارُ الْعَمِيقَةُ وَالْعَرِيضَةُ الْمُتَجَمِّدَةُ فِي التَّرَابِ سَتَذَكَّرُ عَشِيرَةُ
الرَّعْدِ بِالْوَحْشِ الَّذِي يَعِيشُ فِي غَابَتِهِمْ.

عِنْدَمَا عَادَا إِلَى الْمَخِيمِ، كَانَ قَلْبُ النَّارِ مِنْهَكًا. فَقَدْ كَانَتْ عَضَلَاتُهُ
تَوَلَّمُهُ أَسَاسًا بَعْدَ الرِّحْلَةِ الطَّوِيلَةِ مَعَ عَشِيرَةِ الرِّيَّاحِ. بَدَا التَّعَبُ عَلَى بَسَّةِ
الرَّمَادِ هِيَ الْأُخْرَى؛ إِذْ كَبِتَتْ تَثَاوُبُهَا وَذَهَبَتْ تَبَحُّثٌ عَنْ بَسِّ أَشْقَرٍ.
لَمَحَ قَلْبُ النَّارِ صَدِيقَهُ الرَّمَادِي يُشِيرُ إِلَيْهِ مِنْ جَانِبِ أَجْمَةِ الْقَرَاصِ.
مَاءُ النَّمْرِ الرَّمَادِي: «تَعَالِ، فَقَدْ أَحْضَرْتُ بَعْضَ الصَّيْدِ». ثُمَّ عَلَّقَ
فَأَرَا مَيْتًا بِمَخْلَبِهِ وَرَمَاهُ لَصَدِيقِهِ.

التَّقَطُّهُ قَلْبُ النَّارِ بِأَسْنَانِهِ، وَجَلَسَ إِلَى جَانِبِ النَّمْرِ الرَّمَادِي، ثُمَّ
سَأَلَهُ بِفَمِ مَلَّانٍ: «كَيْفَ كَانَ يَوْمُكَ؟».
«أَفْضَلُ مِنْ يَوْمِ أَمْسٍ». نَظَرَ إِلَيْهِ قَلْبُ النَّارِ بِقَلْقٍ، وَلَكِنَّهُ تَابَعَ قَائِلًا:

«في الواقع، لقد استمتعت به؛ فبسن أشقر يريد التعلم، هذا أكيد!».

«وكذلك بسنة الرماد». وعاد يمضغ طعامه.

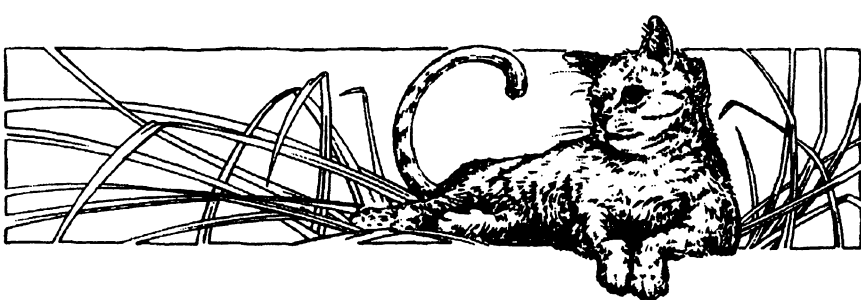
تابع النمر الرمادي يقول بمرح: «في الحقيقة، كنت أنسى دائماً أنني المدرّب ولست مبتدئاً!».

أقرّ قلب النار: «وأنا كذلك».

تجاذبا الألسنة حتّى طلوع القمر، ثمّ دخلا الوكر بسبب برودة الليل. سرعان ما غطّ النمر الرمادي في النوم، لكنّ قلب النار ظلّ مستيقظاً. فقد لازمته صورة الهرة الحامل، ومع أنّه كان محاطاً بروائح عشيرة الرعد المأنوفة، إلّا أنّ رائحتها الناعمة ما زالت عالقة في أنفه.

استغرق في النوم أخيراً، لكنّ أحلامه كانت عابقة بالرائحة نفسها، إلى أن حلم أخيراً بأيّام صغره. تذكّر كيف كان ممدّداً بجانب بطن أمه، ومكوراً في سرير أكثر نعومة من طحالب الغابة مع أشقائه وشقيقاته. مع ذلك، بقيت رائحة الهرة في أنفه.

فجأة، فتح قلب النار عينيه واستيقظ تماماً. بالطبع! كانت الهرة التي رآها في الغابة... شقيقته!



الفصل 10



استيقظ قلب النار وصورة شقيقته لا تزال واضحة في ذهنه. خرج من الوكر على أمل أن يصرف الروتين اليومي انتباهه، فوجد بانتظاره صباحاً جليدياً آخر. كان الرعب الأبيض والنمر الذّيال ينتظران بجانب مدخل المخيم استعداداً للانطلاق في دورية. مرّت الفأرة السمراء من أمامه للانضمام إليهما، وألقت عليه تحية مرحّة. نادى الرعب الأبيض بسّة الرمال التي أتت تجري من وكرها في الوقت المحدّد للانضمام إلى الدورية وهي تغادر المخيم. كان قلب النار قد رأى هذا المشهد مرّات عديدة، لكنّها المرّة الأولى التي لا يتوق فيها للانضمام إليهم وهم يندفعون عبر الغابة.

تجوّل في الفسحة متسائلاً عما إذا كانت بسّة الرماد قد استيقظت، فوجد عين الزمرد تخرج من الحضانة. لحق بها صغير مرقط، وخلفه آخر، ثمّ خرج صغير ثالث ذو لون رمادي فاتح مع بقع داكنة اللون أكثر، وأخذ يتعثّر ويسقط على الأرض.

حملته عين الزمرد من مؤخّر عنقه، ووضعت بلطف على أكفّه. غير أنّ حنان عين الزمرد أعاد إليه ذكرى حلمه. ربّما فعلت أمّه الشيء نفسه. كان يعرف أنّ الصغير الرابع الذي أنجبته عين الزمرد مات بعد وقت

قصير من ولادته، لهذا السبب ازدادت تعلقاً ببقية أولادها.
أحسن بشيء من الحسد وهو يفكر أن القطط الأخرى التي تعيش
هنا تتشارك في أمر حرم منه؛ فجميعها من أبناء العشيرة. في الواقع،
لطالما أحسن بالفخر لولائه للعشيرة التي احتضنته ومنحته حياة ما
كان ليعرفها لو ظل بسبوساً أليفاً. وما زال يشعر بهذا الولاء، فهو على
استعداد للتضحية بحياته من أجل حماية عشيرة الرعد، لكنّ أحداً في
العشيرة لا يفهم أو يحترم أصوله كبسبوس أليف. أمّا الهرة التي رآها
أمس فستفعل بلا أي شك. أحسن بالألم يعتصر قلبه وهو يتساءل عن
الذكريات التي يمكن أن يتشاركها.

سمع وقع خطوات النمر الرمادي الثقيلة خلفه، فالتفت لتحية
صديقه، ومدّ رأسه ليلامس أنفه، ثمّ سأله: «هلاً تولّيت اليوم أمر تدريب
بسّة الرماد».

نظر إليه بفضول: «لماذا؟».

أجاب بنبرة عرضية: «آه، لا شيء مهمّ. أردت التحقق وحسب من
شيء رأيته أمس. لكن، راقبها جيداً، لأنّها لا تصغي إلى الأوامر. لا ترفع
عينيك عنها، وإلا فستنطلق في كلّ اتجاه».

اهتزّ شارب النمر الرمادي مرحاً وقال: «يبدو أنّها ستشغلني كثيراً!
لكنّ هذا سيكون جيداً لبسّ أشقر. فهو لا يتعد مطلقاً من دون التفكير
في الأمر مسبقاً».

«شكراً لك يا صديقي!». انطلق قلب النار إلى مدخل المخيم قبل
أن يتمكن النمر الرمادي من سؤاله عن وجهته.

عندما بدأت منطقة ذوي الساقين تلوح من بين الأشجار، خفض
جسده وفتح فمه ليستنشق هواء الصباح البارد. لم يجد فيه أثراً لدورية

عشيرة الرعد أو لذوي الساقين، فاسترخى قليلاً.

اقترب ببطء من سور ذوي الساقين الذي اختفت الهرة عنده يوم أمس. تردّد في الأسفل، ونظر حوله ثم اشتّم الهواء مرّة أخرى. أخيراً، قفز وهبط على أحد أعمدة السور بسهولة. لم يرَ أحداً من ذوي الساقين، بل مجرّد حديقة خالية وعابقة برائحة الأزهار.

شعر قلب النار أنّه مكشوف على العمود. تدلّى غصن شجرة فوق رأسه. صحيح أنّه كان خالياً من الأوراق، ولكن من السهل الاختباء عليه. وهكذا، تسلّقه بصمت وتمدّد هناك منتظراً، ومستلقياً على اللحاء الخشن.

رأى قلب النار فتحة في مدخل منزل ذوي الساقين. كان معتاداً على استخدام فتحة مثلها في صغره، فركّز نظره عليها آملاً أن يظهر وجه أخته في أيّ لحظة. ارتفعت الشمس ببطء في السماء، لكنّه بدأ يشعر بالبرد. إذ كان الغصن البارد يسحب الدفء من جسده. ربّما كان ذوو الساقين يحبسون أخته في الداخل. ففي النهاية، ستلد قريباً. لعق كفه، وتساءل إذا كان يجدر به العودة إلى المخيم.

فجأة، سمع قعقعة عالية. وحين نظر رأى أخته تخرج من الفتحة. تموّج فراؤه ترقباً، وبذل جهداً ليمنع نفسه من القفز إلى حديقته على الفور. فقد عرف أنّه سيخيفها؛ تماماً كما فعل أمس، لا سيّما وأنّ رائحته لم تعد رائحة بسبوس أليف، بل أصبحت شبيهة برائحة قطط الغابة.

انتظر إلى أن وصلت إلى أطراف المساحة العشبية، ثمّ زحف إلى طرف الغصن وانزلق على السياج. قفز بهدوء في الأجسام في الأسفل، وأعادت إليه رائحة الهرة ذكريات حلمه.

كيف يلفت انتباهها من دون أن يخيفها؟ عاد بذهنه إلى الوراء

محاولاً أن يتذكّر الاسم الذي سُمّيت به، إلاّ أنّه لم يتذكّر سوى اسمه عندما كان بسبوساً أليفاً. فناداها بصوت خافت من بين الأعشاب: «هذا أنا، سمسم!».

توقّفت الهرة فجأة ونظرت حولها، فأخذ قلب النار نفساً عميقاً وخرج من الأجسام.

اتّسعت عينا الهرة خوفاً. عرف قلب النار كيف يبدو بنظرها؛ فهو هرّ نحيل وبرّي يحمل في فرائه روائح الغابة الحادة. انتصب فراء الهرة وهست بشراسة، فأعجب قلب النار بشجاعتهما.

فجأة تذكّر اسمها. «أميرة! هذا أنا سمسم، أخوك! ألا تذكريني؟». بقيت أميرة متوتّرة، وخمّن قلب النار أنّها تتساءل من دون شكّ كيف عرف هذا الهرّ الغريب اسميهما. فجثم بخضوع، وملاً الأمل قلبه وهو يرى ملامح الهرة تتبدّل ببطء من الخوف إلى الفضول.

«سمسم!». اشتمّت أميرة الهواء والخوف لا يزال بادياً في عينيها، فتقدّم قلب النار بحذر خطوة إلى الأمام. وحين لم تتحرّك، اقترب أكثر. فبقيت في مكانها إلى أن أصبح على مسافة فأر منها. ماءت قائلة: «رائحتك ليست كرائحة سمسم».

«هذا لأنني لم أعد أعيش مع ذوي الساقين، فأنا أعيش في الغابة مع عشيرة الرعد، وأحمل رائحتها الآن». أدرك قلب النار أنّها لم تسمع على الأرجح بالعشائر، وتذكّر براءته قبل أن يقابل النمر الرمادي في الغابة. اقتربت أميرة، ومزّرت خطمها بحذر على خذّه، ثمّ تمتمت وكأنّها تحدّث نفسها: «لكنّك ما زالت تحمل رائحة أمّنا». ملأ كلامها قلب النار سروراً، لكنّها زمّت عينيها وتراجعت إلى الخلف، خافضة أذنيها في إشارة عدم ثقة: «لماذا أتيت؟».

«رايتك البارحة، فعدت لكي أتحدّث معك».

«لماذا؟».

نظر إليها قلب النار باستغراب وأجاب: «لأنك شقيقتي». لا بدّ أنّها تشعر بشيء نحوه.

تأمّلته للحظة، واستراح قلبه عندما اختفت ملامح الحذر عن وجهها. مأت قائلة: «أنت نحيل جداً».

«ربّما أنا نحيل أكثر من البسايس الأليفة، لكنني لست كذلك بالنسبة إلى هرّ عشيرة، أي هرّ غابة. حلمت برائحتك في الليلة الماضية. حلمت بك وبأشقائنا وشقيقاتنا...». صمت قليلاً ثمّ سألتها: «أين أمنا؟». «ما زالت تعيش عند أصحابها».

«وماذا عن...؟».

عرفت أميرة ما سيسألها عنه فقالت: «ماذا عن أشقائنا وشقيقاتنا؟ معظمهم يعيشون في الجوار. أنا أراهم في حدائقهم من وقت إلى آخر». جلسا بصمت لبعض الوقت، ثمّ سألتها: «هل تذكرين الفراش الناعم في سلّة أمنا؟». أحسّ بشيء من الذنب لأنّه اشتاق إلى نعومة حياة البسبوس الأليف، لكنّ أميرة خرخرت مجيبة: «أوه، أجل. أتمنّى لو كنت أملك فراشاً مشابهاً لصغاري».

تبدّد انزعاج قلب النار، فقد استمتع بالحديث عن تلك الذكريات الجميلة من دون خجل. سألتها: «هل هذا حملك الأوّل؟».

هزّت أميرة رأسها، وبدا الارتياح في عينيها. أحسّ قلب النار بالتعاطف معها، فمع أنّهما في السنّ نفسها، إلّا أنّها بدت له صغيرة وبريئة جداً. ماء وهو يتذكّر صغار عين الزمرد: «ستكونين بخير. يبدو عليك أنّك تتلقّين معاملة جيّدة، وأنا واثق أنّ صغارك سيكونون أصحّاء

وأمين».

اقتربت منه أميرة واحتك فراؤها بفرائه، فأحس بعاطفة كبيرة داخله. وللمرة الأولى منذ أن كان هزاً صغيراً، لاحظ الأمور التي تُعتبر من المسلّمات لدى قطط العشائر: علاقة القرابة، والرابط الذي تحدّده الولادة والإرث.

فجأة، رغب في إخبار شقيقته عن الحياة التي يعيشها الآن. «هل تعرفين شيئاً عن العشائر؟».

حدّقت إليه أميرة باستغراب وأجابت: «سمعتك تذكر عشيرة الرعد».

هزّ رأسه قائلاً: «تعيش في الغابة أربع عشائر. في العشيرة، نعني ببعضنا بعضاً. يصطاد الشباب للمسّنين، ويقوم المحاربون بحماية أرض العشيرة من العشائر الأخرى. تدرّبت طوال فصل الحرّ لأصبح محارباً، والآن أصبحت لديّ متدربة». لاحظ قلب النار من ملامح الاستغراب التي بدت على وجه شقيقته أنّها لا تفهم كلّ ما يقوله، ولكن مع ذلك لمعت عيناها سروراً وهو يتحدّث.

مادت برهبة: «يبدو أنّك مسرور بحياتك».

نادى صوت من داخل المنزل، فهبّ قلب النار واقفاً واختبأ تحت أقرب أجمة.

مادت أميرة: «عليّ الذهاب. سيقلقون إن لم أعد، كما يجب عليّ إطعام الأفواه الصغيرة. أشعر بهم وهم يتحرّكون في أحشائي». ثم نظرت بحنان إلى بطنها المنتفخ.

قال قلب النار من تحت الأغصان: «اذهبي إذاً. على أيّ حال، ينبغي أن أرجع إلى عشيرتي. لكنني سأعود لرؤيتك».

قالت أميرة من خلف كتفها: «أجل، يسرني ذلك! إلى اللقاء!». وعادت إلى وكر ذوي الساقين.
«إلى اللقاء». اختفت شقيقته عن نظره، وسمع باب الفتحة القلاب وهو ينغلق خلفها.

ما إن خيم الصمت مجدداً على الحديقة، حتى خرج قلب النار زاحفاً باتجاه السور. قفز من فوقه وانطلق نحو الغابة. تراحمت في عقله ذكريات روائح من صغره، وبدت فجأة حقيقية أكثر من روائح الغابة المحيطة به.

توقف عند أعلى الوادي، ونظر إلى مخيم عشيرة الرعد في الأسفل. غير أنه لم يشعر أنه جاهز للعودة بعد، فقد خشي أن يبدو كل شيء غريباً بالنسبة إليه. قال في سرّه: سأذهب للصيد. ستكون بسّة الرماد بأمان مع النمر الرمادي لبعض الوقت، كما أن العشيرة سترحب بأي صيد إضافي. وهكذا، استدار وعاد إلى الغابة.

عندما رجع إلى المخيم أخيراً كان يحمل فأر حقول وحمامة غابات في فمه. كانت الشمس تغرب وقطط العشيرة مجتمعة لتناول وجبة المساء. جلس النمر الرمادي بمفرده بالقرب من أجمة القراص حاملاً بين كفيه طائر صغنج سميناً. فحياه قلب النار بهزة من رأسه متوجّهاً إلى كومة الصيد التي كانت في الفسحة.

كان النمر الشرس جالساً بجانب الصخرة العالية وقد زمّ عينيه العنبريتين. ماء عندما وضع قلب النار صيده من فمه: «لاحظت أن بسّة الرماد أمضت اليوم مع النمر الرمادي. أين كنت؟».

نظر إلى النمر الشرس وأجاب: «بدا لي هذا اليوم مناسباً للصيد ولم أشأ إضاعته». كان قلبه يطرق بعنف. «العشيرة تحتاج إلى كل الصيد

الذي يمكنها الحصول عليه».

هزّ النمر الشرس رأسه، وبدت الريبة في عينيه: «صحيح. لكننا نحتاج أيضاً إلى محاربين، وتدريب بسّة الرماد مسؤوليتك». خفض قلب النار رأسه باحترام وقال: «فهمت أيّها النمر الشرس، سأصطحبها غداً».

«حسناً». التفت النائب ونظر إلى أرجاء المخيم. فحمل قلب النار فأراً وذهب ليأكله بجانب النمر الرمادي.

سأله صديقه بشرود: «هل وجدت ما كنت تبحث عنه؟». «أجل». أحسّ قلب النار بالحزن عندما رأى الألم في عيني الهزّ الرمادي. «أما زلت تفكر بمحارب عشيرة النهر؟». أجاب بهدوء: «أحاول عدم التفكير فيه. لكن عندما أكون بمفردي، أتذكر رغماً عني نبوءة فراء البندق عن الموت الذي لا لزوم له والمشاكل التي تنتظرنا...».

قاطع قلب النار وهو يدفع إليه بالفأر: «اسمع، يبدو أنّ هذا الصغنج فيه من الفراء أكثر من اللحم، وأنا لست جائعاً. هل تودّ أن نتبادل؟». رمى عليه النمر الرمادي نظرة امتنان، وتبادل الصديقان فريستيهما، ثمّ انهمكا في الأكل.

عندما انحنى قلب النار فوق الصغنج، راح يتأمل الفسحة. رأى بسّة الرمال وبسّ أغبر خارج وكر المبتدئين. كان هذا الأخير منشغلاً في التهام أرنب. وعندما التقت نظرات قلب النار وبسّة الرمال، حوّلت نظرها عنه.

جلست بسّة الرماد بجانب جذع الشجرة القديم الذي أكل عنده مراراً عندما كان مبتدئاً. كانت تتحدّث بحماسة مع بسّ أشقر الذي راح

يهزّ رأسه من وقت إلى آخر وهو ينتف ريش طائر دوري. عندما رأى
الهزين الشابين - الأخ وأخته - جالسين معاً بارتياح، تذكر أميرة مجدداً.
وللمرة الأولى، أحسّ بعدم الارتياح أمام المشاهد المألوفة في عشيرته.
كان قد حرص على لعق فرائه لإزالة رائحة أخته قبل العودة إلى المخيم،
لكن رائحتها كانت لا تزال عالقة في أنفه مع غروب الشمس في الأفق.
لقد وجد الرابط الذي افتقد إليه، ولكنه ترك لديه إحساساً بالوحدة ظلّ
كامناً في قلبه على شكل شعور غامض لا اسم له. هل كانت الذكريات
المتجذرة فيه والتي تشاركها مع أميرة أقوى من ولائه للعشيرة؟



الفصل 11



خرخر قلب النار قائلاً للنمر الرمادي وهو يشعر بفرائه الناري يتوهج تحت أشعة شمس الصباح: «يوم مشمس آخر!». بفضل الطقس الجميل، كان يقوم بزيارة أميرة كل يوم تقريباً. فيتسلل لرؤيتها بين الدوريات، ورحلات الصيد، وجلسات التدريب. كان يسلك الآن مع صديقه الطريق القصيرة المؤدية إلى الغور الرملي الذي ينتظرهما فيه بسّ أشقر وبسة الرماد.

ماء النمر الرمادي قائلاً: «فلنأمل أن يستمرّ الصحو حتى نهاية فصل الثلوج». كان قلب النار يعرف كم يكره صديقه المطر. فعندما يبتلّ فراء المحارب الرمادي الكثيف يلتصق بجسده، ويبقى رطباً لمدة أطول من فراء قلب النار القصير.

وصل المحاربان إلى حافة الغور في اللحظة التي قفزت فيها بسة الرماد على كومة من الأوراق اليابسة، فتناثرت الأوراق في كل اتجاه. عندئذ، راحت الهرة الصغيرة تقفز وتتلوى لالتقاطها وهي ترفرف وتسقط مجدداً على الأرض.

نظر قلب النار والنمر الرمادي إلى بعضهما بمرح.
قال هذا الأخير: «على الأقلّ، قامت بسة الرماد بالتحمية استعداداً

لدرس اليوم».

هَبْ بَسْ أَشْقِرْ واقفأً، ونظر إلى مدرّبه وقال: «صباح الخير أيّها النمر الرمادي، ما هو درس اليوم؟».

فأجابه: «سنكلّفكما بمهمّة صيد». ثمّ هبط إلى الغور، يتبعه قلب النار.

اندفعت إليهما بسّة الرماد متسائلة: «أين؟ ماذا سنصطاد؟».

أجابها قلب النار وقد أصابته حماستها بالعدوى: «سنذهب إلى الصخور المشمسة، ونصطاد ما نجده».

قالت: «أودّ اصطيداً فأر حقول، فأنا لم أتذوّقه بعد».

حذّرها النمر الرمادي: «أخشى أن كلّ ما سنصطاده اليوم سيذهب مباشرة إلى المسنّين. لكنني واثق أنّهم سيسرّون بمشاركتك الطعام إن طلبت منهم ذلك بأدب».

«حسناً. في أيّ اتّجاه تقع الصخور المشمسة؟». ثمّ تسلّقت سفح الغور وحدّقت إلى الغابة رافعة ذيلها إلى الأعلى.

ماء قلب النار وهو يتسلّق السفح في الاتّجاه المعاكس: «من هذا الطريق!».

«حسناً». هبطت بسّة الرماد عبر المنحدر إلى الغور مجدّداً، ثمّ صعدت باتّجاه قلب النار، فتطاير ورق الشجر المتساقط على الأرض. قفز النمر الرمادي والتقط ورقة وهي تمرّ من أمام أنفه، ثمّ ثبتها على الأرض وهو يخرخر برضى. رأى بَسْ أَشْقِرْ يحدّق إليه، فقال بسرعة: «ممم... لا تفوّت فرصة لممارسة مهارتك في الصيد».

شقّت القطط الأربعة طريقها عبر الدروب المؤدّية إلى الصخور المشمسة متعقّبة الروائح المألوفة. كانت الشمس قد ارتفعت فوق

الأشجار عندما وصلوا إلى مساحة مفتوحة من الأرض. أمامهم، ارتفع منحدر صخري من سطح الأرض الناعم، وبدت الشقوق في سطحه الأملس. اضطرت القطط إلى زَم أعينها وهي تنظر إليه. فبعد ظلال الغابة، انعكست أشعة الشمس على السطح الصخري وأبهرت أعينها. قال قلب النار: «هذه هي الصخور المشمسة، هيا بنا!».

مئات بسّة الرماد وهي تلحق به: «أوه! تبدو ممتعة!». أدرك قلب النار أنها محقّة، وذلك لأنّ الصخر كان دافئاً وأملس على نحو مريح بعد أرض الغابة الباردة كالجليد.

استراحوا على سفحها، وكان طرفها الأقصى ينحدر بشكل عمودي باتجاه الغابة. أصغى قلب النار إلى خرير النهر اللطيف الممتدّ على طول حدود عشيرة النهر، والمتدفّق من المرتفعات. كان بالكاد يسمعه، ربّما لأنّ مستوى الماء انخفض بعد الطقس الجاف.

تمطّى مستمتعاً بدفء الصخور تحته وبحرارة الشمس على فرائه. أغمض عينيه وهو يشعر بالفخر باستلقائه في هذا المكان الذي تعاقبت على التماس الدفء فيه أجيال من قطط عشيرة الرعد، وناضلت كثيراً للاحتفاظ به.

انضمّ إليه النمر الرمادي قائلاً للمبتدئين: «تعاليا، استفيدا من الشمس قدر المستطاع، إذ تنتظرنا أيام طويلة من البرد والمطر». تمّدّ المبتدئان إلى جانب مدرّبيهما وخرخرا مستمتعين بتسلّل الدفء عبر فرائهما.

سأل بسّ أشقر: «أهذا هو المكان الذي مات فيه ذيل الأرجوان؟». فأجابه قلب النار: «أجل».

أضافت بسّة الرماد: «وهو المكان الذي انتقم فيه النمر الشرس

لموته بقتل قلب السنديان؟».

انتصب فراء قلب النار وهو يتذكر رواية بسّ أدهم للحادثة. إذ قال إن ذيل الأرجوان كان المسؤول عن موت قلب السنديان قبل أن يُقدم النمر الشرس على قتله؛ علماً أنه كان نائب العشيرة. طرد قلب النار تلك الأفكار المزعجة وأجاب ببساطة: «هذا هو المكان». فصمت المبتدئان، ونظرا إلى المنحدر الصخري برهبة.

فجأة، سمع قلب النار صوتاً، رفع أذنيه وهسّ قائلاً: «هس، ماذا تسمعان؟».

وجّه المبتدئان آذانهما إلى الأمام. همس بسّ أشقر: «أظنّ أنني أسمع خشخشة». تمتم النمر الرمادي: «قد يكون فأر حقول، هل يمكنكما تحديد مصدر الصوت؟».

مات بسّ الرماد وهي تقفز واقفة: «من هنا!». فتسارع صوت الخشخشة قبل أن يختفي تماماً.

قال قلب النار: «أعتقد أنه سمعك». بدت الخيبة على وجه بسّ الرماد، بينما خرخر بسّ أشقر ساخراً من حماقة أخته.

ماء النمر الرمادي: «لا بأس، أصبحتما تعرفان الآن أنه من الأفضل التسلّل خفية، لا سيّما في حالة فئران الحقول، فهي سريعة جداً!».

نصحهما قلب النار قائلاً: «اجلسا ساكّنين وأصغيا. وعندما تسمعان شيئاً في المرّة القادمة، حاولا تحديد مصدر الصوت، ثمّ ابدأ بالتقدّم نحوه ببطء شديد. فباستطاعة الفأر على الأرجح أن يسمع حتّى حفيف فرائكما. لذا، اتركاه يعتقد أنه لا يسمع سوى هبوب الهواء على الصخور».

لزمت القطط مكانها، ولم تجرؤ على التحرك إلى أن سمعت صوت الخشخشة مجدداً. رفع قلب النار أذنيه إلى الأعلى، ثم نهض وزحف إلى الأمام محرّكاً أكفّه من دون أن يُصدر أيّ صوت؛ إلى أن وصل إلى طرف شقّ صغير ممتدّ عبر الصخر. توقّف قليلاً، لكنّ الخشخشة استمرت. فاندفع ومدّ كفّه الأمامي في الشقّ، ثم أخرج فأراً سميناً كان يختبئ في الظلّ ورماه على الصخر. صدر عنه صرير وهو يحطّ، لكنّ السطح الصلب صدمه، فقضى عليه قلب النار بسرعة.

ماتت بسّة الرماد: «يا سلام! أودّ تجربة ذلك!».

قال النمر الرمادي: «لا تقلقي، ستسنّى لك فرص عديدة. والآن، فلنعد إلى الغابة».

اعترضت بسّة الرماد: «ألن نصطاد شيئاً آخر؟».

سألها قلب النار: «ألم تسمعي الصرير الذي أصدره ذاك الفأر؟». هزّت بسّة الرماد رأسها إلى الأسفل. «حسناً، هذا ما سمعته أيضاً كلّ المخلوقات الموجودة هنا. لذا، ستختبئ الطرائد الآن لمدّة من الوقت. كان يجدر بي أن أقبض عليه وأقتله قبل أن يصدر أيّ صوت». هزّ النمر الرمادي شاربه بمرح وخرخر قائلاً: «لم أكن أنوي التعليق».

حمل قلب النار الفأر الميت، وهبطت القطط المنحدر معاً، ثم بدأت تتقدّم داخل الغابة. بعد دفء الصخور المشمسة، بدت الغابة باردة، مع أنّ علوّ الشمس أصبح وشيكاً. اشتّم قلب النار علامات الحدود التي تركتها عشيرة النهر. خلف تلك العلامات، انخفضت الأرض لتعانق النهر.

طارت ورقة شجر باتجاه بسّ أشقر، فقفز الهرّ الشاب فوراً

لالتقاطها بين كفيّيه، وبدا عليه السرور.

قال النمر الرمادي: «أحسنّت! لن تواجه أيّ مشاكل مع فئران الحقول!». فازداد بسّ أشقر سروراً بنفسه.

مات بسّ الرماد: «أحسنّت يا بسّ أشقر!». ووكزت كتف أخيها بأنفها قبل أن تلتفت لتحذق إلى المنحدر المكسوّ بالأشجار.

تمتم قلب النار على الرغم من الفأر الذي يشغل فمه: «النهر هادئ اليوم».

قالت بسّ الرماد بحماسة: «هذا لأنّه متجلّد، فأنا أراه من بين الأشجار!».

أسقط قلب النار الفأر، وسأل وهو يحذق إلى الأسفل: «أهو متجلّد تماماً؟». لمع النهر في الأسفل، وبدا ساكناً وجليدياً. هل يمكن أن تكون بسّ الرماد على حق؟ أحسّ بالحماسة على شكل وخز في أكفّه، وذلك لأنّه لم يسبق له أن رأى نهراً متجلّداً من قبل.

سألته بسّ الرماد: «هل يمكننا إلقاء نظرة؟». ومن دون أن تنتظر جواباً، انطلقت متجاوزة علامات الرائحة. تحوّلت حماسة قلب النار إلى ذعر وهو يرى الهزة الرمادية الصغيرة تختفي في أراضي عشيرة النهر. لم ينادها لكي لا يلفت انتباه دوريات عشيرة النهر التي قد تكون في الجوار، بل لحق بها لإحضارها. ترك الفأر حيث وضعه وهُرع خلفها، ولحق به النمر الرمادي وبسّ أشقر.

وجدوها عند ضفّة النهر. كانت المياه متجمّدة بأكملها تقريباً، باستثناء قناة ضيّقة من الماء الداكن الذي كان يتدفّق بسرعة بين حافتين عريضتين من الجليد. ارتعد قلب النار وهو يتذكّر الكفّ الأبيض، وكان على وشك أن يدعوهم إلى المغادرة عندما لاحظ أذني النمر الرمادي

ترتفعان.

قال المحارب الرمادي: «فأر ماء». وبالفعل، وجد فأراً صغيراً يجري على الجليد، بجانب الضفة.

نظر قلب النار إلى بسّة الرماد وبسّ أشقر، خشية أن يحاول أيّ منهما اصطیاد هذه الطريدة الصغيرة، لكنّ أيّاً منهما لم يتحرّك. فأحسّ بالارتياح للحظة، ثمّ قفز قلبه من مكانه عندما اندفع النمر الرمادي إلى الجليد بسرعة البرق.

هسّ قلب النار: «عد إلى هنا!».

لكن، فات الأوان، إذ ظهر شقّ مخيف في الجليد تحت أكفّ النمر الرمادي قبل أن يتحطّم تماماً. فماء الهزّ الرمادي بذعر ثمّ سقط في الماء. تخبّط بجنون للحظة قبل أن يختفي في أعماق النهر البارد والمظلم. حدّق بسّ أشقر إلى ما يجري برعب، وصدر عن بسّة الرماد مواء يائس. لم يسكتها قلب النار الذي سمّره الخوف وهو يحدّق إلى المياه التي اختفى فيها صديقه. هل احتُجز النمر الرمادي تحت الجليد؟ اقترب قلب النار وخطا خطوة فوق سطح المياه المتجمّدة، فوجد السطح بارداً وزلقاً تحت أكفّه، حيث يستحيل الجري عليه. عاد إلى الضفة وقد تملّكه الذعر. وفجأة، غمره الارتياح وهو يرى رأساً رمادياً مبتلاً يظهر في الماء على بعد مسافة منهم.

تحوّل الارتياح إلى ذعر مجدداً عندما حمل التيار النمر الرمادي معه وهو يتخبّط ويتقلّب في المياه الجليدية. راح يضرب الماء بأكفّه عبثاً، إذ تغلّب التيار العنيف على كلّ محاولاته الغريزية للسباحة. أخذ قلب النار يجري على طول الضفة بين أجسام السرخس، لكنّ صديقه كان يتعد على نحو متزايد.

فجأة، سمع قلب النار مواء آتياً من الضفة المقابلة فتوقف. رأى هرة فضية رشيقة تقفز على الجليد أمامهم. مشت بخفة فوق السطح الصلب، ثم انزلت في الماء أمام النمر الرمادي. دُهِش قلب النار وهو يرى الهرة تسبح بمهارة عكس التيار، ثم تقف في الماء الجليدي بكل ثقة. وعندما مرّ النمر الرمادي من أمامها، أطبقت أسنانها على فرائه.

دُعر قلب النار عندما أدرك أنّ وزن النمر الرمادي يسحب الهرة إلى الأسفل. فبدأ يجري مجدداً، ونظره مركّز على النهر. أين هما يا ترى؟ فجأة، ظهر رأس الهرة الفضية فوق سطح الماء المتدفّق، ثم راحت تسبح بين الأمواج، وتقدّمت عكس التيار وهي تجرّ النمر الرمادي معها. بالكاد استطاع قلب النار أن يصدّق أنّ هرة نحيلة كهذه تستطيع السباحة مع هذا الوزن. أمسكت الهرة بالجليد بكفيها الأماميين من جهة قلب النار، مميلة رأسها جانباً وهي تحمل النمر الرمادي بين أسنانها. ثم أخرجت نفسها من النهر وهي تنزلق وتنزلق، وتدلى النمر الرمادي عاجزاً في الماء. أخذ يتلوّى ويتقلّب بفعل التيار الذي يشده إلى الأسفل، غير أنّ الهرة المخطّطة أمسكته بقوة.

هبط قلب النار الضفة، وأسرع باتجاه الجليد، ثم توقف إلى جانبها. ومن دون أن يقول شيئاً، اقترب وأمسك بالنمر الرمادي بأسنانه. فنجحاً معاً بسحب جسده المبتلّ من الماء، وقاما بجره إلى برّ الأمان. انحنى قلب النار فوق صديقه ليرى ما إذا كان يتنفس. وغمره الارتياح عندما رأى بطنه الرمادي يعلو ويهبط. قحّ المحارب وغمغم، ثم بصق جرعة من ماء النهر قبل أن يتمدّد من دون حراك. ماء قلب النار بإلحاح: «أيها النمر الرمادي!».

أجابه بصوت ضعيف: «أنا بخير». ومع أنّه كان مقطوع الأنفاس،

إِلَّا أَنْ مَوَاءَهُ بَدَأَ مَطْمَئِنًّا.

تنهَّد قلب النار وجلس على الأرض. نظر عن كثب إلى الهرة الفضية التي كانت تحمل رائحة عشيرة النهر. فبعدما رآها وهي تسبح، لم يفاجئه ذلك. نظرت إليه الهرة ببرودة، ثم نفضت فراءها وجلست. رأى جسمها يعلو ويهبط وهي تحاول استعادة أنفاسها، بينما سال الماء من فرائها اللامع كما لو كان ريش بطة.

التفت النمر الرمادي ونظر إلى منقذته، ثم قال بصوت خشن: «شكراً لك».

خفضت الهرة أذنيها وقالت بحدة: «أيها الأحمق! ماذا كنت تفعل في أرضي؟».

أجابها: «كنت أغرق».

حرّكت الهرة الفضية أذنيها، ورأى قلب النار نظرة تسلية في عينيها. «ألا يمكنك أن تغرق في أرضك؟».

هزّ النمر الرمادي شاربه، وماء بصوت مبحوح: «آه، لكن من سينقذني هناك؟».

صدر مواء خافت من خلف قلب النار، فالتفت ورأى بسة الرماد جاثمة بجانب أجمة من الأعشاب على مسافة من الضفة. سألتها: «أين بس أشقر؟».

فأجابته وهي تشير بأنفها: «إنه آت». كان شقيقها يزحف بعصبية على طول الضفة عائداً باتجاههم.

تنهَّد قلب النار ثم التفت إلى صديقه قائلاً: «اسمع، علينا الخروج من هنا».

«أعرف». دفع النمر الرمادي نفسه للوقوف، ثم التفت إلى الهرة

الرمادية قائلاً: «أشكرك مجدداً».

خففت رأسها بلياقة، لكنها هستت قائلة: «أسرعوا، اذهبوا الآن!». ثم نظرت إلى الخلف مضيفة: «إن عرف والدي أنني أنقذت دخيلاً من عشيرة الرعد فسيمزقني إرباً!».

سألها النمر الرمادي مماًزحاً: «إذاً، لماذا أنقذتني؟».

أشاحت الهرة بنظرها قائلة: «إنها الغريزة، لم أستطع مشاهدة هز يغرق. والآن اذهبوا!».

وقف قلب النار قائلاً: «شكراً لك. كنت سأشتاق إلى كرة الفراء هذه لو أنه غرق». وركز صديقه الذي لم يكن قد نفّض الماء عن فرائه حتى، بل لا يزال مبتلاً حتى جلده. «هيا، فلنعد إلى المخيم قبل أن تموت برداً».

«حسناً، أنا قادم!». لكن، قبل أن يتبع قلب النار إلى أعلى المنحدر، التفت إلى الهرة الفضية وسألها: «ما اسمك؟ أنا أدعى النمر الرمادي». فأجابته: «شعاع الفضة». ثم ابتعدت وعبرت الجليد وقناة الماء باتجاه الضفة الأخرى.

قاد قلب النار والنمر الرمادي تلميذيهما عبر نباتات السرخس باتجاه الحدود. ولاحظ قلب النار أنّ صديقه ينظر مجدداً إلى الخلف. لاحظت بسة الرماد ذلك أيضاً، فنظرت إليه، وتراقص المكر في عينيها وهي تقول: «يا لها من هرة جميلة!».

صفعها النمر الرمادي بخفة على أذنها، فانطلقت تجري أمامه. حذرهما قلب النار بهسيس عالٍ: «لا تتبعدي!». فقد كانوا لا يزالون في أراضي عشيرة النهر. وجّه إلى بسة الرماد نظرة غاضبة جعلتها تتوقّف لانتظارهم. فلولاها، لما دخلوا هذه المنطقة، ولما أوشك النمر الرمادي

على الغرق. نظر إلى صديقه المبتل. فمع أنّ المحارب الرمادي نفّض الماء عنه بقدر ما استطاع، إلّا أنّ فراءه ما زال يقطر ماء، كما بدأ الجليد يتكوّن على أطراف شاربه.

حثّ قلب النار خطاه وسأل صديقه: «هل أنت بخير؟».

فأجابه وأسنانه تصطكّ برداً: «ن... ن... نعم!».

مئات بسّة الرماد وهي تلحق بقلب النار: «أنا آسفة».

فتنهّد مجيباً: «الذنب ليس ذنبك». وأحسّ بالقلق وهو يتساءل عن كيفية شرحهم ما جرى للعشيرة. فهم عائدون من دون صيد للعجائز، وذلك لأنّ الوقت لم يسمح لهم بالعودة لإحضار الفأر، كما أنّ النمر الرمادي مبتل حتّى العظم. ارتجف قلب النار وهو يفكر أنّه كان على وشك فقدان صديقه المقرّب؛ لو لم ترسل إليهم عشيرة النجوم شعاع الفضة لإنقاذه.

ماء بسّ أشقر من خلفهم: «ما زالت مياه الجدول المجاور لغور التدريب جارية».

خرج قلب النار من أفكاره الكثيرة وسأله بحيرة: «ماذا؟».

فتابع المبتدئ الشاب: «ستعتقد العشيرة على الأرجح أنّ النمر الرمادي سقط هناك».

أضافت بسّة الرماد: «يمكننا القول إنّّه كان يعلمنا اصطياذ السمك». أشار قلب النار: «أنا واثق من أنّه ما من هرّ سيصدّق أنّ النمر الرمادي يتعمّد تبليل أكفّه في هذا الطقس».

فقال هذا الأخير بنبرة ومضت فيها روحه القديمة مجدّداً: «حسناً، أنا لا أريد أن تعرف بقيّة العشيرة أنّ هرّة من عشيرة النهر قامت بإنقاذي! كما أنّنا لا نستطيع إخبارهم أنّنا دخلنا أراضي عشيرة النهر مجدّداً».

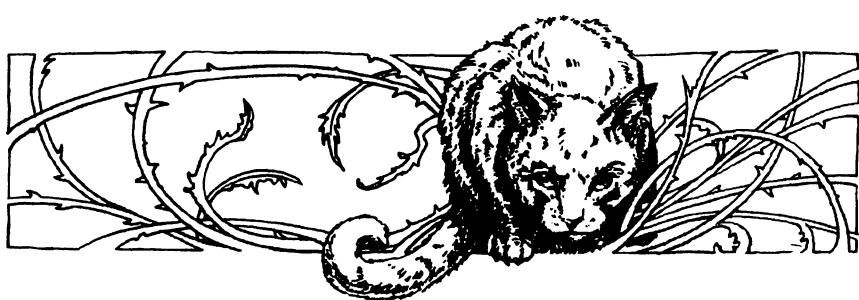
هزّ قلب النار رأسه موافقاً وقال: «تعالوا، لنجتز بقية المسافة جرياً، فهذا سيبعث الدفء في جسم النمر الرمادي».

أخذت القطط تجري وهي تعبر حدود عشيرة النهر والصخور المشمسة. وعندما بدأت الشمس تنخفض خلف قمم الأشجار، وصلوا إلى المخيم.

كان فراء النمر الرمادي قد جفّ قليلاً، لكنّ قطرات الماء المتجمّدة ما زالت عالقة على شاربه وذيله.

تقدّمه قلب النار عبر مدخل القندول، وغاص قلبه عندما رأى النمر الشرس جالساً في الفسحة يراقبهم.

رمقه النائب بنظراته الحادة وزمجر قائلاً: «ألم تحضروا أيّ صيد معكم؟ ظننت أنّكما خرجتما لتعليم هذين الاثنين الصيد. يبدو أنّك أوشكت على الغرق أيّها النمر الرمادي، لا بدّ أنّك سقطت في نهر لتبتلّ بهذا الشكل». وتحرك أنفه، ثمّ وقف قائلاً: «لا تقولوا لي إنكم دخلتم أراضي عشيرة النهر مجدداً!».



الفصل 12



رفع قلب النار رأسه للتحديث، لكن بسّ الرماد سبقتة.
فقد حدّقت بجرأة إلى الهزّ الضخم وقالت: «الذنب ذنبي أيها النمر
الشرس. فقد كنّا نصطاد عند الجدول المتجمّد بجانب غور التدريب،
عند المنعطف القريب من البركة العميقة. كان ذلك الجزء متجمّداً
فانزلقتُ، وأتى النمر الرمادي لنجدتي، لكنّ الجليد لم يكن سميكاً
بما فيه الكفاية، فتحطّم وسقط في النهر». نظر النمر الشرس إلى عينيها
الصافيتين اللامعتين وهي تضيف: «المياه عميقة حقاً هناك، وقد اضطرّ
قلب النار إلى سحبه».

انكمش هذا الأخير وهو يتذكّر كيف شلّه الرعب عندما رأى صديقه
يختفي في النهر.

هزّ النمر الشرس رأسه ونظر إلى النمر الرمادي: «يجدر بك الذهاب
إلى جمرة قبل أن تتجمّد حتّى الموت». ثمّ نهض نائب عشيرة الرعد
وابتعد، فتنفّس قلب النار الصعداء.

لم يتردّد النمر الرمادي. فعلى الرغم من المسافة الطويلة التي قطعها
جرياً، ما زالت أسنانه تصطك، لذلك هُرع إلى وكر جمرة. نظر بسّ أشقر
إلى بسّ الرماد، وتوجّه إلى وكره خافضاً ذيله من شدة الإرهاق.

نظر قلب النار إلى بسّة الرماد وسألها بفضول: «ألا تخشين النمر الشرس ولو قليلاً؟».

«ولم أخشاه؟ إنه محارب عظيم، وأنا معجبة به».

فكر في سرّه: بالطبع، لماذا تخشاه؟ وقال بجديّة محاولاً أن يبدو كالمدرّبين: «أنت تجيدين الكذب».

مات بسّة الرماد: «في الواقع، أحاول ألا أكذب. لكنني ظننت أنّ الحقيقة لن تساعدنا في هذا الظرف».

أقرّ أنها على حقّ، فهزّ رأسه ببطء وقال: «اذهبي ودفئي نفسك».

«حسناً يا قلب النار!». خفضت بسّة الرماد رأسها وانطلقت في أعقاب بسّ أشقر.

ذهب قلب النار إلى وكر المحاربين، وبدأ عليه الشرود. فقد استغرب من السهولة التي خرجت بها قصّة ابتلال النمر الرمادي من فم بسّة الرماد، علماً أنّ الهرة صادقة وحسنة النية. فكر ببسّ أدهم الذي كان هزاً طيباً هو الآخر. فهل القصّة التي رواها عن إقدام النمر الشرس على قتل ذيل الأرجوان هي أيضاً مجرد كذبة خرجت من فمه تحت تأثير الحماسة؟ هزّ رأسه رافضاً تصديق ذلك. فالذعر كان بادياً على الهرّ الأسود وهو يتحدّث، ومن الواضح أنّه يصدّق تلك القصّة، وإلا لما اضطرّ لترك العشيرة خوفاً على حياته.

اختار بضع قطع من الصيد وحملها إلى أجمة القراص، ثمّ جلس وبدأ يلتهم فأراً. أحسّ بالقلق إزاء الإعجاب الذي بدا في صوت بسّة الرماد عندما تحدّثت عن النمر الشرس. إذ يبدو أنّه الوحيد الذي يشبهه في أنّ نائب عشيرة الرعد يخفي عنهم أكثر ممّا يبدي. بالتأكيد، لم يتغيّر موقف نجمة الصباح منه. وذلك لأنّها ما زالت توليه ثقته واحترامها

كالعادة. بحركة غاضبة، انتزع لقمة أخرى من وجبته.

فاجأه عطاس صاخب، فنظر إلى الأعلى ورأى النمر الرمادي متوجّهاً نحوه.

سأله عندما وصل، وكانت رائحة أعشاب جمرة تفوح منه: «كيف حالك؟».

جلس الهزّ الرمادي بكلّ ثقله وهو يقحّ. دفع إليه قلب النار طائر سمّن سميناً وفأر حقول وماء قائلاً: «احتفظت لك ببعض الطعام».

«أمرتني جمرة بالبقاء في المخيم، إذ تقول إنني أعاني من البرد».

«لا يفاجئني ذلك. ماذا أعطتك؟».

«الأفحوان والخزامى». جلس النمر الرمادي وبدأ يأكل من طائر السمّن. «هذا كافٍ، فأنا لست جائعاً جداً».

نظر قلب النار إلى صديقه باستغراب، فهو لم يتوقع أن يسمع منه يوماً كلاماً كهذا. «هل أنت واثق؟ الطعام كثير».

حدّق المحارب الرمادي إلى الطائر من دون أن يجيب. فكرّر سؤاله: «هل أنت واثق؟».

استفاق النمر الرمادي من شروده، ونظر إلى قلب النار متسائلاً: «ماذا؟ آه، أجل».

فهزّ قلب النار رأسه بحيرة، وقال في سرّه: لا بدّ أنّه يعاني من الحمى. حسناً، على الأقلّ ما زال حياً يرزق.

بعد بضعة أيام، استيقظ قلب النار ليجد الوكر مغلفاً بالضباب للمرّة الأولى هذا العام. فزحف إلى الخارج، وبالكاد استطاع رؤية الطرف

الآخر للفسحة. سمع وقع أكفّ مسرعة آتية نحوه، ثم خرجت الفأرة السمرء من الضباب.

مءت قائلة: «النمر الشرس يريد رؤيتك».

«حسنأ، شكرأ». شعر بالقلق لدى سماعه ذلك، فقد تسلل لرؤية

أميرة يوم أمس. هل لاحظ النمر الشرس غيابه يا ترى؟

أتاه صوت النمر الرمادي المبحوح من خلفه: «ما الأمر؟». وجلس

إلى جانب قلب النار وهو يعطس ويتشاءب.

نظر إلى صديقه مجيبأ: «النمر الشرس يريد رؤيتي. يجدر بك أن

تنام». بدأ القلق ينتابه حيال صديقه الذي كان ينبغي أن يتعافى على نحو

أسرع. «هل استرحت أمس؟».

«بقدر ما تسنى لي ذلك بين السعال والعطاس».

«إذا، لماذا لم أجذك في الوكر عندما عدت من»- وتردّد وتذكّر أنه

أمضى بعد الظهر يتحدّث مع أميرة- «التدريب؟».

أشار النمر الرمادي برأسه إلى الوكر قائلاً: «وهل تظنّ أنني أجد

السلام والهدوء هناك؟ فالمحاربون يدخلون ويخرجون طوال اليوم!

لذلك بحثت عن مكان أكثر هدوءأ، هذا كلّ ما في الأمر».

أراد أن يسأل عن ذلك المكان، لكنّ صديقه تحدّث أولاً: «أتساءل

عمأ يريده النمر الشرس».

أحسنّ قلب النار بوخز في أكفّه وقال: «من الأفضل أن أذهب

وأكتشف بنفسي».

بالكاد استطاع رؤية النمر الشرس والرعب الأبيض من خلال

الضباب، وكانا جالسَيْن تحت الصخرة العالية. مع اقترابه منهما، توقفا

عن الكلام، والتفت إليه النمر الشرس ثمّ زمجر قائلاً: «حان الوقت

لاختبار بسّة الرماد وبسّ أشقر».

ماء قلب النار متفاجئاً: «حقّاً!». لم يكن قد مضى وقت طويل على بدء التدريب.

«تريد نجمة الصباح أن ترى كيف يتقدّم تدريبهما، لا سيّما وأنّ مرض النمر الرمادي لا يسمح له بتدريب تلميذه. وإن كان بسّ أشقر يتراجع، فيجب أن تعرف لكي تعين له مدرباً آخر».

انفض ذيل قلب النار انزعاجاً. بالتأكيد، سيتحسّن النمر الرمادي قريباً، وليس من العدل تفويض شخص آخر بتدريب أوّل تلميذ له. فماء بسرعة: «كنت أصطحب بسّ أشقر وبسّة الرماد للتدريب كلّ يوم».

نظر النمر الشرس إلى الرعب الأبيض وهزّ رأسه قائلاً: «صحيح، لكنّ هذه أوّل تجربة لك كمدرب، وهذا كثير عليك، كما أنّ عشيرة الرعد تحتاج إلى محاربين مدربين جيّداً».

قال قلب النار في سرّه بمرارة: أعرف، وأنا مجرد بسبوس أليف، ولست ابن العشيرة. ونظر إلى أكفّه وقد تملّكه الاستياء. لم يكن أحد قد طلب منه تولّي تدريب بسّ أشقر، ومع ذلك بذل جهداً كبيراً مع المبتدئين.

تابع النائب: «أرسل بسّ أشقر وبسّة الرماد في مهمّة صيد عبر غابة الصنوبر، وصولاً إلى منطقة ذوي الساقين. راقبهما جيّداً، وقيّمهما وهما يصطادان، ثمّ أخبرني بما جرى. يهتمّني أن أعرف كم سيجلبان من الطرائد».

وأضاف الرعب الأبيض: «إن كانت مهارات بسّة الرماد تجاري حماستها، فسيكون طعامنا وافراً الليلة. فقد سمعت أنّها مبتدئة مجتهدة». «أجل، إنّها كذلك». وافقه قلب النار، مع أنّه بالكاد كان يصغي

إليه. إذ تسارع نبضه إثر سماعه كلام النمر الشرس. لماذا يرسله إلى منطقة ذوي الساقين مجدّداً؟ فتقييم الصيد الخاصّ به أجري في تلك المنطقة بالضبط. يومذاك، رآه النائب وهو يتحدّث مع صديقه القديم، فأخبر نجمة الصباح التي شكّكت بولاء قلب النار للعشيرة. أحسّ أنّ الفراء الذي يغطّي عموده الفقري بدأ يتصب. هل هذه هي طريقة النمر الشرس لتحذيره من أنّه رآه يتحدّث مع أميرة؟

التفت ولحق ظهره بسرعة مسرّحاً فراءه بلسانه، ثمّ استقام مجدّداً واقترح بهدوء: «الصخور المشمسة مكان مناسب أيضاً لاختبار مهارتهما. وربّما بدّدت الشمس شيئاً من هذا الضباب».

زمجر النمر الشرس: «كلّا، فقد أبلغتني دورية الفجر أنّها اشتمّت رائحة عشيرة النهر عند الصخور المشمسة. ربّما عاودوا الصيد هناك». لمع الغضب في عينيه، وتقلّصت شفتاه فبدت أنيابه الحادة. «علينا تحذيرهم قبل التدرّب هناك. أمّا الآن، فغابة الصنوبر أكثر أماناً لاختبار المبتدئين».

هزّ الرعب الأبيض رأسه موافقاً، بينما انتفضت أذنا قلب النار بعصبية عند سماعه ذلك. عشيرة النهر عند الصخور المشمسة! من حسن حظّهم أنّ دوريات العدو لم ترصدهم عندما سقط النمر الرمادي في النهر.

تابع النائب بلطف: «أمّا بالنسبة إلى الضباب، فالصيد في الظروف الصعبة يجعل الاختبار أكثر إثارة للاهتمام».

ماء قلب النار وهو يخفض رأسه باحترام أمام المحاربين: «حسناً أيّها النمر الشرس، سأخبر بسّة الرماد وبسّ أشقر لنبدأ حالاً».

عندما شرح قلب النار الاختبار للمبتدئين، هزّت بسّة الرماد ذيلها وراحت تدور بحماسة وهي تجري. «اختبار! هل تظنّ أننا مستعدّان؟». فمأء وهو يخفي شكوكه: «بالطبع. فأنتما مجتهدان وتعلّمان بسرعة».

سأله بسّ أشقر: «لكن، ألن نواجه مصاعب مع هذا الضباب؟». «لسكون الهواء حسناته».

فكر المبتدئ ثمّ لمعت عيناه وقال: «صحيح أننا لن نشتمّ الفريسة بسهولة، لكنها هي أيضاً ستجد صعوبة في اشتماننا». «بالضبط».

سألته بسّة الرماد: «هل نبدأ الآن؟».

«بالطبع، لكن خذا وقتكما، فهذا ليس سباقاً...». ذهب كلامه أدرج الرياح، لأنّ بسّة الرماد كانت قد انطلقت أساساً نحو مدخل المخيم، فنادها قائلاً: «لديكما كلّ الوقت حتّى المغيب». نظر بسّ أشقر إلى قلب النار، ثمّ استدار ليتبع شقيقته متنهّداً.

تعقّب قلب النار المبتدئين عبر غابة الصنوبر. بدت طبقة الإبر التي تغطّي الأرض ناعمة على نحو غريب بعدما كان يدوس على أرض الغابة الجليدية. تبع بسّة الرماد إلى أن رآها تتسلّل بلهفة بين الأدغال. ثمّ التقط رائحة بسّ أشقر وتبعها، فتشابكت طرقهم هنا وهناك. استطاع المدرّب أن يشتمّ الأماكن التي مرّ بها المبتدئان وهما يجريان بسرعة، والأماكن التي جلسا فيها، وحتّى الأماكن التي اجتمعا فيها.

سرعان ما عثر قلب النار على المكان الذي اصطادت فيه بسّة الرماد فريسة. وعرف أنّها أخذتها معها، لأنّه اشتّم رائحة الصيد المختلطة برائحتها وهو يتبعها. ثمّ اكتشف المكان الذي اصطاد فيه بسّ أشقر طائر

سَمَن، إذ كان الريش متناثراً هنا وهناك. كان المبتدئان ييليان حسناً، وتأكد من ذلك عندما اشتَمَ الهواء ووجده محملاً برائحة الصيد الطازج. فنبش إبر الصنوبر عند أسفل الشجرة، ووجد مخبأ الطرائد تحتها، حيث تركتها بسّة الرماد لأخذها لاحقاً. أحسّ بالفخر لأنها اصطادات الكثير، وهي الآن متّجهة إلى غابة السنديان خلف منطقة ذوي الساقين.

تبعها قلب النار. خلف أطراف غابة الصنوبر، التقط رائحة بسّ أشقر. كانت قوية، مما يعني أنّه في الجوار. تقدّم وبحث عنه حول شجرة سنديان صغيرة، فوجده جاثماً تحت أجمة عليق، مختبئاً في ظلّها. كان ذيله فقط هو الذي يتحرّك يميناً ويساراً.

تركزت نظرات بسّ أشقر على فأر غابات يتجول حول جذور شجرة. أخذ وقته، ففكر قلب النار في سرّه: هذا جيد. راقب المبتدئ وهو يتقدّم خطوة تلو الأخرى، من دون أن يصدر أيّ صوت عن وقع أكفّه. كان صامتاً مثل الفأر نفسه الذي واصل بحثه عن الطعام غير مدرك لما يدور حوله. راقبه قلب النار حابساً أنفاسه، وتذكر أول مهمّة صيد له. اقترب بسّ أشقر أكثر، وذابت خشخشة الأوراق تحت أكفّه في أصوات الغابة. أخذ قلب النار يتمنّى التوفيق للمبتدئ الذي ضغط جسده على أرض الغابة، ولم يكن يبعد سوى طول أرنب عن فريسته. اختبأ الفأر تحت أحد الجذور ونظر حوله. سكن تماماً، ولا بدّ أنّه أدرك وجود خطب ما.

قال قلب النار في سرّه: الآن! قفز بسّ أشقر وهبط فوق الفأر، ثمّ أمسكه بكفّيه الأماميين، فلم يجد الوقت للمقاومة، بل لقي حتفه بعضة واحدة.

رفع بسّ أشقر رأسه، فرأى قلب النار نظرة الرضى على وجه الهزّ

الشاب وهو يشتم رائحة صيده قبل أن ينطلق بين الأشجار. عندئذٍ، أدرك المحارب أنه يتوق إلى إبلاغ النمر الشرس بما فعله تلميذاه.

«مرحباً!». أجفله الصوت الصغير الذي تنهى إليه من خلفه، فقفز مذعوراً في الهواء ثم استدار.

سألته بسّ الرماد وهي تنظر إليه مميلة رأسها جانباً: «كيف حالك؟». أجابها بحدة: «لا يجدر بك أن تسأليني شيئاً». ثم لعق فراءه المنفوش. «لا ينبغي أن تتحدّثي معي أساساً. فأنا أقيّمك، هل تذكرين؟». مامت بسّ الرماد: «آه! أنا آسفة».

تنهّد قلب النار، وتذكّر أنه لم يجرؤ بتاتاً على الاقتراب من النمر الشرس خلال تقييمه. صحيح أنه لا يرغب في إخافة بسّ الرماد لإجبارها على الانصياع له مثلما فعل النمر الشرس مع بسّ أدهم، ولكنه لا يمانع بالحصول على القليل من الاحترام من وقت لآخر. حتّى إنه في بعض الأحيان لا يشعر أنه مدرّب بسّ الرماد.

خفضت الهرة الشابة نظرها للحظة، ثم نظرت إليه وقد بدت الحيرة على وجهها. «هل ولدت هناك حقاً؟ في منزل ذوي الساقين؟». فوجئ قلب النار بالسؤال، ونظر بعصبية إلى سور ذوي الساقين، وتمنّى ألا تخرج أميرة من حديقته اليوم عندما تشتم رائحتي بسّ الرماد وبسّ أشقر الغريبتين. ماء قائلاً: «ولم تسألين؟».

«ذكر النمر الشرس ذلك مرّة، هذا كلّ ما في الأمر». بدا واضحاً أنّ الفضول هو دافعها الوحيد، لكنّ قلب النار أحسّ بالتهديد عندما ذكرت اسم النمر الشرس. ما الذي قاله أيضاً لبسّ الرماد؟

أجابها بحزم: «ولدت بسبوساً أليفاً، لكنني محارب الآن، وحياتي مع العشيرة. صحيح أنّ حياتي القديمة لم تكن سيئة، ولكنها انتهت،

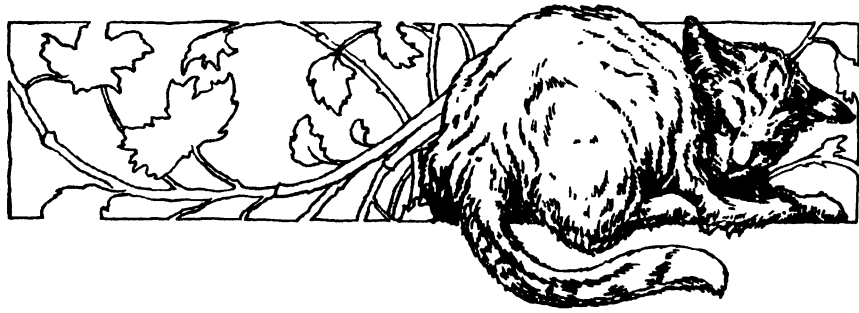
وأنا مسرور بذلك».

مأّت بلا اكتراث: «آه حسناً، إلى اللقاء!». ثم استدارت وانطلقت
تجري بين الأشجار.

وقف قلب النار بمفرده في الغابة، وراح قلبه ينبض بعنف وهو
يحدّق إلى سور ذوي الساقين. قبل شهر من الآن، كان الكلام الذي
قاله لبسة الرماد عن سروره بانتهاء حياته القديمة صحيحاً، ولكنه لم
يعد واثقاً الآن. أحسّ بوخز في فرائه وهو يدرك أنّ بعضاً من أسعد
لحظات حياته مؤخراً كانت تلك التي أمضاها وهو يتذكّر الماضي مع
شقيقته البسبوسة الأليفة.



telegram @
yasmeenbook



الفصل 13



عندما بدأت الشمس تغيب، انتظر قلب النار بجانب شجرة الصنوبر التي دفنت عندها بسّة الرماد أوّل صيد لها. سمع وقع أكفّ على الأرض، فاستدار ليرى المبتدئين قادمين باتّجاهه، والفرائس تتدلى من فميهما. بالكاد كان بسّ أشقر قادراً على حمل صيده، نظراً لكبر حجمه. لدى رؤيته الهزّين، أحسّ قلب النار بالارتياح، فحتّى النمر الشرس لن يتمكن من التعليق على جهودهما.

قال وهو يزيح غطاء إبر الصنوبر عن صيد بسّة الرماد: «سأساعد في حمل ما تبقى». وأخرج الصيد، ثمّ حمله بين أسنانه، وانطلق الثلاثة عائدين.

عندما وصلوا إلى فسحة المخيم، كانت بعض قطط العشيرة تأخذ حصّتها من كومة الفرائس. ولا بدّ أنّ النمر الشرس كان ينتظر عودتهم، لأنّه أتى إليهم ما إن وضعوا صيدهم.

سأل وهو يركز صيدهم بكفّه الضخم: «هل اصطادا كلّ هذا بنفسيهما؟».

فأجابه قلب النار: «بالطبع».

ماء النائب: «هذا جيّد. تعال إلينا أنا ونجمة الصباح، وأحضّر بعض

الطعام لنفسك، فنحن نأكل».

نظرت بسّ الرماد وبسّ أشقر إلى قلب النار بإعجاب؛ فتناول الطعام مع زعيمة العشيرة ونائبها شرف كبير. غير أنّ قلب النار لم يشاركهما حماستهما، فقد كان يودّ تقديم تقريره إلى نجمة الصباح حين تكون بمفردها. وآخر من يتمنّى مشاركته الطعام هو النمر الشرس.

سأله هذا الأخير: «بالمناسبة، هل رأيت النمر الرمادي؟». وأحسن بشيء من القلق بينما تابع النمر الشرس يقول: «يفترض به البقاء في المخيم بسبب زكامه، غير أنني لم أراه منذ علوّ الشمس».

حرّك قلب النار أكفّه بارتباك. هل خرج صديقه مجدداً بحثاً عن السلام والهدوء؟ أجاب: «كلاً، ربّما كان مع جمرة».

«ربّما». وذهب النائب إلى حيث كانت نجمة الصباح تأكل حمامة سميّة.

تبعه قلب النار محاولاً التخفيف من قلقه المتزايد حيال اختفاء النمر الرمادي المتكرّر. اختار طائر صغنج صغيراً من كومة الصيد، ثمّ تمنّى لو أنّه اختار فأراً. فكيف سيعطي تقريره بفهم ممتلئ بالريش؟ جلس أمام نجمة الصباح، فرحبت به قائلة: «أهلاً بك يا قلب النار». وضع الطائر على الأرض، لكنّه قرّر عدم البدء فيه مباشرة.

نظرت إليه الزعيمة بموّدّة وقالت: «أخبرني النمر الشرس أنّ مبتدئك عاداً بصيد وفير». جلس النمر الشرس إلى جانبها وهو يحدّق إليه بنظرات انتقادية جعلت ذيله ينتفض بعصية.

«هذا صحيح. في الواقع، لم يسبق لهما أن اصطادا في الضباب من قبل، لكنّه لم يسبّب لهما أيّ عائق. راقبتُ بسّ أشقر وهو يصطاد فأر غابات. تسلّله ممتاز».

سألته: «وماذا عن بسّة الرماد؟».

لاحظ قلب النار نظرة فولاذية تعبر عينيها. أهى قلقة حيال قدرات الهرة الشابة؟ فأجاب: «مهارات الصيد تتطور لديها على نحو جيد. فهي شديدة الحماسة، هذا مؤكد، ولا يبدو أنها تخاف شيئاً».

سألته نجمة الصباح: «ألا تخشى أن تتهور بسبب ذلك؟».

«إنّها سريعة وفضولية؛ الأمر الذي يجعل منها تلميذة مجتهدة. وأعتقد أنّ هذا سيعوّض عن»- وبحث قلب النار عن الكلمة المناسبة بعصبية- «شدة اندفاعها».

حرّكت نجمة الصباح ذيلها، ثمّ قالت وهي تلقي نظرة على النمر الشرس: «شدة اندفاعها، كما تقول، تقلقني. فهي تحتاج إلى توجيه حذر خلال تدريبها». هبطت معنويات قلب النار فجأة. هل هذا يعني أنّ نجمة الصباح غير راضية عن أسلوبه في التدريب؟

رقت نظرات الزعيمة. «ستشكّل تحدياً دائماً، ولكن من الواضح أنّها ستصبح صيادة ماهرة. كانت جهودك مثمرة يا قلب النار، مع الاثنين في الواقع». أشرقت عينا قلب النار فوراً، فتابعت نجمة الصباح: «لقد لاحظت كيف تولّيت تدريب بسّ أشقر من دون أن يُطلب منك ذلك، وأريدك أن تتابع تدريب الاثنين حالياً».

أشاح النمر الشرس بنظره، لكن لم تفته نظرة الغضب التي لمعت في عينيه. ماء قائلاً: «شكراً لك يا نجمة الصباح».

زمجر النائب من دون أن يلتفت: «أرى أنّ صديقك الغائب قد عاد». استدار قلب النار ورأى النمر الرمادي يخرج من خلف الحضانة، فقال: «لا بدّ أنّه قصد مكاناً أكثر هدوءاً، فهو ما زال يعاني من الحمى، ولا شكّ في أنّ بقاءه في المخيم طوال اليوم ليس سهلاً عليه».

ماء النمر الشرس: «سواء أكان سهلاً أم لا، عليه التركيز على التحسّن. لا وقت للمرض هنا في فصل الثلوج، فقد خرجت الفأرة السمراء في دورية هذا الصباح على الرغم من سعالها. أتمنى فقط ألا نصاب بالسعال الأخضر هذا الفصل. فقد خسرنا خمسة صغار في العام الفائت بسببه».

هزّت نجمة الصباح رأسها الرمادي بجديّة وقالت: «فلنصلّ لكي لا يكون هذا الفصل طويلاً وشاقاً مثل العام الفائت. فهو لا يمرّ بسهولة أبداً على العشائر». بدا عليها الشرود للحظة، قبل أن تقول لقلب النار: «خذ هذا الطائر وتقاسمه مع النمر الرمادي. لا شك في أنّه يريد أن يعرف كيف أبلى تلميذه في الاختبار».

«حسناً يا نجمة الصباح، شكراً لك». حمل الصغنج وذهب إلى أجمة القَرَاص التي جلس النمر الرمادي بجانبها مع فأر غابات كبير. كان قد التهم نصفه عندما وصل قلب النار، وقد تكون هذه إشارة إلى أنّ زكامه بدأ يزول.

وضع الصغنج بجانب صديقه الذي فاجأه العطاس في تلك اللحظة.

سأله بتعاطف: «ألم تتحسّن بعد؟».

أجاب النمر الرمادي بفمه الملآن: «كلّا، أعتقد أنّني سأبقى في المخيم لوقت أطول».

أحسن قلب النار أنّ صديقه يبدو أكثر فرحاً ممّا كان عليه، ولكنّه لم يكشف عن شكوكه المتنامية بأنّه يخفي عنه أمراً.

«لقد أحسن بسّ أشقر فعلاً في اختبار اليوم».

«حقاً!». وأخذ قضمه أخرى وقال: «هذا جيّد».

«أجل، إنّه صياد رائع». بدأ قلب النار يأكل من طعامه. سأله بعد صمت طويل: «هل غادرت المخيم في الأيام الماضية أيّها النمر الرمادي؟».

توقّف المحارب الرماديّ عن المضغ وسأله: «ولماذا تسأل؟». انتفض ذيل قلب النار بعدم ارتياح وأجاب: «في الواقع، لم تكن هنا عندما عدت من الدورية في الليلة الماضية، كما قال النمر الشرس إنّه لم يرك اليوم منذ علوّ الشمس». «النمر الشرس!». وبدأ عليه القلق.

«قلت له إنك ربّما قصدت مكاناً أكثر هدوءاً أو أمضيت اليوم عند جمرة». وأخذ قضمّة أخرى من الصغنج، ثمّ سأله بفم ممتلئ بالريش: «هل خرجت حقّاً؟». أراد فجأة أن يقول له النمر الرمادي أجل، ويضع حداً لشكوكه في أنّه يخفي عنه سرّاً. غير أنّ صديقه تجاهل سؤاله، وقال متابعاً الأكل: «حسناً، شكراً على التغطية عليّ».

لم يطرح عليه قلب النار المزيد من الأسئلة، مع أنّ الفضول كان يتآكله. أخيراً، نهض النمر الرمادي وأعلن أنّه ذاهب إلى الوكر، من دون أن يعرف قلب النار شيئاً ممّا يدور في خلده.

«حسناً، أعتقد أنّني سأبقى هنا قليلاً بعد». هزّ النمر الرمادي رأسه ثمّ انصرف. فتمدّد على ظهره وأخذ يتمطّى ويحكّ الأرض فوق رأسه بمخالبه. بقي ممدّداً على هذا النحو لبعض الوقت وهو يفكّر. عرف من رائحة النمر الرمادي أنّ هذا الأخير لعق نفسه جيّداً قبل عودته. هل يحاول إخفاء رائحة ما؟ أقرّ صديقه أنّه غادر المخيم، ولكن إلى أين يذهب ولا يريد أو لا يستطيع إخبار قلب النار؟ فجأة، أحسّ بوخز في أكفّه. فماذا عن زيارته لأميّة، في منطقة ذوي الساقين، دوناً عن كلّ

الأماكن! هو الآخر لعق نفسه بعناية قبل عودته إلى المخيم، ولم يذكر أمر هذه اللقاءات مطلقاً للنمر الرمادي.

استقام جالساً، فأحسّ بشيء تحت أحد مخالبه. رفع كفه وأخرج الشيء العالق بواسطة أسنانه. كانت بقايا زهرة عسيل الصفصاف، ولكنها قديمة وذابلة. ماذا تفعل هنا؟ فالصفصاف لا ينمو في هذا الجزء من الغابة. في الواقع، لم يرَ قلب النار شجر الصفصاف إلا على ضفاف النهر، في أراضي عشيرة النهر. فجأة، حبس أنفاسه وبدأ قلبه ينبض بعنف. هل سقطت هذه البقايا من فراء النمر الرمادي؟

تسلّل إلى وكر المحاربين، فوجد الهزّ الرمادي نائماً. تمّد إلى جانبه، وتساءل عما إذا كانت الحماقة قد بلغت بصديقه حدّ العودة إلى أراضي عشيرة النهر. فالنظرة التي ظهرت في عينيّ فراء الفهد بعد موت الكفّ الأبيض أكّدت أنّ الكيل قد طفح. ارتعش قلب النار، وقرّر في تلك اللحظة أن يكتشف المكان الذي يذهب إليه النمر الرمادي وسبب ذهابه.

عندما استيقظ وجد الوكر رطباً وبارداً. وما إن اشتّم الهواء حتّى عرف أنّ المطر سيهطل قريباً، فخرج وهو يتثاءب. لم يكن قد نام جيداً بسبب قلقه على النمر الرمادي. وحتّى في هذه اللحظة، اقشعرّ جسده وهو يتخيّل صديقه بمفرده في أراضي عشيرة النهر.

«الجوّ بارد، أليس كذلك؟». أجفل قلب النار عند سماعه صوت البرق الخاطف. نظر إلى الخلف وانتفض ذيله. كان المحارب المخطّط والرشيّق يخرج من الوكر.

وافقه قلب النار قائلاً: «آه، أجل».

«هل أنت بخير؟ آمل ألا تكون قد التقطت العدوى من صديقك. فالفأرة السمراء تعاني منذ الصباح، كما قال النمر الذئال إنَّ بسَّ رشيق ظلَّ يعطس طوال جلسة التدريب يوم أمس».

هزَّ قلب النار رأسه قائلاً: «أنا بخير، لكنني متعب بسبب اختبار يوم أمس».

«آه، أخبرتني نجمة الصباح أنك قد تكون كذلك. ولهذا السبب، طلبت مني مساعدتك على تدريب بسّة الرماد وبسّ أشقر اليوم. هل لديك مانع؟».

«بالطبع لا، شكراً».

«حسناً إذاً، سألاقيكم في الغور بعدما أتناول طعامي. وإن كان بسّ رشيق مصاباً بالزكام فسنكون بمفردنا. هل أنت جائع؟». هزَّ قلب النار رأسه نافياً، فذهب البرق الخاطف ليأكل شيئاً من بقايا صيد يوم أمس. توجه قلب النار مباشرة إلى غور التدريب، وانتظر وصول الآخرين. غير أن باله لم يكن مشغولاً بالتدريب، بل بصديقه. فقد كان واثقاً من أنه سيخرج من المخيم اليوم أيضاً.

كانت الرياح المحمّلة بالمطر قد بدأت تهبّ على الأغصان التي تعلو الغور عند وصول بسّة الرماد وبسّ أشقر، يتبعهما البرق الخاطف. سأله المبتدئة وهي تهبط إلى الغور: «ماذا سنفعل اليوم؟». فحدّق إليها بشروء لأنّه لم يفكر في الأمر مطلقاً.

ماء بسّ أشقر وهو يقترب من خلفها: «هل سنصطاد؟». انضمَّ إليهم البرق الخاطف واقترح قائلاً: «ما رأيكما بالتدرّب على بعض تقنيات المطاردة؟».

وافقه قلب النار بسرعة: «فكرة جيّدة».

احتجّت بسّة الرماد: «لن نعيد مجدّداً درس الأرنب يسمعك والفأر يشعر بك!».

أسكتها البرق الخاطف بنظرة حادة، والتفت إلى قلب النار. أدرك هذا الأخير أن البرق الخاطف ينتظر منه أن يبدأ، فأسرع يقول: «سأريكما أفضل طريقة للتسلّل من خلف أرنب». خفض جسده، وبدأ يتقدّم إلى الأمام بسرعة وخفّة، إلى أن وصل إلى آخر الغور. لكنه عندما وقف واستدار، وجد القطط الثلاثة تنظر إليه باستغراب.

مات بسّة الرماد وهي تهزّ شاربها: «هل أنت واثق من أنك ستمكّن من خداع أرنب بهذه الطريقة؟».

أحسّ قلب النار بالارتباك للحظة، إلى أن أدرك أنّه أظهر لهم للتوّ أفضل تقنية لديه لمطاردة الطيور. فالأرنب يسمع احتكاك فرائه بالأعشاب عن بعد ثلاثة ثعالب.

نظر إلى البرق الخاطف بإحراج، فعبس المحارب المخطّط ثم قال: «ماذا لو أظهرت لكما كيفية التسلّل لاصطياد سنجاب؟». حولت بسّة الرماد نظراتها المشعّة من قلب النار إلى البرق الخاطف، فتنفّس الصعداء وذهب للمشاهدة.

انتصف النهار وقلب النار لا يزال يجد صعوبة في التركيز على حصّة التدريب. كان يتخيّل النمر الرمادي وهو يتسلّل من المخيم، ويتوق لتعقّبه. أخيراً، غلب عليه اضطرابه، فذهب إلى البرق الخاطف وهمس في أذنه: «أنا أعاني من ألم في بطني. هل يمكنك أن تتولّى التدريب لبقية اليوم؟ سأرى إذا كان لدى جمرة شيء يريحني».

«أحسست أنك شارد بعض الشيء. عد إلى المخيم، وأنا سأصطحب هذين الاثنين للصيد».

«شكراً لك». أحسّ بالخجل لأنّ البرق الخاطف صدّقه بهذه السهولة.

مشى وهو يعرج محاولاً أن يبدو كما لو أنّه يتألّم. وما إن أصبح بأمان بين الأشجار، حتّى انطلق يعدو إلى المخيم. عندما عاد النمر الرمادي أمس، أتى من خلف الحضانة. وهو يعرف بالتجربة أنّ هذا هو المكان الأفضل للتسلّل من المخيم خفية. فمنه هربت جمرة عندما اشتبهت العشيرة أنّ المداوية العجوز قتلت الورقة الرقطاء.

دار حول الحدود الخارجية للمخيم، واشتمّ سياج السرخس، وغاص قلبه عندما التقط رائحة النمر الرمادي التي أكّدت له أنّه تسلّل تكراراً من هذه الطريق. لكن، بما أنّ الرائحة قديمة، فهذا يعني أنّه لم يخرج اليوم.

ربض خلف شجرة مجاورة وجلس ينتظر. كانت الغابة تُظلم مع تجمّع السحب الممطرة في السماء. خبّأته الظلال تماماً، وحرص على ألاّ تحمل الرياح رائحته إلى النمر الرمادي. أصبح بطنه يؤلمه فعلاً الآن من شدّة التوتر وإحساسه بالذنب والقلق. تمنّى ألاّ يأتي صديقه، أو أن يقوده على الأقلّ إلى بقعة هادئة ضمن حدود عشيرة الرعد.

قفز قلبه عندما سمع حفيفاً في سياج السرخس، ثم رأى أنفأ رمادياً يدفع الأغصان، فخفض رأسه بينما راح النمر الرمادي ينظر حوله بحذر. بعد بضع لحظات، خرج المحارب وبدأ يسير باتجاه غور التدريب. فرح قلب النار ظناً منه أنّ الهزّ الرمادي تحسّن وقرّر المشاركة في حصّة اليوم. فلاحق به، وبقي على مسافة آمنة، معتمداً على الرائحة أكثر من البصر لتعقّبه.

عندما انحرف أثره عن الطريق المؤدية إلى غور التدريب، عرف

أنّ آماله ذهبت أدراج الرياح. أحسّ بالرعب وهو يرى الصخور الرمادية المميّزة تلوح من خلف الأشجار: الصخور المشمسة. فرفع أذنيه، وفتح فمه لاشتتام رائحة القطط المعادية. عند أطراف الأشجار، لمح هزاً رمادياً عريض الكتفين يتجاوز الصخور باتجاه حدود عشيرة النهر، فلم يعد لديه شكّ الآن في وجهة صديقه.

ما إن غاب هذا الأخير عن نظره، حتّى اقترب ليحدّق إلى المنحدر المؤدّي إلى النهر، وعرف مكانه من تمايل الأعشاب. غير أنّه أمل وحسب ألا يكون هناك محاربون من عشيرة النهر يراقبونه أيضاً.

هبط قلب النار المنحدر، وعرف من خريبر المياه المتدفّقة التي ترتطم بالصخور أنّ النهر لم يعد متجمّداً. أبطأ من سرعته عندما وصل إلى أطراف نباتات السرخس وحدّق إلى ضفّة النهر.

كان النمر الرمادي جالساً على الحصى. نظر حوله رافعاً أذنيه، لكنّ قلب النار عرف من استرخاء كفّيه أنّه لا يبحث عن طريدة.

فجأة، تناهى إليه نداء هزّ غريب في البعيد. أهى إحدى دوريات عشيرة النهر؟ انتصب فراؤه، وتوتّرت عضلاته غريزياً، لكنّ النمر الرمادي لم يتحرّك. ثمّ سمع حفيفاً صادراً عن نباتات السرخس خلف النهر، ومع ذلك بقي المحارب الرمادي ساكناً. أمسك قلب النار أنفاسه مع ظهور وجه عند الضفّة المقابلة. ومن دون أيّ صوت، خرجت الهرة الفضّية من بين الأعشاب وغاصت في النهر، فأحسّ أنّ قلبه قد توقّف للحظة. كانت شعاع الفضّة؛ الهرة التي أنقذت صديقه!

سبحت بسهولة، بينما وقف النمر الرمادي وماء بفرح وهو ينقلّ أكفّه بحماسة فوق الحصى. رفع ذيله عالياً، واقترب من حافة النهر وهي تصعد إلى الضفّة.

نفضت شعاع الفضّة الماء عن فرائها، وتلامس الهَرّان الرماديان
بأنفيهما بلطف. مرّر النمر الرمادي خطمه على فكّها فرفعت ذقنها
بسعادة. بعد ذلك، وقفت على رؤوس أصابعها، ولفّت جسدها الرشيق
حول جسده. للمرّة الأولى، لم يمانع النمر الرمادي بتاتاً أن يبتلّ فراؤه،
بل خرخر راضياً بصوت عالٍ.



الفصل 14



اقشعرّ عنق قلب النار ذعراً. كيف يقدم النمر الرمادي على حماقة كهذه؟ فهو يخرق كلّ بنود قانون المحاربين بمقابلته هرّة تنتمي إلى عشيرة أخرى.

خرج من بين الأجمات، وناداه بصوت كالهسيس: «أيها النمر الرمادي!».

استدار الهرّان ونظرا إليه. خفضت شعاع الفضّة أذنيها بغضب، بينما حدّق إليه النمر الرمادي مجفلاً. «هل كنت تتبعني؟». تجاهل قلب النار مواء المذهول وقال: «ماذا تفعل؟ ألا تدرك مدى خطورة ذلك؟».

قالت شعاع الفضّة: «لا بأس. لن تأتي الدوريات إلى هنا قبل الغروب».

زمجر قلب النار: «كم أنت واثقة! كأنك تعلمين كلّ تحرّكات عشيرتك!».

رفعت رأسها قائلة: «بالطبع أعرف، فوالدي النجم الأعوج هو زعيم عشيرة النهر».

جمد قلب النار في مكانه، وأخيراً قال لصديقه بحدّة: «كيف تعبث

في أمر كهذا؟ ألم تجد سواها؟».

نظر إليه النمر الرمادي للحظة، ثم استدار إليها قائلاً: «من الأفضل أن أذهب».

رَفَت شعاع الفضة عينيها ببطء، ثم مَدَّت رأسها باتجاهه لتلامس خَدَّه. أغمضتا أعينهما وبقيتا ساكنتين للحظة، بينما وقف قلب النار يراقبهما والخوف يشلّ أعصابه. أخيراً، همست في أذن النمر الرمادي ثم افترقا الاثنان. وقبل أن تنزلق في النهر مجدداً، رفعت هزة عشيرة النهر رأسها وحدّقت بتحدٍّ إلى عيني قلب النار.

أتى إليه النمر الرمادي، ثم خرجا من أراضي عشيرة النهر بصمت متجهين نحو الصخور المشمسة. ومع اقترابهما من المخيم، أبطأ النمر الرمادي من مشيته.

واكبه قلب النار ثم قال أخيراً: «عليك أن تكف عن رؤيتها». كان إحساسه بالذعر قد تضاعف الآن مع ابتعادهما عن حدود عشيرة النهر، لكنّه لا يزال غاضباً.

أجاب النمر الرمادي بصوت مبحوح: «لا أستطيع». وأخذ يقفّ.

«لا أفهم. فعشيرة النهر معادية تماماً لعشيرة الرعد حالياً، وقد سمعت ما قالته فراء الفهد بعد موت الكف الأبيض». انزعج لأنّه يعرف أنّ تذكير صديقه بالحادثة سيؤلمه، ولكنّه لم يعد يستطيع التوقّف الآن. «كيف عرفت أنّ هذه الهزة أهل للثقة أساساً؟».

فأجابه بحدّة: «أنت لا تعرفها». وصمت ثمّ جلس، وبدأ الألم في عينيهِ. «ولا ضرورة لتذكيري بالكف الأبيض. هل تظنّ أنّه من السهل عليّ أن أكون مسؤولاً عن موت أحد أصدقاء شعاع الفضة؟». أطلق

قلب النار شخيراً ساخراً، فقد كان الكف الأبيض عدواً لا صديقاً! لكن النمر الرمادي تابع حديثه: «شعاع الفضة تتفهم أن موته كان نتيجة حادثة. فالمضيق ليس مناسباً لخوض معركة، وكان من الممكن لأي هز أن يخسر حياته هناك!».

دار قلب النار حول صديقه الذي جلس ينظف فراءه من رائحة الهرة. «لا يهم ما تظنه شعاع الفضة! ماذا عن ولائك لعشيرة الرعد؟ فأنت تخرق قانون العشيرة برؤيتها!».

توقف النمر الرمادي عن لعق فرائه وهس قائلاً: «وهل تظن أنني لا أعني ذلك؟ هل تشك بولائي للعشيرة؟».

«بماذا أفكر إذا؟ لا يمكنك رؤيتها من دون أن تكذب على العشيرة. وماذا سيحدث لو نشبت معركة مع عشيرة النهر؟ هل فكرت في ذلك؟».

أجابه بعصبية: «أنت تبالغ في القلق، لن تصل الأمور إلى هذا الحد. فبعد رحيل النجم نمرود وعودة عشيرة الرياح، سيخيم السلام على العشائر».

«لا يبدو أن عشيرة النهر تسعى إلى السلام، فأنت تعرف أنهم يصطادون على الصخور المشمسة، في أراضينا».

قال وهو يلتفت ليلعق طرف ذيله: «إنهم يصطادون على الصخور المشمسة قبل أن أولد».

واصل قلب النار دورانه وهو يفكر أن صديقه لا يدرك ما يفعله. «حسناً، ماذا لو قبضت عليك إحدى دورياتهم؟».

أجابه بين لعقتين طويلتين لذيله الكثيف: «لن تسمح شعاع الفضة بحدوث ذلك».

فانفجر غاضباً: «لكن، ألا تخشى عواقب ما تفعله ولو قليلاً؟».

توقف النمر الرمادي عن لعق جسده ونظر إليه. «أنت لا تفهم، أليس كذلك؟ لا شك أن عشيرة النجوم هي التي خطّطت لذلك. اسمع، شعاع الفضة ترغب في رؤيتي حتى بعد ما حدث للكف الأبيض. نحن نتشارك الأفكار نفسها، كما لو أننا ولدنا في عشيرة واحدة».

أدرك قلب النار أنه من غير المجدي إطالة الجدل، فماء بقلب مثقل: «تعال، من الأفضل أن نعود قبل أن يشعروا بغيابك مجدداً».

نهض النمر الرمادي، وعادا جنباً إلى جنب إلى أعلى الوادي، ثم نظرا إلى المخيم. ترددت فكرة واحدة في ذهن قلب النار؛ كيف يمكن لصديقه أن يحب ابنة النجم الأعوج ويبقى وفياً لعشيرته؟

نظر إليه، ثم بدأ بهبوط المنحدر، وتسللاً إلى المخيم من الطريق نفسها التي سلكها النمر الرمادي وهو يخرج. أمسك أنفاسه وهو يمر بصعوبة عبر السياج المحيط بالمخيم، وتملكه الغضب لاضطراره إلى التسلل بهذه الطريقة. غاص قلبه وهما يلتفان من حول الحضانة ليجدا الرعب الأبيض آتياً نحوهما.

قال محذراً: «أيها النمر الرمادي، يجدر بك أن ترتاح وأن تكف عن التجول في هذا المكان. فسعالك بدأ ينتشر، ولا نريده أن يصل إلى الحضانة!». هزّ النمر الرمادي رأسه وذهب إلى وكر المحاربين. ثم التفت الرعب الأبيض إلى قلب النار الذي انتفضت أذناه بعصبية وقال: «وأنت، ألا يفترض بك أن تدرّب تلميذك؟».

«أتيت لكي تعطيني جمرة شيئاً لألم البطن».

«حسناً، اذهب إليها وخذ شيئاً إذاً. وبعد ذلك، قم بعمل مفيد

وأحضر بعض الصيد الطازج. ففي فصل الثلوج لا يتسكع المحاربون الشباب في أرجاء المخيم بلا عمل».

«حسناً أيها الرعب الأبيض». ثم استدار مسروراً لأنه لم يخضع للمزيد من الاستجواب، وتوجّه مسرعاً إلى وكر جمرة.

كانت الهزة المداوية مشغولة بمزج الأعشاب، فقد وجد أمامها عدة أكوام من الأوراق. وقف يراقبها بصمت لبعض الوقت. كان يشعر بالحزن بعد شجاره مع النمر الرمادي، وتمنى لو أنّ الورقة الرقطاء هي التي كانت تمزج هذه الأعشاب عوضاً عن جمرة.

نظرت إليه الهزة العجوز قائلة: «مؤنّتي تنفذ، وقد أحتاج إلى إعادة التخزين».

لم يجبها، بل وقف متسائلاً عما إذا كان يجدر به أن يبوح لها بقلقه على النمر الرمادي. غير أنّها قطعت عليه أفكاره.

قالت وهي تضغط بنفاد صبر على ورقة جافة: «يبدو أنّ السعال الأبيض منتشر في المخيم، فقد وجدت حالتين هذا الصباح».

«أهو بسّ رشيق؟».

هزّت الهزة العجوز رأسها نافية. «بسّ رشيق مصاب بالزكام وحسب، بل صغير النمرة الشقراء وكشكول. وضعهما ليس خطيراً حالياً، لكن عليّ التركيز على الحفاظ على قوّة العشيرة. فهذا الفصل يترافق دائماً مع خطر السعال الأخضر». فهم قلب النار سبب قلقها، فالسعال الأخضر قاتل. نظرت إليه مجدّداً وسألته: «ماذا تريد؟».

«آه، لا شيء. بطني يؤلمني قليلاً، لكن الأمر ليس مهماً إن كنت منشغلة».

سألته: «هل وضعك سيّئ؟».

فأقرّ قلب النار من دون أن ينظر إلى عينيها: «كلّا».
«إذاً، عد إليّ عندما يسوء». ثمّ استأنفت عملها. استدار ليرحل،
ولكنّها نادته قائلة: «أحرص على بقاء النمر الرمادي في وكره من فضلك.
فهو محارب شابّ وقوي، ولو كان يرتاح، لزال سعاله».
انتفض ذيل قلب النار بعصية. هل تعرف أنّ صديقه يتسلّل من
المخيّم؟ انتظر لسماع المزيد، وقلبه ينبض بقوة، لكنّ جمرة ركّزت على
أعشابها مجدّداً، فغادر وكرها بهدوء.

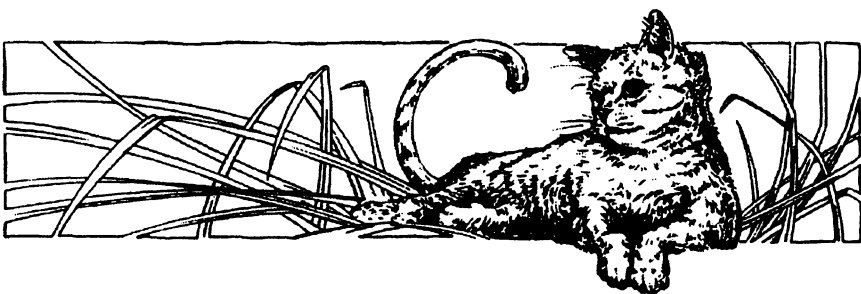
بدأ الظلام يخيم، وعرف أنّه لا يملك وقتاً طويلاً، فاصطاد بسرعة
سنجاباً وصغنجاً وفأراً، ولكنّه تردّد قبل العودة إلى المخيّم. فمخاوفه
على النمر الرمادي بدت أهمّ من أيّ شيء قد يقوله الرعب الأبيض إن
لم يعد بالصيد في الوقت المحدّد. عندئذٍ توصّل إلى قرار؛ إن لم يتعقّل
النمر الرمادي، فربّما ستفعل شعاع الفضّة ذلك.

وضع صيده تحت جذع شجرة وغطّاه بالأوراق. وللمرّة الثانية في
ذلك اليوم، عاد إلى الصخور المشمسة. السماء التي كانت تتزوّد بالمطر
طوال اليوم ألقت بحملها أخيراً. فكان المطر يتساقط بغزارة على أجسام
السرخس عندما هبط قلب النار المنحدر المعتم باتجاه النهر.

حتّى تحت المطر، كان من السهل عليه إيجاد رائحة شعاع الفضّة.
تبع قلب النار أثرها وصولاً إلى المكان الذي وجد فيه الهزّين معاً.
مشى بحذر على الضفّة. كانت المياه الداكنة تتدفّق بغزارة، حيث أرسلت
قشعريرة في جسده. فهو لم يكن يرغب في عبور النهر سباحة، وذلك
لأنّ فراءه لا يمتاز بالطبقة الدهنية التي تتمتع بها قطط عشيرة النهر
لحمايتها من البلل، كما أنّ فصل الثلوج ليس مناسباً لمغامرة كهذه.
فجأة، جمد في مكانه عندما اشتّم رائحة محاربي عشيرة النهر!

جثم ونظر إلى الضفّة الأخرى، فرأى شعاع الفضة تشقّ طريقها
بين أغصان الصفصاف. كان خلفها اثنان من عشيرتها، أحدهما محارب
ذو كتفين عريضتين وأذنين مزقتهما المعارك. اشتّم المحارب الهواء
بارتياب وفتّش حوله.

سمع قلب النار الدم يهدر في أذنيه. هل التقط المحارب رائحته؟



الفصل 15



تراجع قلب النار للاختباء في أجسام السرخس بأقصى سرعته. كان محارب عشيرة النهر قد توقّف لاشتصاص الهواء، لكنّه ما زال ينظر حوله.

استدار قلب النار وهو جائم، وبدأ يزحف لمغادرة المكان. غير أنّه سمع صوت جسم يرتطم بالماء خلفه، فعرف أنّ هزّاً نزل في النهر. نظر إلى الخلف وبدأ قلبه ينبض بعنف. رأى بين النباتات رأساً فضياً يقترب منه. إنّها شعاع الفضة! لكن، أين اختفى الهزان الآخران؟ دار بحذر، وتذوّق الهواء بفم مفتوح، غير أنّه لم يجد رائحة أخرى في الجوار. لا بدّ أنّهما تابعا طريقهما. نظر مجدّداً إلى الهزة التي كانت تعبر النهر بكلّ تصميم. تساءل للحظة عمّا إذا كانوا قد نصبوا له فخاً وفكّر في الهرب، لكنّ خوفه على النمر الرمادي دفعه إلى البقاء.

صعدت الهزة الفضية المخطّطة إلى الضفة، وهست بصوت خافت: «قلب النار، أعرف أنّك هناك، فأنا أشتّم رائحتك! لا تخف، فقلب الصوّان وبسة الظلام رحلا».

لم يتحرّك قلب النار.

«اسمع، أنا لن أسمح بحدوث مكروه لصديقي الحميم النمر

الرمادي! صدّقني أرجوك!». أجبرت نبرتها الملحّة قلب النار على الخروج من مخبئه ببطء.

حدّقت إليه وانتفض ذيلها. «ماذا تفعل هنا؟».

أدرك بأنّه موجود في أرضٍ معادية، فأجاب هامساً: «كنت أبحث عنك».

انتفضت أذناها وسألته بقلق: «هل النمر الرمادي بخير؟ هل ساءت حالته؟».

انزعج قلب النار من اهتمامها، إذ لم يشأ أن يعرف أنها تكثرث لصحّة صديقه. فزمجر غاضباً وقد زال حذره: «إنّه بخير! لكنّه لن يكون كذلك إن استمرّ بلقائك!».

توتّرت شعاع الفضّة وأجابت: «لن أسمح بحدوث مكروه للنمر الرمادي!».

أجابها ساخراً: «آه حقّاً! وما الذي يمكنك فعله لحمايته؟».

«أنا ابنة زعيم العشيرة».

«وهل هذا يمنحك السلطة للتحكّم بمحاربي أبيك؟ بالكاد أنهيت تدريبك!».

فهست غاضبة: «مثلك تماماً!».

أقرّ قائلاً: «نعم، هذا صحيح، ولهذا السبب لست واثقاً من أنني أستطيع حماية النمر الرمادي من غضب عشيرته أو عشيرتك إن افتضح أمركما».

حاولت شعاع الفضّة أن تتحدّاه بنظراتها، لكنّ العاطفة غلبت عليها، فمادت قائلة بصوت أقرب إلى الهمس: «لا يمكنني أن أكفّ عن رؤيته، فأنا أحبه».

لم يستطع قلب النار أن يشعر بأيّ تعاطف معها من شدّة غضبه. «لكنّ علاقة العشيرتين متوتّرة أساساً! فنحن نعرف أنّ عشيرة النهر تصطاد في أرضنا...».

عادت نظرة التحديّ إلى عينيّ شعاع الفضة وهي تقول: «لو فهمت عشيرة الرعد السبب، لما حققت علينا!». «لماذا؟».

«لأنّ عشيرتي جائعة. فصغارنا سيكون لأنّ أمّهاتهم لا يستطيعن إرضاعهم. والعجائز يموتون جوعاً بسبب قلة الصيد».

حدّق إليها قلب النار مذهولاً. «لكنّكم تملكون النهر!». فكلّ القطط تعرف أنّ عشيرة النهر تملك أفضل مصدر للصيد؛ ألا وهو أسماك النهر، هذا فضلاً عن فرائس الغابة في الحقول المجاورة.

«ليس كافياً، فقد استولى ذوو الساقين على جزء من أراضيها. وهم يقيمون مخيماً هناك طوال فصل الزهر، ويقطنون فيه ما دام السمك وفيراً. بعد رحيلهم، يقلّ السمك، كما يصعب إيجاد الفرائس بسبب الضرر الذي يلحقونه بالغابة».

أحسّ قلب النار بالشفقة عليهم على الرغم من غضبه، وأدرك مدى خطورة هذا الوضع بالنسبة إلى عشيرة النهر. فلا بدّ أنّهم كانوا معتادين على غذائهم الغني بالسمك، والذي كانوا يقتاتون عليه طوال فصل الزهر، حيث يعينهم على تحمّل أشهر البرد القاسية. نظر إلى الهرة من زاوية جديدة، وأدرك أنّها لم تكن رشيقة، بل هزيلة، وذلك لأنّ عظامها كانت ظاهرة تحت فرائسها المبتلّ والملتصق بجلدّها. فجأة، فهم سبب رفض النجم الأعوج خطة نجمة الصباح في الاجتماع. «ألهذا السبب لم ترغبوا في عودة عشيرة الرياح إلى أرضها؟».

شرحت له شعاع الفضة قائلة: «تتجول الأرانب في أراضهم على مدار العام. كانت أملنا الوحيد للبقاء خلال فصل الثلوج من دون خسارة الصغار». هزّت رأسها ببطء قبل أن تنظر إليه مجدداً.

سألها: «هل يعرف النمر الرمادي كل ذلك؟».

هزّت رأسها إلى الأسفل. نظر إليها حائراً، ولكنه لم يسمح لهذه المشاعر بالتغلب على قانون المحاربين، ولا ينبغي لصديقه أيضاً أن يسمح بذلك. «مهما تكن مشاكل عشيرتك، يجب أن تكفي عن رؤية النمر الرمادي».

رفعت شعاع الفضة ذقنها، ولمع التصميم في عينيها وهي تجيب: «كلاً، كيف يمكن لحبنا أن يؤذي أحداً؟».

نظر إليها قلب النار، وارتعش مع تسرب ماء المطر البارد عبر فرائه الكثيف.

فجأة، أجفل عندما هسّت شعاع الفضة: «عليك أن ترحل، فالدورية آتية».

سمع قلب النار خشخشة خافتة آتية من الضفة الأخرى. من غير المجدي، لا بل من الخطر البقاء لوقت أطول، فحفيف الأعشاب كان يقترب. وهكذا، عاد بصمت عبر أجسام السرخس المبتلة متوجّهاً إلى المخيم.

رجع مسرعاً إلى كومة الطرائد التي تركها تحت شجرة السنديان. وفي طريقه، اشتّم رائحة حديثة لذوي الساقين، فتذكّر أميرة. تساءل إن كان الوقت يسمح له بالذهاب إلى منزل ذوي الساقين ليعرف إن كانت قد وضعت صغارها. لكن، لا بدّ أنّها مستلقية الآن بأمان في فراشها، فيما العشيرة تحتاج إلى الطعام. فجأة، أدرك قلب النار أنّ الازدواجية

في الولاء لا تقتصر على النمر الرمادي.

بدأ المطر يقطر من أطراف شاريه، فنفض قطرات الماء وذهب لإحضار صيده.

وجد المخيم غارقاً في الصمت بعد أن أوت كل القطط إلى أوكارها. اجتاز الفسحة الموحلة وأضاف صيده إلى كومة الطرائد، ثم أخذ قطعة لنفسه وذهب إلى وكر المحاربين، فقد كان من المستحيل تناول الطعام في الخارج هذه الليلة.

أطل إلى الداخل، وفرح عندما وجد النمر الرمادي نائماً. لا شك في أنه سيتحسن إن لم يخرج للجري في الغابة بحثاً عن شعاع الفضة.

تناهى إليه مواء الرعب الأبيض من الظلال: «جمرة لم تأكل شيئاً بعد، فقد كانت منشغلة جداً، وأظن أنها ستفرح بهذا الفأر الذي تحمله».

هز قلب النار رأسه وخرج مجدداً. إن كانت جمرة شديدة الانشغال لدرجة لم تسمح لها بتناول الطعام، فهذا يعني أن المرض ينتشر في المخيم. أسرع لأخذ فأر آخر قبل دخول نفق الخنشار.

وجد صغيراً مخططاً مستلقياً على فراش من الطحالب عند أطراف الفسحة. وكانت جمرة جاثمة إلى جانبه وهي تحاول إقناعه بتناول بعض الأعشاب. اشتتمها الصغير على نحو مثير للشفقة، ثم نظر إليها بعينه الدامعتين وأنفه الجاري. عندئذ، أدرك قلب النار أن هذا الصغير مصاب بالسعال الأبيض بلا شك.

التفتت الهزة العجوز عندما سمعت قلب النار وهو يدخل. ماءت وهي تنظر إلى الفأر المتدلّي من فمه: «هل هذا لي؟». هز رأسه ووضعه

على الأرض. «شكراً لك. ما دمت هنا، لماذا لا تحاول إقناع هذا الصغير بأخذ الدواء؟». ثم ذهبت لتتناول الفأر بنهم وهي تسير بصعوبة بسبب إصابة كتفها القديمة.

اقترب قلب النار من الصغير، فنظر إليه هذا الأخير وهو يفتح فمه الصغير ويقحّ على نحو مؤلم. فدفع إليه بعشبة خضراء صغيرة وقال: «إن أردت أن تكون محارباً، فعليك أن تعتاد على ابتلاع هذه الأعشاب الفظيعة. فعندما ستقوم برحلتك إلى حجر القمر، ستأكل أعشاباً أسوأ طعماً بكثير».

نظر إليه الصغير بعينه شبه المغمضتين.
حثّه قلب النار: «اعتبره تمريناً، كما لو كنت تتدرب لتصبح محارباً». عندئذٍ، مدّ الصغير رأسه وأخذ قزمة صغيرة، فخرخر قلب النار مشجّعاً.

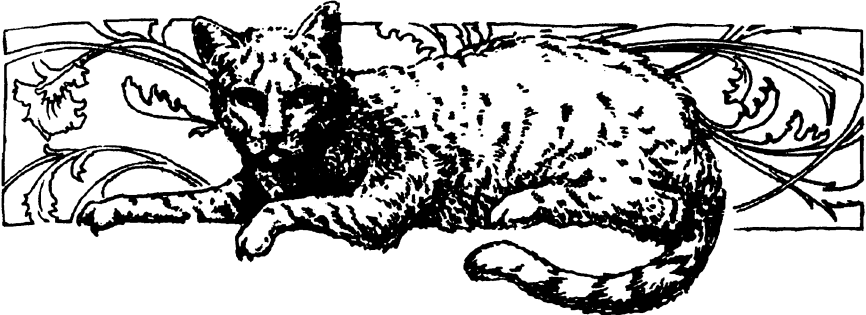
اقتربت جمرة وماءت قائلة: «أحسنّت». وعندما أشارت إليه بأنفها، فهم أنها تريد التحدّث إليه، فتبعها إلى وكرها في الصخرة حيث تنام. كان المطر لا يزال يتساقط، حيث ابتلّ فراء جمرة، واتّسخ ذيلها بالوحل. ماءت بجديّة: «نجمة الصباح تعاني من السعال الأبيض». لكنّ السعال الأبيض ليس خطيراً، أليس كذلك؟».

هزّت رأسها نافية وقالت: «لقد أتى بسرعة كبيرة وأثر عليها كثيراً». تقلّصت معدة قلب النار وهو يتذكّر العدد المتضائل لأرواح زعيمة العشيرة. «حذرتها لتتجنّب القطط المريضة، ولكنها أصرت على رؤيتها. وهي الآن نائمة في وكرها، ومعها بياض الثلج».

عندما رأى قلب النار الخوف في عيني جمرة، تساءل عما إذا كانت تعرف الحقيقة عن أرواح نجمة الصباح. فقد ظنّ أنّه الهزّ الوحيد في

المخيم الذي أخبرته الزعيمة بسرّها. لكن، في الوقت الذي تظنّ فيه بقيّة
العشيرة أنّها ما زالت تملك أربع أرواح، ربّما تستطيع الهزّة المداوية أن
تشعر بهذه الأمور غريزياً.

في الحقيقة، إن خسرت نجمة الصباح هذه الروح، فلن تبقى لديها
سوى روح واحدة.



الفصل 16



استمرّ هطول المطر طوال الليل وحتى الصباح التالي. ولكن مع علوّ الشمس، بدأت السحب تنقشع. خيمّ الوجود على الفسحة خلال انتظار العشيرة سماع أنباء عن زعيمتها.

خرج قلب النار من أجمة العليق المجاورة للسياج المحيط بالمخيم، والتي احتمى فيها منذ الفجر، وذهب إلى وكر نجمة الصباح في أسفل الصخرة العالية، إلا أنّه لم يسمع أيّ صوت في الداخل. وعندما استدار عائداً، اصطدم بغصن الصفصاف التي كانت تحمل الطعام إلى الحضانة، فأمالّت رأسها متسائلة.

عرف أنّها تأمل سماع أنباء عن نجمة الصباح، فهزّ كتفيه وقال: «ما من جديد على ما يبدو».

كان قلب النار قد أعطى بسّة الرماد وبسّ أشقر يوم استراحة، فرآهما ممدّين خارج وكرهما، والملل بادٍ عليهما، إلا أنّه أراد البقاء في المخيم خلال فترة مرض نجمة الصباح. ولحسن الحظّ، لم يكن النمر الشرس موجوداً لانتقاد قراره. فقد خرج النائب في دورية منذ الفجر. فجأة، تحرّكت ستارة الأشنة عند مدخل وكر نجمة الصباح وخرجت بياض الثلج. أسرعّت إلى وكر جمرة، ثمّ عادت بعد دقائق

والهزة المداوية خلفها.

اندفع قلب النار إلى وكر الزعيمة في اللحظة التي مرّت فيها بياض الثلج وجمرة عبر ستارة الأشنة. توقّف في الخارج، ثم جلس وقلبه ينبض بسرعة.

أطلّت بياض الثلج، فسألها بصوت مرتجف: «ما الأمر؟». أغمضت عينيها وأجابته: «إنّها مصابة بالسعال الأخضر. راقب المدخل ولا تسمح لأحد بالدخول».

جلس قلب النار بلا حراك وقد شلّته الصدمة. السعال الأخضر! يبدو أنّ نجمة الصباح قد تخسر فعلاً روحاً أخرى.

سُمع مواء حادّ من خارج المخيم، فاستدار ونظر إلى نفق القندول. فجأة، دخل بسّ أغبر الفسحة وتوقّف بجانب قلب النار، ثم قال وهو يلهث: «أرسلني النمر الشرس، أحمل رسالة إلى نجمة الصباح». أجابه: «إنّها مريضة، لا يمكنك الدخول».

هزّ بسّ أغبر ذيله بنفاد صبر: «يريد النمر الشرس رؤيتها عند درب الرعد. الأمر ضروري».

«ماذا جرى؟».

حدّق إليه بسّ أغبر، ثم أجاب ساخراً: «يريد النائب نجمة الصباح، وليس بسبوساً أليفاً يدّعي أنّه محارب!».

انفجر قلب النار غاضباً واستلّ مخالفه، وزمجر قائلاً: «ليس بإمكان الزعيمة مغادرة المخيم». ثم أخفض أذنيه ووقف في مدخل الوكر. خرجت جمرة من خلفه وقالت بصوت خشن: «قلب النار على حق».

نظر بسّ أغبر إلى الهزة المداوية، وانكمش تحت نظراتها البرتقالية،

وماء قائلاً: «عثر النمر الشرس على دليل يشير إلى دخول محاربي عشيرة الظلال إلى أرضنا. لقد اجتاحوا أراضي الصيد الخاصة بنا!».

على الرغم من خوف قلب النار على زعيمة العشيرة، إلا أنه كثر عن أنيابه غاضباً. كيف يجروئون على ذلك بعد كل ما فعلته عشيرة الرعد من أجلهم؟

غير أن جمرة لم تكثرث لما قاله بسّ أغبر، بل التفتت إلى قلب النار والقلق بادٍ في عينيها، وماءت قائلة: «أخبرني يا قلب النار، هل تعرف ما إذا كانت منطقة ذوي الساقين تحتوي على نعناع برّي؟».

ردّد قلب النار: «نعناع برّي!».

«أحتاج إليه من أجل نجمة الصباح. فأنا لم أستخدم هذه العشبة منذ أشهر، لكنني أعتقد أنها ستساعدنا». استحوذت الهزة المداوية على اهتمام قلب النار الكامل، فتابعت قائلة: «إنّها عشبة ناعمة ذات رائحة لا تقاوم...».

قاطعها قلب النار: «أجل، أعرف أين أجد بعضاً منها!». لم يكن قد رآها في الغابة، ولكنه اعتاد في صغره على التقلّب في بقعة من هذه الأعشاب في منزل ذوي الساقين.

أجابته: «جيد، أحتاج إلى أكبر كمية تستطيع حملها، وبسرعة».

سأل بسّ أغبر: «وماذا عن النمر الشرس؟».

فأجابته بحدة: «على النمر الشرس أن يحلّ هذه المشكلة بنفسه حالياً!».

كانت بسّة الرماد تراقبهم من حيث تقف عند جذع الشجرة، فأتت تسأل بحماسة: «ما الذي سيحلّه بنفسه؟». فأشار إليها قلب النار بهزة من ذيله لتصمت.

تجاهل بسّ أغبر المبتدئة وهسّ قائلاً: «قد تكون عشيرة الظلال في أرضنا في هذه اللحظة!».

اتّسعت عينا بسّ الرماد، ولكنها أمسكت لسانها.

صمتت جمرة تفكّر ثمّ سألته: «أين الرعب الأبيض؟».

أجاب بسّ أغبر: «ذهب في دورية إلى الصخور المشمسة مع بسّ الرمال والفأرة السمراء».

هزّت جمرة رأسها قائلة: «مع مرض نجمة الصباح وخروج قلب النار لإحضار النعناع البرّي، لا يمكننا المخاطرة بإرسال المزيد من المحاربين من المخيم». ثمّ ذكرته بوجوم: «إن كانت عشيرة الظلال في أراضينا فعلاً، فإنهم سيستهدفون المخيم، لقد فعلوا ذلك سابقاً».

قال قلب النار: «إن أحضرت النعناع البرّي بسرعة، فإمكانني الذهاب لرؤية النمر الشرس ونقل رسالته إلى نجمة الصباح».

لمعت عينا بسّ أغبر غضباً. «ولكنّه يريد أن ترى نجمة الصباح الدليل بعينها. فقد تركت عشيرة الظلال بقايا الصيد على جهتنا من درب الرعد!».

أسكته جمرة بحدّة: «لا تحتاج نجمة الصباح إلى رؤية الدليل، فكلّمة نائبها تكفيها».

ماء قلب النار: «على أحدنا إخبار النمر الشرس أنّ نجمة الصباح لا تستطيع المجيء وحسب. سأخبره بذلك بعد إحضار النعناع البرّي. أين هو؟».

قال بسّ أغبر بحدّة: «أنا سأذهب! هل تعتقد أنّك مرسال أفضل منّي لمجرّد كونك محارباً وكوني مبتدئاً؟». ورمى على قلب النار نظرة مليئة بالحق.

غير أن جمرة لم تجد الوقت مناسباً للشجار، فهست قائلة لبس أغبر وقد خفضت أذنيها: «العشيرة تحتاج إلى الحماية خلال غياب قلب النار! ألا تجد هذا العمل مهماً بالنسبة إليك؟ والآن، أين النمر الشرس؟».

أجاب باستياء: «إنه بجانب شجرة الرماد المحروقة المتدلّية فوق درب الرعد».

قالت: «حسناً، والآن اذهب يا قلب النار! أسرع!».

أسرع قلب النار يعبر الفسحة. فجأة، سمع وقع أكف صغيرة خلفه. «قلب النار، انتظر!».

ماء من دون أن يبطن من سيره: «عودي إلى وكرك يا بسّة الرماد». «لكنني أستطيع الذهاب وإيصال الرسالة إلى النمر الشرس بينما تحضر النعناع البرّي!».

توقّف والتفت إلى تلميذته الشابة. «اسمعي يا بسّة الرماد، إن كان محاربو عشيرة الظلال في الجوار، فعليك البقاء في المخيم». بدت الخيبة على وجه بسّة الرماد، لكن قلب النار لم يكن يملك الوقت لمراعاة مشاعرهما، فزمجر قائلاً: «عودي إلى وكرك». ومن دون أن ينتظر رد فعلها، استدار وانطلق مسرعاً.

أسرع عبر غابة الصنوبر، ومرّ بين الأدغال المؤدية إلى منطقة ذوي الساقين. وبينما كان يتسلق السور المحيط بمنزله القديم، ملأت أنفه رائحة الحديقة المألوفة. انهالت الذكريات على رأسه فجأة، فأحسن بالدوار للحظات. فكّر بساعات العصر المشمسة التي كان يمضيها في اللعب في الحديقة بالألعاب التي يحضرها له ذوو الساقين. كان يتوقع دائماً أن يسمع خشخشة الطعام في العلة، وأصواتهم وهم ينادونه لتناول

العشاء. فجأة، فكّر بنجمة الصباح التي تقاوم مرضها.

قفز إلى الحديقة، وأسرع عبر المرج إلى المكان الذي ينمو فيه النعناع البرّي. تنشق الهواء بعمق فاتحاً فمه، ثم زفر بارتياح. كانت الرائحة الجميلة لا تزال موجودة في مكان ما.

مشى على طول صفّ النباتات وهو يشتمّ الهواء. لم يستطع رؤية النعناع البرّي، بل كان يقترب على نحو متزايد من مأواه القديم. تباطأت خطواته، واختلطت روائح طفولته برائحة النعناع وأربكته.

هزّ رأسه لتصفية ذهنه، ثم ركّز على رائحة العشب. شقّ طريقه من تحت أجمة كبيرة ما زالت مبلّلة بمياه المطر، ثمّ عثر على بقعة كبيرة مليئة بالعشب الناعمة الفوّاحة. كان الجليد قد قضى على بعض الأوراق، لكنّ الأشجار حمت ما فيه الكفاية منها لتستخدمها جمرّة. قطف قلب النار بفمه ما استطاع حمله من أوراق. وسرعان ما تسرّبت النكهة اللذيذة إلى فمه، ولكنّه حرص على عدم مضغ الأوراق مع أنّه رغب في ذلك؛ لأنّ نجمة الصباح بحاجة إلى كلّ قطرة من عصارتها الثمينة.

ملاً فمه بها ثمّ استدار وأسرع عائداً عبر الحديقة. قفز من فوق السياج وعاد أدراجه في الغابة، متجاهلاً أشواك العليق التي كانت تحتكّ بفرائه. أحسّ أنّ رثتيه ستنفجران، فبسبب فمه المغلق على الأعشاب، كان يتنفّس من أنفه فقط.

وجد جمرّة بانتظاره في نفق القندول فوضع النعناع البرّي أمامها، ثمّ أخذ نفساً عميقاً وملاً رثتيه بالهواء. نظرت إليه بامتنان، ثمّ حملت الأوراق بسرعة إلى وكر نجمة الصباح.

وبينما جلس قلب النار يستنشق الهواء، أدرك أنّه يشتمّ رائحة بسّة الرماد المتحمّسة في نفق القندول. اشتّم الأرض حوله. هل غادرت

المخيم متجاهلة تحذيره من محاربي عشيرة الظلال؟
ذهب مسرعاً إلى وكر المبتدئين وأطلّ إلى الداخل. كان بسّ أشقر
بمفرده نائماً.

سأله قلب النار: «أين بسّة الرماد؟».

رفع الهزّ الناعس رأسه وأجاب: «أوه، ماذا؟».

«بسّة الرماد! أين هي؟».

أجاب بارتباك: «لا أدري».

تراجع ونظر إلى أرجاء الفسحة. كانت بياض الثلج تتمشى خارج
وكر نجمة الصباح، وفراؤها مشعث من شدة القلق.

تساءل عما يجدر به فعله؛ فهو لا يملك الوقت للعثور على بسّة
الرماد بنفسه، كما أنّه لم يرغب في إخبار بقية المحاربين بغيابها. النمر
الرمادي! بإمكان النمر الرمادي البحث عنها بينما يذهب هو للعثور على
النمر الشرس. أسرع إلى وكر المحاربين ودخل.

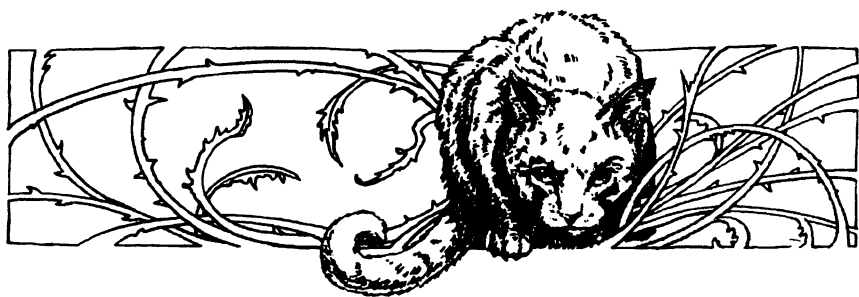
كان فراش النمر الرمادي خالياً، فتملّكه الغضب فجأة. أين يذهب
صديقه عندما يحتاج إليه؟ كما لو أنّه لا يعرف! على بسّة الرماد أن تهتمّ
بنفسها إلى أن يعثر على النمر الشرس ويخبره بمرض نجمة الصباح.

أسرع عائداً عبر نفق القندول، وبدأ رحلته إلى درب الرعد. وبينما
كان يسير على حافة الوادي ويتوغّل في الغابة، أدرك أنّ رائحة بسّة
الرماد عالقة في الهواء. لا شكّ في أنّها سلكت هذه الطريق. بالطبع!
لقد ذهبت بنفسها إلى النمر الشرس! انتصب فراء قلب النار قلقاً وغضباً.
كيف يمكنها أن تكون بهذا التهور؟

وعندما التفت حول صخور الأفاعي، بدأ يشتمّ رائحة درب الرعد
ويسمع هدير وحوشه.

فجأة، تناهت إليه صرخة عالية من أطراف الأشجار جمّدت الدماء في عروقه. كانت الصرخة نفسها التي سمعها في حلمه. أسرع في الخروج من بين الأشجار، وتوقّف عند الأعشاب الممتدة عند حافة درب الرعد. نظر يائساً صعوداً ونزولاً إلى أن رأى شجرة رماد ضربتها صاعقة. لا شك في أنه المكان الذي أراد النمر الشرس مقابلة نجمة الصباح فيه. غير أن النائب ما زال بعيداً يمشي بهدوء نحو الشجرة. انطلق قلب النار يجري. كانت الحافة ضيقة جداً هناك، وبالكاد تتسع لأرنب، لكنّه واصل المسير. نادى النمر الشرس وهو يركض. «هل سمعت هذه الصرخة؟». لكنّ هدير وحش قادم طغى على صوته.

ارتعد قلب النار أثناء مروره، وانتظر أن هدا الضجيج لينادي النمر الشرس مجدداً. فجأة، لاحظ شيئاً بجانب الشجرة، كان شكلاً داكناً ممدداً على خطّ الأعشاب الضيق. أخيراً، تعرّف مذعوراً على الجسد الصغير الممدد بلا حراك بجانب درب الرعد. إنها بسّة الرماد.



الفصل 17



حدّق قلب النار إلى المشهد المريع. أمامه، كان النمر الشرس قد وصل إلى الجسد الساكن، ووقف ينظر إليه وقد تصلّبت كتفاه الضخمتان من شدة الصدمة. أجبر قلب النار نفسه على الاقتراب، ومدّ رأسه ببطء إلى الأمام واشتمّ جسد بسّة الرماد، فوجد رائحة درب الرعد عالقة عليه. كانت ساقها الخلفية ملتوية وتنزف. أخذ قلب النار يرتجف، وبالكاد استطاع الوقوف. أخيراً تحرّك جنبها، فعرف أنّها ما زالت تتنفس! نظر إلى النمر الشرس غير قادر على الكلام.

فقال النائب وهو يحدّق إليه بنظراته العنبرية: «ما زالت حية. ما الذي كانت تفعله هنا؟».

همس قلب النار: «أتت بحثاً عنك».

«هل تعني أنك أرسلتها إلى هنا؟».

اتّسعت عينا قلب النار دهشة. هل يظنّ النمر الشرس أنّه بهذا الغباء؟ اعترض قائلاً: «أمرتها بالبقاء في المخيم! لكنّها أتت من تلقاء نفسها». ثمّ أدرك برعب: «لأنّني لم أستطع أن أجبرها على الإصغاء إليّ!».

قال النمر الشرس: «علينا أخذها إلى المخيم». ثمّ انحنى بفمه المفتوح باتجاه الجسد الصغير المكور على الأرض، لكنّ قلب النار

خفض رأسه وحمل المبتدئة من عنقها قبل أن يلمسها النمر الشرس، وراح يجزّها في الغابة بلطف قدر المستطاع، فيما تدلّى جسدها بلا حراك بين كفيه الأماميين.

أتى إليهما النمر الأسود وهو يركض وقال: «لقد تحقّقت مجدّداً من صخور الأفاعي أيّها النمر الشرس، ولا أثر لعشيرة...». ثم صمت فجأة عندما رأى بسّة الرماد. «ماذا حدث؟».

لم ينتظر قلب النار لكي يسمع جواب النمر الشرس، بل انطلق مبتعداً بين الأشجار مع الهزة الجريئة. كان بإمكانه أن يمنع وقوع هذه الحادثة! فقط لو أنّه أجبر بسّة الرماد على الإصغاء إليه؛ فقط لو أنّه كان مدرباً أفضل. لكنّها الآن مصابة وتنزف، ولا يصدر عنها أيّ صوت وهو يحملها بين كفيه. رسم كفّاه الخلفيان أثراً طفيفاً على الأوراق المتساقطة على الأرض بينما كان يحملها بعناية إلى المخيم.

لم تكن جمرة في فسحتها، بل وجد الصغيرين المصابين بالسعال الأبيض مكوّرين على فراشهما. مدّد قلب النار بسّة الرماد على الأرض الباردة، ثمّ صنع لها فراشاً في أجمة السرخس بعد أن دار فيها مراراً. وعندما انتهى، حملها ووضعها فيه بلطف.

مئات جمرة من الفسحة: «قلب النار!». لا بدّ أنّ النمر الشرس أخبرها بالحادثة. فخرج إليها قائلاً: «إنّها هنا». وأحسّ بالارتياح عندما رأى الهزة المداوية.

«دعني ألقى عليها نظرة». أبعدت قلب النار، وذهبت لتتفحص بسّة الرماد، فجلس وانتظر.

عادت أخيراً والقلق يبدو عليها: «إصابتها سيئة جداً، لكنني أعتقد

أنتي قد أتمكّن من إنقاذها».

كان الأمل ضئيلاً، مثل قطرة ندى واحدة تلمع وهي عالقة بفرائه. أحسّ بهذا الأمل للحظة قبل أن تتابع: «لا يمكنني أن أعد بشيء». ثم نظرت عميقاً إلى عينيه وتمتمت: «نجمة الصباح مريضة جداً، ولم يعد بإمكانني مساعدتها. عشيرة النجوم هي التي ستحدّد مصيرها الآن». أحسّ قلب النار بالحزن، وبالكاد استطاع رؤية وجه جمرة، لكنّه سمعها تتحدّث مجدّداً وتقول بصوت لطيف: «اذهب واجلس معها، فقد طلبت رؤيتك قبل قليل. أنا سأهتمّ ببسّة الرماد».

هزّ رأسه واستدار مبتعداً. لم تكن نجمة الصباح مدرّبتة فحسب، بل نشأ بينهما رابط منذ لقائهما الأوّل. غير أنّ الحيرة مزّقت قلبه؛ لأنّه أراد أن يكون مع بسّة الرماد أيضاً في هذه اللحظة.

لاح ظلّ عند الطرف الآخر لنفق الخنشار. كان النمر الشرس جالساً عند مدخل وكر الهرة المداوية رافعاً رأسه كالعادة، فتصلّبت كتفا قلب النار غضباً. لماذا لا يُظهر المحارب الضخم أيّ إحساس بالحزن؟ ففي النهاية، ذهبت بسّة الرماد إلى ذلك المكان بحثاً عنه. ولماذا؟ لم يجد قلب النار هناك أيّ دليل على أنّ عشيرة الظلال تصطاد في أرضهم! مرّ من أمام النمر الشرس بصمت، وتوجّه إلى وكر نجمة الصباح. كان النمر الذيّال يحرس الوكر من الخارج. نظر إليه شزراً، ولكنّه لم يمنعه عندما مرّ عبر ستارة الأشنة.

وجد في الداخل زهرة الذهب، إحدى هرر الحضانة. رأى عينيها تلمعان في عتمة الوكر، وميّز فراء نجمة الصباح الشاحب وهي مكورة في فراشها. انحنت زهرة الذهب ولعقت رأس زعيمة العشيرة لتخفّف من حرارته، مثل أمّ تعني بصغيرها، فتألّم وهو يفكر ببسّة الرماد. هل

بياض الثلج بجانب ابنتها الآن؟

تمتت زهرة الذهب قائلة له: «أعطتها جمرة النعناع البري واليانسون، ولم يعد أمانا سوى الانتظار». ثم وقفت ولامست أنف قلب النار بخطمها، وسألته بلطف: «هل يمكنك البقاء معها؟». هز رأسه موافقاً، فخرجت الهرة الشقراء بهدوء.

جلس قلب النار وبسط كفيه الأماميتين أمامه، حيث لامس وجه زعيمته. جلس بهدوء، مثبتاً نظره على جسدها الساكن. حتى إنها لم تعد تقوى على السعال. سمعها وهي تتنفس في الظلام، وكانت أنفاسها السطحية أقرب إلى الصرير، فأصغى إلى وتيرتها بينما كان الليل ينقضي ببطء.

توقفت أنفاسها قبل طلوع الفجر تماماً. كان قلب النار على وشك أن يغفو عندما أدرك أن الكهف صامت. هدا الضجيج في الخارج أيضاً، وبدا له كما لو أن العشيرة بأكملها حبست أنفاسها.

سكنت نجمة الصباح تماماً، وعرف قلب النار أنها مع عشيرة النجوم، تستعدّ لروحها المتبقية. كان قد شاهدها وهي تخسر روحاً من قبل، فأحس بفرائه يخزه أمام السلام المخيف الذي اكتنف جسدها، لكنه لم يستطع فعل شيء سوى الانتظار.

فجأة، شهقت ثم مادت بصوت ضعيف: «قلب النار، أهذا أنت؟». تتمم مجيباً: «أجل يا نجمة الصباح، أنا هنا».

«لقد خسرت روحاً أخرى». كان صوتها ضعيفاً، لكن فرحة الهرة المحارب بعودتها كانت عظيمة، حيث رغب في الاقتراب منها ليلعقها بين أذنيها، مثلما فعلت زهرة الذهب. «عندما أخسر هذه الروح، فلن أتمكن من العودة مرة أخرى».

ازدرد قلب النار ريقه بصعوبة. فقد آلمته فكرة خسارة العشيرة
لزعيمتها العظيمة، لكن احتمال خسارته مدرّبه وصديقه آلمه أكثر.
«كيف تشعرين؟ هل أنادي جمرة؟».

هزّت رأسها ببطء رافضة. «لقد زالت الحمى، أنا بخير. لا أحتاج
سوى إلى الراحة».

«حسناً». كان الضوء قد بدأ يتسلّل من خلال ستارة الأشنة، فأحسّ
بالدوار بسبب استيقاظه طوال الليل.

«لا بد أنّك متعب. اذهب وخذ قسطاً من النوم».

وقف قلب النار على قوائمه التي تصلّبت من طول الجلوس.
«حسناً، هل تحتاجين إلى شيء؟».

«كلّا، فقط أخبر جمرة بما جرى. شكراً لبقائك معي».

حاول قلب النار أن يخرخر لكنّه لم يستطع، سيجد الوقت للكلام
لاحقاً. وهكذا خرج من الوكر.

أبهره الضوء الساطع في الخارج. كان الثلج قد تساقط خلال الليل،
فحدّق حوله مذهولاً. لم يكن قد سبق له أن رأى الثلج. فعندما كان
صغيراً جداً، كان أصحابه يحبسونه في الداخل في الأيام الباردة. غير أنّه
سمع مسنّي العشيرة يتحدّثون عنه. هزّ رأسه بتحيّة للنمر الأسود الذي
تولّى حراسة الوكر بعد النمر الذّيال، ثمّ مشى فوق المسحوق الأبيض
الغريب. بدا رطباً وبارداً، وصدرت عنه خشخشة عالية تحت أكفّه.

كان النمر الشرس واقفاً في الفسحة، والثلج ما زال يتساقط ويستقرّ
على فراء الهزّ المخطّط الكثيف من دون أن يذوب. سمعه قلب النار
وهو يعطي الأوامر لإحاطة سياج الحضانة بالأوراق منعاً للبرد. قال
نائب عشيرة الرعد: «بعد ذلك، أريد أن تحفروا حفرة نخزن فيها الطرائد.

بطّونها بالثلج، ثمّ ضَعُوا المزيد من الثلج فوقها عند امتلائها. فهكذا نستفيد من الثلوج ما دامت موجودة».

أسرع المحاربون لتنفيذ أوامر النمر الشرس، فالتفت إلى الفأرة السمراء والنمر الذئال وأمرهما قائلاً: «أما أنتما، فقوموا بتنظيم فرق صيد. نحن بحاجة إلى أكبر قدر ممكن من الطعام قبل أن تأوي الفرائس إلى جحورها نهائياً!». وعندما رأى قلب النار يجتاز الفسحة، ناداه قائلاً: «انتظر يا قلب النار. آه، أظنك بحاجة إلى الراحة. لا أحسبك قادراً على المشاركة في الصيد هذا الصباح».

حدّق قلب النار إلى المحارب الأسمر، واعتمل صدره غضباً وعداء. «سأذهب للاطمئنان على بسّة الرماد أولاً».

نظر إليه النائب للحظة ثمّ سأله: «كيف حال نجمة الصباح؟». عبثت الريبة بفراء قلب النار مثل نسيم بارد. كان قد سمع نجمة الصباح تكذب على النمر الشرس مرّة حيال عدد الأرواح التي خسرتها، فأجابه قائلاً: «أنا لست مداوياً، لا أدري».

شخر النمر الشرس بضيق، ثمّ استدار وعاد لإصدار الأوامر، فذهب قلب النار إلى وكر جمرة وفرح بالابتعاد عن صخب المخيم. أخذ قلبه ينبض وهو يتساءل عن حالة بسّة الرماد. «جمرة».

ابتعدت جمرة عن فراش بسّة الرماد وهي تقول: «هس! نامت أخيراً. كانت ليلة عصيبة، ولم أستطع إعطاءها حبوب الخشخاش لتخفيف الألم إلّا بعدما استفاقت من صدمتها».

أحسن بارتياح عارم، وسألها: «لكن، هل ستعيش؟». «لن أتأكد إلّا بعد مرور بضعة أيام. فجرحها بليغ، كما أنّ ساقها الخلفية مكسورة».

توسّل إليها بصوت يائس: «لكنّها ستشفى، أليس كذلك؟ ستستأنف تدريبها مع حلول فصل الزهر».

هزّت المداوية العجوز رأسها نافية، ونظرت إليه بعينيها الصفراوين المتعاطفتين. «اسمع يا قلب النار، مهما يحدث، فلن تصبح بسّة الرماد محاربة أبداً».

أحسّ قلب النار بالدوار. فقد كان بحاجة إلى النوم، وأتى هذا الخبر الجديد ليستنفد ما بقي لديه من طاقة. فقد أوكلت إليه مهمّة تدريب بسّة الرماد لتصبح محاربة. عاودته ذكريات احتفال التسمية، ووخزته مثل أشواك حادة؛ حماسة بسّة الرماد، وفخر بياض الثلج بابتها... ماء متسائلاً: «هل عرفت بياض الثلج؟».

«أجل، فقد بقيت هنا حتّى طلوع الفجر، ثمّ عادت إلى الحضانة لتعتني ببقية الصغار. سأطلب من أحد المسنّين الجلوس مع بسّة الرماد، فهي بحاجة إلى الدفء».

«أنا سأقوم بذلك». وذهب قلب النار إلى الفراش الذي تنام فيه المبتدئة ونظر إليها. كانت متشنّجة، وجسدها الملطّخ بالدماء يعلو ويهبط كما لو أنّها تخوض معركة أثناء نومها.

دفعته جمرة بأنفها بلطف وقالت: «أنت بحاجة إلى النوم، دع بسّة الرماد لي».

بقي في مكانه وانفجر قائلاً: «لقد خسرت نجمة الصباح روحاً أخرى». رفّت جمرة جفניה، ثمّ رفعت رأسها نحو عشيرة النجوم. لم تقل شيئاً، إلّا أنّه رأى العذاب في عينيها البرتقاليّتين. سألها متمتماً: «أنت تعرفين، أليس كذلك؟».

خفضت رأسها ونظرت إليه. «أتسألني إن كنت أعرف أنّها روحها

الأخيرة؟ أجل، أعرف. فالهزة المداوية تخمّن هذه الأمور».

فسألها وهو يفكر بالنمر الشرس: «وهل تستطيع بقيّة العشيرة تخمين ذلك أيضاً؟».

زمت عينيها وأجابت: «كلّا، فهي لن تكون أضعف ممّا كانت عليه سابقاً».

نظر إليها قلب النار بامتنان.

سألته: «والآن، هل تحتاج إلى بعض حبوب الخشخاش لمساعدتك على النوم؟».

هزّ رأسه رافضاً. فقد تاق جزء منه إلى النوم السهل والعميق الذي تمنحه إيّاه، ولكنّ إن كان النمر الشرس محقّقاً وكانت عشيرة الظلال تستعدّ فعلاً للهجوم على حدودهم، فهو لن يشلّ حواسه. فقد يحتاجون إليه للدفاع عن المخيم.

وجد النمر الرمادي في وكر المحاربين. لم يقل له شيئاً، وذلك لأنّ غضبه من عدم إيجاده في الليلة الماضية ما زال يعتمل في صدره. ذهب بصمت إلى فراشه، ودار فيه مرّة واحدة، ثمّ جلس يغتسل. نظر إليه صديقه وقال: «إذاً، لقد عدت». وبدأ متوتّراً، وكأنّه يريد قول المزيد.

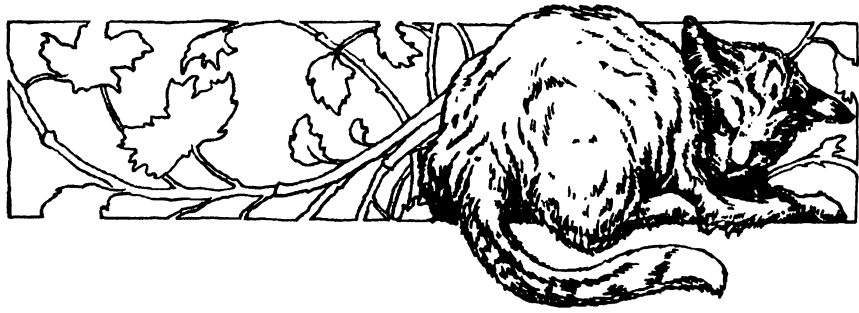
توقّف قلب النار عن لعق أكفّه وحدّق إليه.

هسّ النمر الرمادي غاضباً: «لقد حاولت تحذير شعاع الفضة». كانت غصن الصفصاف نائمة في الجهة الأخرى من الوكر، ففتحت عيناً ثمّ أغمضتها مجدّداً.

فخفض صوته مضيئاً: «هلاً امتنعت عن التدخل في هذه المسألة؟

فأنا سأستمرّ في رؤيتها مهما قلت أو فعلت».

شخر قلب النار ورماه بنظرة استياء حادة. بدا له حديثه مع شعاع
الفضة بعيداً، حتّى إنّهُ أوشك على نسيانه، لكنّه لم ينسَ أنّه لم يجد النمر
الرمادي عندما احتاج إلى مساعدته في العثور على بسّة الرماد. فأسند
رأسه بغضب على كفّيه الأماميتين الموحلتين وأغمض عينيه. كانت بسّة
الرماد تصارع الموت، ونجمة الصباح تعيش روحها التاسعة. بالنسبة إلى
قلب النار، بإمكان النمر الرمادي أن يفعل ما يحلو له.



الفصل 18



عندما استيقظ قلب النار في اليوم التالي، وجد فراش النمر الرمادي خالياً. عرف أنّ النهار قد انتصف من الضوء المتسلّل من بين الأغصان، فنهض مثقلاً بالحزن، وأطلّ برأسه من الوكر. لا بدّ أنّ الثلج كان يتساقط طوال الصباح لأنّه غطّى الأرض بطبقة سميكة وارتفع نحو الوكر. راح قلب النار يحدّق إلى الجدار الأبيض الذي بلغ ارتفاع كتفه.

لم يسمع الصخب المعتاد الذي يسود المخيم في مثل هذا الوقت. رأى غصن الصفصاف والذيل الأتر يتهامسان عند الطرف الآخر للفسحة. وكانت الفأرة السمراء تشقّ طريقها بصعوبة نحو مخزن الطرائد حاملة أرنباً بين فكّيهما. توقّفت وعطست، ثم تابعت طريقها.

رفع قلب النار أحد أكفّه ووضعها فوق الثلج. بدا صلباً في البداية، ولكنه حين ضغط عليه، تشقّقت الطبقة السطحية الرقيقة، فشقق وهو يرى قائمته تغوص في الثلج. فوجئ حين وجد نفسه غارقاً في الثلوج حتّى خطمه. فهزّ رأسه ورفع ذقنه، وحاول أن يقفز إلى الأمام، غير أنه غرق عميقاً أكثر. راح يتخبّط بخوف، وأحسّ أنّه يغرق! أخيراً، شعر بالأرض الصلبة تحت أكفّه. وعندما وصل إلى طرف الفسحة، وجد أنّ الثلج هناك لا يتجاوز ارتفاعه طول فأر، فجلس بارتياح وسمع خشخشة

ناعمة تحته.

توتّر عندما رأى النمر الرمادي يشقّ طريقه في الجليد نحوه. بدا المحارب الرمادي غير منزعج من هذا الوضع، لا سيّما وأنّ فراءه السميك يحميه من رطوبة الثلج وبرده. سأله والحزن مخيم على وجهه: «هل سمعت بما جرى مع نجمة الصباح؟ لقد خسرت روحاً بسبب السعال الأخضر».

هزّ قلب النار أذنيه بضيق، فقد كان باستطاعته أن يخبر صديقه بذلك في الليلة الفائتة. أجابه بحدّة: «أعرف، فقد كنت معها». سأله مصدوماً: «ولماذا لم تخبرني؟».

«لم تكن بمزاج حسن في الليلة الماضية، إن كنت تذكر. على كلّ حال، لو لم تكن منشغلاً طوال الوقت بخرق قانون المحاربين، لعرفت بما يجري في عشيرتك».

انتفضت أذنا النمر الرمادي بتوتّر، وماء قائلاً: «ذهبت لرؤية بسّة الرماد وحسب، أنا آسف للحادث الذي تعرّضت له». «كيف حالها؟».

«لا تبدو بخير، لكنّ جمرّة تقول إنّها تتحسنّ». حدّق قلب النار بقلق إلى أرجاء الفسحة ثمّ وقف، فقد أراد الاطمئنان على تلميذته بنفسه.

ماء النمر الرمادي: «إنّها نائمة الآن. بياض الثلج معها، وجمرّة لا تريد أن يزعجها أحد».

أجفل قلب النار عندما سمع اسم بياض الثلج. كيف سيخبرها أنّ ذهاب بسّة الرماد إلى درب الرعد حدث بسببه؟ التفت تلقائياً إلى صديقه ليستمدّ منه بعض الطمأنينة، لكنّ هذا الأخير كان يجتاز الفسحة البيضاء

متّجهاً إلى الحضانة، فعرف قلب النار بانزعاج أنّه ذاهب لرؤية شعاع الفضّة، وراح يخرج مخالفه ويخفيها وهو يراقب صديقه أثناء اختفائه عن الأنظار.

لم يلاحظ النمرة الشقراء- أكبر إناث الحضانة، وأمّ الصغير المصاب بالسعال الأبيض- إلّا عندما توقّفت أمامه. سألته وهي تشير بأنفها إلى وكر المحاربين: «هل النمّر الشرس في الداخل؟». هزّ رأسه نافياً.

«وصل السعال الأخضر إلى الحضانة، فاثنان من صغار عين الزمرد مصابان به».

شهق قلب النار، وأنستّه الصدمة غضبه: «السعال الأخضر! هل سيموتان؟».

«ربّما». ثمّ أضافت بلطف: «لكنّ السعال الأخضر يرافق فصل الثلوج دائماً».

اعترض قلب النار: «لكن، بالتأكيد يمكننا فعل شيء!». أجابته: «ستبذل جمرة ما في وسعها. وفي النهاية، عشيرة النجوم هي التي تقرّر».

أحسّ قلب النار بالغضب، فيما استدارت النمرة الشقراء عائدة إلى الحضانة. كيف ستمكّن العشيرة من احتمال هذه المآسي؟ أحسّ برغبة كبيرة في مغادرة المخيم والخروج من هذه الأجواء الكثيفة التي تبدو العشيرة راضية بالعيش في ظلّها.

قفز عابراً الفسحة ونفق القندول ثمّ خرج إلى الغابة. فوجئ عندما وجد نفسه يتّجه غريزياً إلى غور التدريب. كان يجدر به أن يكون هناك، يدرّب بسّة الرماد، غير أنّ هذه الفكرة فاقت احتمالها. وعندما

انحرف لتجنّب الغور، سمع صوت الرعب الأبيض وبسّ أشقر. لا بدّ أنّ المحارب الأبيض تولّى تدريب المبتدئ بينما كان قلب النار يغطّ في النوم. ألم يتوقّف أيّ هرّ ليحزن على روح نجمة الصباح الضائعة؟ أحسنّ بتشنّج في حلقه وهو يصارع غضبه، وواصل الجري بهدف الابتعاد لأكبر مسافة ممكنة عن المخيم.

توقّف أخيراً تحت أشجار الصنوبر، وأخذ جسده يعلو ويهبط بسبب المجهود الذي بذله وهو يجري فوق الثلوج. أحسنّ بالهدوء بفعل السكون الذي يلفّ المكان، فحتّى الطيور توقفت عن الغناء. هناك، شعر قلب النار أنّه المخلوق الوحيد في هذا العالم.

لم يعرف إلى أين يذهب، بل اكتفى بالسير، وترك الغابة تبعث السكينة في نفسه. بدأ ذهنه يصفو وهو يمشي. لم يكن قادراً على فعل شيء لبسّة الرماد، كما أنّ النمر الرمادي مشغول عنه. غير أنّه قد يكون قادراً على مساعدة جمرة في مكافحة السعال الأخضر عبر إحضار المزيد من النعناع البرّي.

سلك طريق بيته القديم، ومرّ بين أجسام العليق في غابة السنديان التي تنمو خلف منطقة ذوي الساقين. قفز عن السور المحيط بالمنزل، وهبط على جسر من الثلوج في الحديقة في الأسفل، فانهار الجسر مصدراً صوتاً خافتاً. تأمل الحديقة، فرأى آثاراً أصغر من آثار هرّ. لا شكّ أنّه سنجاب يجمع مؤونته.

لم يستغرق وقتاً طويلاً ليملأ فمه بأوراق النعناع البرّي، وقرّر أخذ أكبر قدر ممكن من تلك العشبة. فأوراقها الناعمة لن تحتمل هذا الطقس، وقد تكون هذه فرصته الأخيرة للحصول عليها.

حدّق قلب النار بفمه الممتلئ إلى الفتحة التي كان يستخدمها في

صغره، وتساءل عما إذا كان أصحابه ما زالوا يعيشون هنا. فقد تلقى معاملة حسنة بينهم. أمضى فصل الثلوج الأول له في عَشْم، وهو يتنعم بالدفء والأمان، بعيداً عن قسوة دروب الرعد والسعال الأخضر.

فكر بحدّة، لا بدّ أن رائحة النعناع البري أثّرت على عقلي. وانطلق عبر الحديقة واجتاز السور في وثبة واحدة. انزعج لأن منزله القديم أثّر به إلى هذا الحدّ. هل يريد فعلاً استعادة أمان حياته كبسبوس أليف وهدوئها؟ بالطبع لا! دفع تلك الأفكار بعيداً عن رأسه، لكن فكرة العودة إلى المخيم لم ترق له بعد.

فجأة، خطرت أميرة في باله.

أخذ يجري على طول حدود الغابة نحو المنطقة التي تقع فيها حديقة أخته. وعندما رأى السور، حفر تحت الثلج ودفن أوراق النعناع البري تحت طبقة من الأوراق اليابسة لحمايتها من البرد. كان لا يزال يلهث عندما قفز عن السور ونادى أميرة، قبل أن يتراجع إلى الغابة لانتظارها.

أحسّ بالألم في أكفّه بسبب البرد وهو يروح ويجيء تحت شجرة السنديان. قال في سرّه: ربّما كانت تعتني بصغارها أو محبوسة في الداخل. كان قد أقنع نفسه بأنّه لن يراها اليوم عندما سمع مواءها المألوف. فنظر إلى الأعلى، ورآها واقفة على أعلى السور. غمره الفرح حين لاحظ أنّ بطنها لم يعد منتفخاً، وهذا يعني أنّها وضعت صغارها. تنشق رائحتها وهي تقترب، وشعر أنّها تبعث فيه الدفء. ماء قائلاً: «لقد وضعت صغارك!».

لامست أميرة أنفها بأنفه بلطف وقالت: «أجل».

«هل كلّ شيء على ما يرام؟ هل الصغار بخير؟».

خرخرت مجيبة: «أنا على ما يرام، وصغاري الخمسة بصحة جيدة». كانت عيناها تلمعان فرحاً. لعق قلب النار رأسها فقالت: «لم أتوقع مجيئك في هذا الطقس».

«أتيت لإحضار النعناع البري، فبعض قطط المخيم مصابة بالسعال الأخضر».

بدا القلق في عيني أميرة. «هل هم كثر؟».

«ثلاثة حتى الآن». تردّد للحظة ثم قال بحزن: «خسرت زعيمتنا روحاً أخرى في الليلة الماضية».

«روحاً أخرى! ماذا تعني؟ ظننت أن قطط الحكايات الخرافية وحدها تملك تسع أرواح».

شرح لها قائلاً: «مُنحت نجمة الصباح تسع أرواح من عشيرة النجوم عندما أصبحت زعيمة لعشيرتنا».

نظرت إليه أميرة برهبة وقالت: «إذاً، هذا صحيح!».

«فقط بالنسبة إلى زعماء العشائر. أما نحن، فلا نملك سوى روح واحدة؛ مثلك ومثل بسّة الرماد...».

«بسّة الرماد!». لا بدّ أن أميرة لاحظت حزنه من صوته.

حدّق قلب النار إلى عينيها، وبدأ ييوح بالأفكار التي تشوّش ذهنه. «إنها تلميذتي، أصيبت على درب الرعد ليلة أمس». وتهدّج صوته وهو يتذكّر كيف وجدها مصابة تنزف. «إصابتها خطيرة، وقد تموت. وحتى لو بقيت على قيد الحياة، فلن تصبح محاربة أبداً».

اقتربت منه أميرة وداعبته بخطمها قائلة: «تحدّثت عنها بحنان في المرّة الماضية. بدت لي مليئة بالمرح والطاقة».

«ما كان ينبغي لهذه الحادثة أن تقع. كان يفترض بي أن أذهب

بنفسي للقاء النمر الشرس. فقد طلب مجيء نجمة الصباح، غير أنني عرضت الذهاب بدلاً عنها بسبب مرضها. لكن، حين أتيت لإحضار النعناع البري، ذهبت بسّرة الرماد عوضاً عني». بدا الخوف على أميرة، فأضاف بسرعة: «طلبت منها ألا تذهب، لكن لو كنت مدرّباً جيداً لأصغت إليّ».

«أنا واثقة من أنك مدرّب جيد». حاولت أميرة مواساته، لكنّه لم يصغِ إليها.

قال بحدّة: «لا أفهم سبب طلب النمر الشرس من نجمة الصباح لقاؤه في ذلك المكان الخطر! زعم أنّه وجد دليلاً على دخول عشيرة الظلال إلى أراضيها، لكنني لم أعر على أيّ رائحة لهم عندما وصلت!». قالت أميرة: «هل كان فخاً يا ترى؟».

نظر إلى أخته وبدأ يتساءل فجأة: «ولماذا سيرغب النمر الشرس في إيذاء بسّرة الرماد؟».

«لكنّه طلب نجمة الصباح أساساً».

اقشعرّ بدن قلب النار. هل يمكن أن تكون شقيقته على حق؟ فقد طلب النائب فعلاً مجيء نجمة الصباح إلى أضيق جزء من حافة الطريق. لكن، حتّى النمر الشرس لن يتعمّد تعريض حياة زعيمته للخطر بالطبع. أبعد الفكرة عن رأسه قائلاً: «لا... لا أدري، فما زال كلّ شيء غامضاً في هذه اللحظة. حتّى إن النمر الرمادي بالكاد يتحدّث إليّ».

«لماذا؟».

هزّ كتفيه مجيباً: «يصعب شرح ذلك». جلست أميرة إلى جانبه على الثلج، وضغطت جسدها إلى جسده، فتابع يقول بحزن: «أشعر أنني غريب جداً في هذه اللحظة، فليس من السهل أن تكوني مختلفة».

بدت الحيرة على وجه أميرة وهي تقول: «مختلفة!».
«أي أن تكوني في الأصل هزة أليفة في حين أن كل القطط الأخرى
من أبناء العشيرة».

«تبدو لي ابن عشيرة بالفعل». نظر إليها قلب النار باهتمام فتابعت
قائلة: «لكن، إن كنت غير سعيد هناك، فإمكانك المجيء للعيش معي،
فأنا واثقة من أن أصحابي سيعتنون بك».

تخيّل قلب النار نفسه وهو يعيش حياة البسبوس الأليف مجدداً؛
تلك الحياة الدافئة والأمنة. غير أنه لم ينس كيف كان يراقب الغابة
من حديقة ذوي الساقين ويحلم بالخروج إليها. عبث النسيم بفرائه
الكثيف، وحمل رائحة فأر إلى أنفه، فهز رأسه بتصميم وقال: «شكراً
لك يا أميرة، لكنني أُنتمي إلى عشيرتي الآن. لن أكون سعيداً أبداً في
وكر ذوي الساقين، بل سأشتاق إلى روائح الغابة، وإلى النوم تحت الفراء
الفضي، واصطياد طعامي ومشاركته مع العشيرة».

أشرق وجه أخته وخرخرت قائلة: «تبدو لي حياة جميلة». ثم نظرت
بحياء إلى أكفها وقالت: «حتّى إنني في بعض الأحيان أنظر إلى الغابة
وأساءل عن شكل الحياة هناك».

خرخر قلب النار ببهجة ونهض قائلاً: «إذاً، أنت تفهمين».
هزت أميرة رأسها موافقة. «هل ستعود الآن؟».
«أجل، عليّ أخذ النعناع البري إلى جمرة وهو لا يزال طازجاً».
مدّت أميرة رأسها إلى الأمام وضغطت خطمها على جسده. «ربّما
سيكون صغاري قد أصبحوا أقوياء بما فيه الكفاية لتلقيهم في المرة
القادمة».

أحسن قلب النار بالحماسة وقال: «أتمنى ذلك!».

وعندما استدار ليرحل، نادته قائلة: «انتبه إلى نفسك يا أخي، فأنا لا أريد أن أخسرك مجدداً».

وعدها قلب النار: «لن تخسريني».

خرخر الرعب الأبيض حين رآه عائداً إلى المخيم وفمه مليء بالنعناع البري: «أحسنت يا قلب النار».

كان لعبه يسيل طوال طريق العودة، حتى إنه تمنى عدم رؤية النعناع البري مجدداً. لكنّه عاد أكثر سعادة ممّا كان عليه. فقد وضعت أخته صغارها بسلامة، لذا عاد بذهن أكثر صفاء.

في طريقه إلى وكر جمرة، ظهر النمر الشرس إلى جانبه. نظر إليه المحارب الضخم بارتياح وقال: «المزيد من النعناع البري! أتساءل أين كنت. بإمكان بسّ أشقر أخذه إلى جمرة».

كان بسّ أشقر يساعد على تنظيف الثلج في الجوار، فناداه النمر الشرس: «تعال وخذ هذا النعناع إلى جمرة».

هزّ بسّ أشقر رأسه وأتى فوراً.

وضع قلب النار الأوراق على الأرض وقال: «أريد زيارة بسّة الرماد».

زمجر النائب: «ستفعل لاحقاً». وانتظر إلى أن حمل بسّ أشقر الأعشاب وأخذها إلى وكر جمرة، ثم استدار وسأله: «أريد أن أعرف إلى أين يذهب النمر الرمادي».

أحسّ قلب النار بالحرارة في جسده، فأجاب وهو ينظر إلى النائب: «لا أدري».

حدّق إليه هذا الأخير بعينين باردتين وعدائيتين، ثم هسّ قائلاً:

«عندما تراه قل له إنه محبوبس عند جذع السنديانة المقطوعة».

«أتقصد وكر جمرة القديم؟». نظر قلب النار إلى الأغصان المتشابكة حيث عاشت الهرة المداوية عندما أتت إلى المخيم، وكانت لا تزال تُعتبر منبوذة من عشيرة الظلال. كان بسّ رشيق هناك ممدداً بجانب صغير النمرة الشقراء الداكن.

«ستلازم القطط المصابة بالسعال الأبيض ذلك المكان حتى تشفى».

«لكنّ النمر الرمادي مصاب بالزكام وحسب».

«والزكام ليس بالأمر الهين. سيلازم جذع السنديانة! أمّا القطط المصابة بالسعال الأخضر فستبقى في وكر جمرة. علينا منع هذا المرض من الانتشار». لمعت عينا النائب من دون أيّ تعاطف، وتساءل قلب النار عما إذا كان يعتبر المرض دليل ضعف. أضاف النائب: «هذا لمصلحة العشيرة».

«حسناً أيّها النمر الشرس، سأخبره».

حذّره النائب: «وابتعد عن نجمة الصباح».

فاعترض قلب النار: «لكنّها شفيت من السعال الأخضر».

«أعرف ذلك، لكنّ وكرها ما زال يفوح برائحة المرض، ولا أريد أن يصاب محاربو العشيرة به. أخبرني الرعب الأبيض أنهم اشتّموا رائحة محاربي عشيرة النهر على مسافة أقرب من المخيم. كما أخبرني أنّه قام بتدريب بسّ أشقر اليوم. أتوقع منك أن تتولّى تدريب بسّ أشقر غداً». هزّ قلب النار رأسه موافقاً. «هل يمكنني الاطمئنان على بسّة الرماد الآن؟».

نظر إليه النمر الشرس، فأضاف بشيء من الضيق: «أشكّ في أن

تكون جمرة قد وضعتها بجانب القطط المصابة بالسعال الأخضر. لن ألتقط العدوى».

أجابه قبل أن يتعد: «حسناً».

التقى قلب النار بسّ أشقر في وسط الفسحة، فقال هذا الأخير: «جمرة تشكرك على النعناع البرّي».

«هذا جيّد. بالمناسبة، سأعلّمك صيد الطيور غداً. أتمنى أن تكون جاهزاً لتسلّق الأشجار».

هزّ بسّ أشقر شاربه بحماسة وأجاب: «حتماً. سأنتظرك في غور التدريب».

هزّ قلب النار رأسه، وتابع طريقه إلى وكر جمرة. رأى صغيري عين الزمرد المسكينين فوراً. كانا ممدّدين بهدوء على فراش من السرخس يقحّان، بأنفين جاريين وأعين دامعة.

استقبلته المداوية قائلة: «شكراً لك على النعناع، فنحن بأمرّ الحاجة إليه. لقد أصيب كشكول بالسعال الأخضر الآن». وأشارت بأنفها إلى فراش آخر في أجمة السرخس. هناك، تمدّد الهزّ المسنّ بفرائه الأبيض والأسود.

سألها: «كيف حال بسّة الرماد؟».

تنهّدت مجيبة: «استيقظت منذ قليل، لكن ليس طويلاً، فساقها ملتهبة. لقد بذلت ما في وسعي، لكن عليها أن تخوض هذه المعركة بنفسها».

حدّق إلى فراش بسّة الرماد. كانت الهزة الرمادية الصغيرة تنتفض خلال نومها، وبدت ساقها المصابة ملتوية. ارتعد وخشي فجأة أن تخسر الصغيرة هذه المعركة. فاستدار نحو جمرة آملأ سماع كلام مطمئن، غير

أنّ الهرة العجوز جلست خافضة رأسها. بدت منهكة تماماً. سألتها فجأة وهي تنظر إليه: «هل تعتقد أنّ الورقة الرقطاء كانت ستنجح في إنقاذ هذه القطط؟».

ارتجف قلب النار. ما زال يستطيع الإحساس بوجود الهرة الشابة في هذه الفسحة. تذكّر كيف اعتنت بكتف بسّ أدهم بعد المعركة مع عشيرة النهر، وكيف علّمته بعناية رعاية جمرة عندما أتت إلى مخيم عشيرة الرعد. أخيراً، نظر إلى جمرة التي أثقلت كتفيها التجارب وقال: «أنا واثق أنّ الورقة الرقطاء ما كانت لتفعل شيئاً على نحو مختلف».

صاح أحد الصغار، فذهبت إليه جمرة. ولدى مرورها، مدّ قلب النار رأسه ولا مس جسدها بخطمه، فخفضت كتفها نحوه بامتنان. أخيراً، استدار وعاد عبر نفق الخنشار والحزن يملأ قلبه.

رأى بياض الثلج عند مدخل النفق؛ لا بدّ أنّها أتت لرؤية ابنتها. ومع اقتراب الهرة البيضاء، رفع رأسه ونظر إلى عينيها الزرقاوين المليئتين بالحزن، فاعتصر الألم قلبه وقال: «بياض الثلج».

توقّفت الهرة.

فتابع وهو يرتجف: «أنا... أنا آسف».

نظرت إليه بحيرة وسألته: «لماذا؟».

«كان يجب أن أتمكّن من منع بسّة الرماد من الذهاب إلى درب الرعد».

حدّقت إليه الهرة، لكنّ وجهها لم يكشف عن إحساس آخر سوى الحزن. وتمتّت أخيراً: «أنا لا ألومك يا قلب النار». ثمّ خفضت رأسها وتابعت طريقها نحو ابنتها.

كان النمر الرمادي قد عاد وجلس يأكل فأراً بجانب أجمة القراص، فذهب إليه قلب النار وبادره قائلاً: «يريد منك النمر الشرس الانتقال إلى جذع السنديانة؛ مع القطط المصابة بالسعال الأبيض». وتذكر بشيء من الاستياء كيف سأله النائب عن غياب صديقه.

أجابه بفرح: «لا ضرورة لذلك، فقد تحسنت. أكدت لي جمرة هذا الصباح أنني شفيت تماماً».

نظر قلب النار إلى صديقه عن كثب. كانت عيناه تلمعان مجدداً بالتاكيد، وسيلان أنفه قد توقف تاركاً خلفه تشققات جافاً غير جذاب. في وقت آخر، كان سيمازحه ويخبره كم بات شبيهاً بشرشور، الهز المداوي في عشيرة الظلال. غير أنه قال بغضب: «لقد لاحظ النمر الشرس اختفاءك، عليك أن تكون أكثر حذراً. لماذا لا تبتعد عن شعاع الفضة؛ حالياً على الأقل؟».

توقف المحارب الرمادي عن مضغ الطعام، وحدق بغضب إلى صديقه. «ولماذا لا تهتم بشؤونك؟».

أغمض قلب النار عينيه وزمجر استياءً. هل سيتمكن يوماً من إقناع صديقه؟ ثم تساءل عما إذا كان يأبه بذلك بعد الآن. ففي النهاية، لم يسأله مطلقاً عن بسة الرماد.

قرقرت معدته من شدة الجوع، فذهب لأخذ عصفور دوري من كومة الصيد وحمله إلى بقعة خالية ليأكل بمفرده. وعندما جلس، فكر بأميرة التي تعيش بعيداً في منطقة ذوي الساقين مع صغارها. أحس بالوحدة والقلق، فحدق إلى أرجاء المخيم وتاق لرؤيتها مجدداً.



الفصل 19



في الأيام التالية، قاوم قلب النار رغبته في زيارة شقيقته. فشوقه ليكون مع صغارها بدأ يشعره بالضيق. لذلك راح يشغل نفسه بالصيد في الغابات المكسوة بالثلوج لملء مخزن المخيم.

قام بصيد موفق عصر هذا اليوم، وعاد حاملاً فأرين وطائر صغنج مع غياب الشمس خلف الأشجار. دفن الفأرين في المخزن الثلجي، وأخذ الطائر ليتناوله على العشاء.

وعندما أنهى وجبته، رأى الرعب الأبيض آتياً نحوه. قال المحارب الضخم: «أريد منك أن تصطحب بسّة الرمال في دورية الفجر. فقد وصلت رائحة عشيرة الظلال حتى شجرة البوم».

ردّد بقلق: «عشيرة الظلال!». ربّما كان النمر الشرس قد عثر فعلاً على دليل على اقتحام تلك العشيرة لأراضيهم. «كنت أنوي اصطحاب بسّ أشقر للتدريب غداً أيضاً».

«ألم يتحسن النمر الرمادي؟ يمكنه اصطحاب بسّ أشقر بنفسه». بالطبع! وربّما يلهيه التدريب عن زيارته لشعاع الفضّة. لكن هذا يعني أنّه سيضطر للذهاب في دورية مع بسّة الرمال. وتذكّر رغماً عنه النظرة الغاضبة التي رمته بها عندما قاطع عراكها مع محارب عشيرة النهر

عند المضيق. سأله: «هل سأذهب مع بسّة الرمال فقط؟».

فنظر إليه المحارب باستغراب. «أصبحت بسّة الرمال محاربة تقريباً، وأنت قادر على حماية نفسك».

من الواضح أنّ الرعب الأبيض أساء فهم سبب قلقه. فهو لا يخشى أن يتعرّضاً لهجوم من قطط معادية، بل ما يزعجه هو أنّ بسّة الرمال تكرهه بقدر ما يكرهه بسّ أغبر. لكنّه لم يصحّح له خطأه. «هل أخبرت بسّة الرمال؟».

«أخبرها بنفسك».

اهتزّ أذن قلب النار. ومع أنّه لا يظنّ أنّ بسّة الرمال ستفرح بفكرة الذهاب في دورية معه، إلّا أنّه لم يجادل.

هزّ المحارب الأبيض رأسه، ثمّ انطلق باتّجاه وكر المحاربين. أمّا قلب النار فتنهّد وذهب إلى حيث كانت بسّة الرمال جالسة مع بقيّة المبتدئين.

وقف متململاً، ثمّ قال: «بسّة الرمال، لقد طلب الرعب الأبيض أن ترافقيني في دورية الفجر غداً».

انتظر أن يصدر عنها هسيس استياء، لكنّها اكتفت بالنظر إليه ثمّ مادت قائلة: «حسناً». حتّى إن بسّ أغبر بدا عليه الاستغراب.

فوجئ قلب النار وقال: «ح...حسناً إذاً، نلتقي عند الشروق».

«عند الشروق أكون جاهزة».

قرّر إخبار النمر الرمادي أنّ بسّة الرمال لم تعد تعامله بعدائية، وقد تكون هذه فرصة ليتحدّثاً معاً من جديد. وجده يتجاذب الألسنة مع البرق الخاطف بجانب أجمة القراص.

ماء هذا الأخير عندما اقترب: «مرحباً يا قلب النار».

«مرحباً». نظر بترقب إلى النمر الرمادي الذي التفت بعيداً وأخذ يحدّق إلى سياج الحدود. غاص قلبه، فخفض رأسه واستدار ليذهب إلى فراشه. كان يتوق إلى الذهاب في الدورية غداً والابتعاد عن المخيم.

توهّجت الشمس بلون وردي فاتح فوق رأس قلب النار وهو يشقّ طريقه إلى خارج الوكر في الصباح التالي.

كانت بسّة الرمال بانتظاره خارج نفق القندول.

شعر بشيء من الارتباك وماء قائلاً: «م...مرحباً».

أجابته بهدوء: «مرحباً».

جلس قائلاً: «فلنتظر عودة دورية الليل».

جلسا بصمت إلى أن سمعا حفيف الأوراق المألوف معلناً عودة

الرعب الأبيض والنمر الذّيال والفأرة السمراء.

سألهم قلب النار: «هل من أثر لعشيرة الظلال؟».

أجاب الرعب الأبيض بوجوم: «التقطنا حتماً بعض روائح عشيرة

الظلال».

ماءت الفأرة السمراء عابسة: «هذا غريب. فنحن نشتم دائماً

مجموعة الروائح نفسها. لا بدّ أنّ عشيرة الظلال ترسل المحاربين

أنفسهم في كلّ مرّة».

اقترح الرعب الأبيض: «يجدر بكما التحقق من حدود عشيرة النهر؛

لأننا لم نجد الفرصة للمرور من هناك. كونا حذرين، وتذكّرا أنّنا لا نريد

أن نشنّ حرباً. كلّ ما يتوجب عليكما هو معرفة ما إذا كانوا يصطادون

في أرضنا مجدّداً».

ماء قلب النار: «حسناً». وهزّت بسّة الرمال رأسها باحترام.

تقدّمها قائلاً وهما يتسلّقان سفح الوادي: «سنبداً عند الأشجار الأربع، ثم سنّجّه على طول الحدود إلى غابة الصنوبر». «موافقة، فأنا لم أرَ الأشجار الأربع من قبل في فصل الثلوج». بحث عن السخرية في صوتها، ولكنّها بدت صادقة.

وصلاً إلى أعلى الوادي، فقرّر اختبارها: «بأيّ اتّجاه نذهب الآن؟». اعترضت قائلة: «وهل تظنّ أنّي لا أعرف الطريق إلى الأشجار الأربع؟». بدأ قلب النار يشعر بالندم لأنّه تصرّف مثل مدرّب إلى أن لاحظ بريق مرح في عينيها. انطلقت تجري بين الأشجار من دون أن تضيف شيئاً، فلحق بها.

أحسن بالمتعة وهو يجري في الغابة مع هرّ آخر مجدّداً. ولا بدّ له أن يقرّ بأنّ بسّ الرمال سريعة. فقد كانت لا تزال على مسافة ثعلبين منه عندما قفزت فوق جذع شجرة مقطوعة واختفت عن ناظريه. تبعها واجتاز الشجرة في وثبة واحدة. وعندما هبط في الجهة الأخرى، ارتطم به شيء من الخلف، فحاول التوقّف فوق الجليد، ثمّ تدرّج قبل أن ينهض واقفاً.

كانت الهرة واقفة أمامه وهي تهزّ شاربها. «مفاجأة!». هسّ بمرح، ثمّ قفز فوقها. فوجئ بقوّتها، ولكنّه كان يتفوّق عليها حجماً. وعندما ثبتّها أخيراً فوق الثلوج، اعترضت قائلة: «ابتعد أيّها الأحمق!».

أفلتها قائلاً: «حسناً، حسناً، لكنّك استحققت ذلك!». جلست وتناثر الثلج على فرائها الرمي. قالت: «تبدو وكأنّك خارج من عاصفة ثلجية!».

«وأنت كذلك». نفضا الثلج عن فرائهما، وماء مضيئاً: «هيا بنا، من

الأفضل أن نتابع الطريق».

أخذوا يجريان جنباً إلى جنب، إلى أن وصلا إلى الأشجار الأربع. وعندما بلغا أعلى المنحدر المشرف على الوادي، كانت السماء قد أصبحت بيضاء مائلة إلى الزرقة. أضواء أشعة الشمس الشاحبة الغور المكسوة بالثلوج، وتلألأ الجليد على أغصان السنديانات الأربع العارية في الأسفل.

حدّقت إليها بسّة الرمال بدهشة. فانتظر قلب النار متأثراً بحماستها، إلى أن استدارت لمتابعة الطريق.

مئات وهي تسير على حدود عشيرة النهر باتجاه النهر: «لم أكن أعرف أن الثلج يجعل كلّ شيء يبدو مختلفاً». فهزّ رأسه موافقاً. أبطأ من سرعتهما، وتقدّما بصمت على طول علامات الرائحة لكشف أيّ روائح جديدة لعشيرة النهر في هذا الجانب من الحدود. كان قلب النار يتوقّف كلّ بضع أشجار ليترك علامة جديدة لرائحة عشيرة الرعد.

فجأة، توقفت بسّة الرمال وهمست قائلة: «ما رأيك بصيد طازج صغير؟». هزّ قلب النار رأسه موافقاً، فانخفضت المبتدئة وراحت تتقدّم عبر الثلوج خطوة تلو الأخرى. تبع قلب النار نظراتها، فرأى أرنباً صغيراً يقفز تحت نباتات العليق. فجأة، قفزت المبتدئة مطلقة هسيساً سريعاً، وغاصت في أجمة العليق، ثم سمّرت الأرنب بكفّها الأمامي القوي. وفي حركة واحدة، سحبته نحوها وأجهزت عليه.

أتى إليها قلب النار قائلاً: «كانت ضربة موفقة!».

بدا السرور على وجه بسّة الرمال التي وضعت الصيد الدافئ على الأرض وقالت: «هل تودّ مشاركتي؟».

«شكراً!».

قالت بين قصمتين: «هذه حلاوة الدوريات».

«ماذا تقصدين؟».

«يمكنك أن تأكل ما تصطاده عوضاً عن أخذه إلى العشيرة. لطالما
تصوّرت جوعاً خلال مهمّات الصيد!».

خرخر قلب النار بمرح.

استأنفا السير، ومزّيا حول الصخور المشمسة سالكين الطريق
المؤدية إلى الغابة مجدّداً، على مقربة من حدود عشيرة النهر. وعندما
وصلا إلى أعلى المنحدر المكسوّ بنباتات السرخس والذي ينتهي عند
النهر، تمنّى بصمت ألا يكون النمر الرمادي هناك.

مات بسّة الرمال فجأة: «انظر، النهر مكسوّ بالجليد!». كان جسدها
متصلباً من شدة الحماسة.

توتّر لدى تذكره بسّة الرماد وهي تقول الكلام نفسه قبل حادثة
النمر الرمادي، فمأ بحزم: «لن ننزل لننظر عن كثب!».

«لا يجدر بنا ذلك أساساً، يمكنك رؤيته من هنا. فلنعد لإخبار
العشيرة».

«لماذا؟». لم يفهم قلب النار سبب حماسة بسّة الرمال.

قالت: «باستطاعة دورية من محاربينا عبور النهر الآن! وهكذا نغزو
أرض عشيرة النهر ونسرق بعضاً من الطرائد مثلما فعلوا بنا».

أحسن برعشة باردة تسري في عموده الفقري. ماذا سيكون رأي
النمر الرمادي بذلك؟ وهل سيتمكّن قلب النار من حمل نفسه على
المشاركة في معركة ضدّ عشيرة النهر الجائعة؟

دارت بسّة الرمال حوله بنفاد صبر وسألته: «ألن ترافقني؟».

أجابها بوجوم: «بلى». وقفز خلفها، بينما أسرع عبر الغابة عائدة إلى المخيم.

شقّت بسّة الرمال طريقها عبر نفق القندول أمام قلب النار، فرفع النمر الشرس رأسه لينظر إليهما وهما يتوقّفان في الفسحة. سمع قلب النار صوتاً خلفه. كان النمر الرمادي يعبر مدخل المخيم مع بسّ أشقر.

تناهى إليهما صوت من تحت الصخرة العالية. «قلب النار، بسّة الرمال، كيف كانت الدورية؟».

أحسن بالارتياح عندما رأى نجمة الصباح تعود إلى طبيعتها مجدّداً. كانت جالسة هناك رافعة ذقنها عالياً، بينما التفّ ذيلها فوق كفيها الأماميين.

ذهبت بسّة الرمال إلى الصخرة العالية وقالت بحماسة: «النهر متجمّد، يمكننا عبوره بسهولة!».

حدّقت إليها نجمة الصباح مفكّرة، وأجفل قلب النار عندما رأى عينيها تلمعان، ثم مادت قائلة: «شكراً لك يا بسّة الرمال».

مال وتمتم في أذن بسّة الرمال: «تعالى لنخبر الآخرين». فقد خمن أنّ نجمة الصباح ترغب في مناقشة هذه المسألة مع كبار محاربيها.

نظرت إليه بسّة الرمال بتفهّم، وتبعته إلى وسط الفسحة، ثم مادت قائلة: «كان يوماً رائعاً!». فهزّ رأسه ونظر بقلق إلى صديقه.

خرج بسّ أغبر من وكر المبتدئين قائلاً: «يبدو أنكما أمضيتما يوماً ممتعاً!». ثمّ نظر إلى قلب النار وقال ساخراً: «هل أغرقتما هزراً آخر من عشيرة النهر؟».

نظر بسّ أغبر إلى بسّة الرمال بترقّب، وعرف قلب النار أنّه ينتظر
أن تشاركه سخريته كعادتها، إلّا أنّها لم تكن تصغي إليه. فأحسّ بشيء
من الرضى وهو يرى الضيق على وجه بسّ أغبر، بينما قالت بسّة الرمال
بحماسة: «وجدنا النهر متجمّداً. أعتقد أنّ نجمة الصباح تخطّط لشن
غارة على أراضي عشيرة النهر!».

في تلك اللحظة، سُمع نداء زعيمة العشيرة من على الصخرة
العالية، فبدأت القطط تتجمّع في الفسحة. كانت الشمس قد بلغت أوج
ارتفاع لها، مما يعني في فصل الثلوج أنّها ارتفعت بالكاد فوق قمم
الأشجار.

أعلنت نجمة الصباح: «لقد عادت بسّة الرمال وقلب النار بأنباء
حسنة، فالنهر متجمّد. سنستغلّ هذه الفرصة لشنّ غارة على أراضي
عشيرة النهر ليكفّوا عن سرقة طرائدنا. سيتعقّب محاربونا إحدى
دورياتهم ويلقّنونهم درساً لن ينسوه لمدّة طويلة!».

أجفل قلب النار وهو يتذكّر ما قالته شعاع الفضة عن عشيرتها
الجائعة، بينما ارتفعت من حوله أصوات القطط في مواء حماسي لم
يسمعه منذ أشهر عديدة.

رفعت نجمة الصباح صوتها فوق الصخب: «أيّها النمر الشرس!
هل محاربوك جاهزون لشنّ غارة على عشيرة النهر؟».

هزّ النمر الشرس رأسه بالإيجاب.

رفعت زعيمة العشيرة ذيلها وقالت: «ممتاز. إذًا، سنغادر عند مغيب
الشمس».

مادت العشيرة بسرور، بينما أحسّ قلب النار بوخز في أكفّه. هل
سترافقهم نجمة الصباح؟ لا يمكنها بالتأكيد أن تخاطر بآخر روح لها

في غارة حدودية.

نظر من خلف كتفه إلى النمر الرمادي الذي كان يحدّق إلى الصخرة العالية وهو يهزّ طرف ذيله بعصبية. وعندما هداّ المواء قال: «لكنّ الطقس دافئ اليوم، وقد يكون عبور النهر خطراً».

أمسك قلب النار أنفاسه، فيما التفتت القطط الأخرى لتنظر بفضول إلى الهزّ الرمادي.

حدّق إليه النمر الشرس والحيرة واضحة في عينيه العنبريتين، ثمّ ماء ببطء: «أنت لا تخشى القتال عادة».

أمّا النمر الأسود فأمال عنقه وأضاف: «أجل أيّها النمر الرمادي، هل أنت خائف من أكياس البراغيث تلك؟».

تململ النمر الرمادي بضيق وانتظرت العشيرة جوابه.

هسّ بسّ أغبر الواقف إلى جانب بسّة الرمال: «يبدو مذعوراً!». حرّك قلب النار ذيله بغضب، ولكنه تمكّن من القول بصوت عادي: «أجل، إنّه يخشى أن تبتلّ أكفّه! فقد سقط في الجليد مرّة هذا العام، ولا يرغب في تكرار التجربة».

تبدّد التوتر الذي سيطر على العشيرة وتحول إلى خرخرة مرحة، فنظر النمر الرمادي إلى الأرض خافضاً أذنيه. وحده النمر الشرس ظلّ عابساً بارتياب.

انتظرت نجمة الصباح إلى أن هدأت الهمهمات، ثمّ أعلنت قائلة: «عليّ مناقشة الغارة مع كبار المحاربين». ثمّ هبطت عن الصخرة العالية بخفة، حيث يصعب التصديق أنّها كانت تصارع الموت منذ أيام. تبعها النمر الشرس والرعب الأبيض وغصن الصفصاف إلى وكرها، وتفرّقت بقيّة العشيرة إلى مجموعات لمناقشة الهجوم.

هسّ النمر الرمادي بغضب في أذن قلب النار: «أعتقد أنك تتوقع مني أن أشكرك على إحراجي أمام الجميع!».

فأجابه بحدة: «مطلقاً. لكن بإمكانك أن تشعر ببعض الامتنان لأنني ما زلت أغطي عليك!». ثم ابتعد إلى أطراف الفسحة وقد انتصب فرائه غضباً.

أتت إليه بسة الرمال بعينين مشرقيتين قائلة: «حان الوقت لنثبت لقطط عشيرة النهر أنهم لا يستطيعون اقتحام أرضنا متى طاب لهم ذلك». أجابها بشرود: «أجل، أظن ذلك». لم يستطع رفع نظره عن النمر الرمادي. هل كان يتخيل، أم أن صديقه يتعد تدريجياً باتجاه الحضانة؟ هل يخطّط للذهاب لتحذير شعاع الفضة يا ترى؟

نهض ببطء وبدأ يتجه إلى الحضانة، فحدّق إليه النمر الرمادي وهو يقترب. لكن، قبل أن يتمكن أيّ منهما من الكلام، نادى نجمة الصباح مجدّداً من فوق الصخرة العالية. فتوقّف في مكانه، ولكنه لم يرفع نظره عن صديقه.

أعلنت نجمة الصباح: «غصن الصفصاف من رأي المحارب الشاب، فالطقس سيزداد دفئاً». رفع هذا الأخير ذقنه ونظر بتحدٍّ إلى قلب النار، لكن هذا الأخير لم يأبه. لقد قزرت نجمة الصباح إلغاء الغارة! والآن، لن يضطرّ النمر الرمادي إلى الاختيار بين عشيرته وشعاع الفضة، ولن يضطرّ قلب النار إلى المشاركة في غارة ضدّ عشيرة يعرف أنها تعاني أساساً.

لكن نجمة الصباح لم تنه كلامها بعد: «لذلك سنشنّ هجومنا حالاً!».

نظر فوراً إلى صديقه، ولاحظ أن نظرة الانتصار تحوّلت إلى دعر

حقيقي.

تابعت الزعيمة: «ستبقى دورية من المحاربين هنا لحراسة المخيم؛ تحسباً لحصول أي هجوم محتمل من عشيرة الظلال. وسيقوم خمسة محاربين بتنفيذ الغارة. أمّا أنا فسأبقى هنا».

فكّر: هذا جيّد. فهي لا تخطّط للمخاطرة بروحها الأخيرة بعد كلّ شيء. «سيقود النمر الشرس الغارة، برفقة النمر الأسود وغصن الصفصاف والنمر الذّيال. يبقى مكان لمحارب واحد».

سأل قلب النار: «هل يمكنني الذهاب؟». ومع أنّه أحسّ بثقل في قلبه لفكرة الهجوم على عشيرة جائعة، إلّا أنّ النمر الرمادي لن يُضطرّ حينها إلى الاختيار.

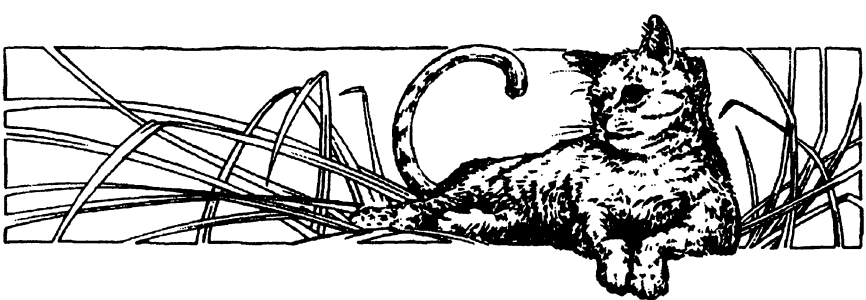
فرحت نجمة الصباح وهي ترى لهفة تلميذها السابق وقالت: «شكراً لك يا قلب النار. يمكنك الانضمام إلى الدورية». لم يبدُ السرور على النمر الشرس الذي حدّق إلى قلب النار بارتياح واضح. وأضافت الزعيمة: «لا وقت لنضيعه، فأنا أشتّم رائحة الرياح الدافئة منذ الآن. سيزودكم النمر الشرس بالتعليمات في الطريق. انطلقوا حالاً!».

لحق النمر الأسود والنمر الذّيال وغصن الصفصاف بنائب العشيرة. وتبعهم قلب النار وهم يعبرون نفق القندول متوجّهين إلى أعلى الوادي نحو أراضي عشيرة النهر.

مرّوا بالصخور المشمسة، ووصلوا إلى حدود أراضي العدو في الوقت الذي بدأت فيه الشمس تنخفض نحو الغابة. اشتّم قلب النار الهواء، وعرف أنّ النمر الرمادي وغصن الصفصاف على حقّ. فقد وجد فيه رائحة رياح أكثر دفئاً، حتّى إنّ السحب الممطرة بدأت تتفرّق فوق قمم الأشجار.

وبينما كانوا يهبطون المنحدر المؤدي إلى النهر، أحسّ باضطراب عميق. وظلّت قصّة شعاع الفضّة اليائسة ترنّ في أذنيه وهو يكافح لقمع إحساسه بالتعاطف.

خرج محاربو عشيرة الرعد من أجمات السرخس وتوقّفوا عند ضفة النهر. إلّا أنّ المشهد الذي استقبلهم غمر قلب النار بالارتياح؛ فطبقة الجليد اللامعة التي رآها مع بسّة الرمال تحطّمت وتحولت إلى مياه سوداء باردة ومتدفّقة.



الفصل 20



التفت النمر الشرس إلى محاريبه وقد بدا الإحباط في عينيه الشاحبتين، وزمجر قائلاً: «علينا تأجيل الغارة».

استدارت الدورية على أعقابها عائدة إلى المخيم، فأرسل قلب النار صلاة شكر صامته لعشيرة النجوم، لكنه أحسّ بطعم المرارة في حلقه. فهو لن يعرف أبداً ما إذا كان سيقا تل فعلاً في تلك الغارة لو أنها سُنت. لم يعد يشكّ في النمر الرمادي فحسب، بل بات يشكّ في نفسه أيضاً.

لزم الصمت طوال طريق العودة، ولاحظ أنّ النمر الشرس كان يرميه من وقت إلى آخر بنظرة من فوق كتفه السمراء الضخمة. كانت رحلة بطيئة، فضوء النهار بدأ يزول عندما وصلوا أخيراً إلى أعلى الوادي. انتظر قلب النار نزول المحاربين الآخرين أولاً. وعندما عبر نفق القندول، كان النمر الشرس يشرح لعشيرته المحبطة أنّ النهر ذاب.

دار حول أطراف الفسحة بحثاً عن النمر الرمادي، ليعرف إذا كان قد تسلّل من المخيم. توجه تلقائياً إلى الحضانة، ومع اقترابه من أغصان العليق المتشابكة، سمع مواء مألوفاً: «قلب النار!».

أحسّ ببارقة أمل، وتمنّى أن يكون النمر الرمادي قد شعر الامتنان

لأنّه عرض أخذ المكان الأخير في الفرقة المغيّرة. فتبع صوت صديقه
الآتي من الظلال خلف الحضانة.

ماء بصوت خافت، ولكنّه لم ير صديقه. فجأة، اصطدم به شيء
محدثاً صوت ارتطام قوياً، فاستدار وقد استيقظت كلّ حواسه، ليرى
المحارب الرمادي أمامه وقد اقشعرّ فراء عنقه غضباً.

انقضّ عليه مجدّداً، فخفض رأسه في الوقت نفسه الذي وجّه إليه
النمر الرمادي لكمة بكفه الرمادي الضخم.
سأله متعلثماً: «ماذا تفعل؟».

خفض المحارب الرمادي أذنيه وهسّ قائلاً: «أنت لم تثق بي!
ظننت أنّي سأخون عشيرة الرعد!». ثمّ وجّه إليه لكمة أخرى أصابت
هذه المرّة طرف أذنه.

استبدّ به الألم والغضب وقال بحدّة: «أردت أن أوفر عليك عناء
الاختيار! مع أنّي لا أعرف بالفعل أين يكمن ولاؤك الآن».

قفز عليه مجدّداً وأسقطه على ظهره، فتعارك الهزان واستلّا
مخالبهما. قال النمر الرمادي: «أنا من يختار».

كافح قلب النار للتحرّر منه، ثمّ قفز على ظهره. «كنت أحاول
حمايتك».

«لا أحتاج إلى الحماية!».

أعماه الغضب، فأنشب مخالبه في فراء النمر الرمادي، لكنّ هذا
الأخير أسقطه أرضاً، فتدحرجا معاً من خلف الحضانة.

ابتعدت القطط الموجودة في الفسحة عن طريق المحاربين الشائين
وهما يتعاركان. صاح قلب النار بغضب عندما عضّ النمر الرمادي قائمته
الأمامية. ثم استلّ مخالبه ووجّه إليه ضربة فوق عينه. فانتقم هذا الأخير

بأن انقضَّ عليه وعرز أسنانه في قائمته الخلفية.

«توقفاً حالاً!». جمد الهرّان في مكانيهما عندما سمعا مواء نجمة الصباح الصارم. أفلت قلب النار قبضته، وابتعد جانباً وهو يتألم. أمّا النمر الرمادي فتراجع إلى الخلف وقد انتصب فراؤه. رأى قلب النار من زاوية عينه كيف كسّر النمر الشرس عن أنيابه ساخراً من دون أن يبذل أيّ جهد لإخفاء سروره.

قالت نجمة الصباح وعيناها تلمعان غضباً: «قلب النار، أريد رؤيتك في وكري حالاً! وأنت أيّها النمر الرمادي، اذهب إلى فراشك وابق هناك!».

تفرّقت بقيّة العشيرة في الظلال، بينما ذهب قلب النار وهو يعرج إلى وكر زعيمته. ثبت نظره على الأرض وأحسّ بالإرهاك والارتباك.

جلست نجمة الصباح على الأرض الرملية وحدّقت إليه غير مصدّقة. وأخيراً مأت بغضب: «ما سبب كلّ هذا؟». هزّ رأسه يميناً ويساراً. مهما بلغ منه الغضب، فهو لن يكشف سرّ صديقه.

أغمضت عينيها وأخذت نفساً عميقاً. «أنا أعرف أن التوتر كبير في المخيم حالياً، ولكنني لم أتوقّع رؤيتكما تتشاجران، أنتما الاثنان! هل تأذيت؟».

أحسّ بالألم في أذنه وساقه الخلفية، ولكنّه انكمش متمتماً: «كلّا».

«ألن تخبرني بما جرى؟».

نظر إليها بثبات قدر ما استطاع وقال: «أنا آسف يا نجمة الصباح،

لا يمكنني أن أشرح». وفكر أن هذا صحيح على الأقل.
قالت أخيراً: «حسناً، بإمكانكما حلّ المسألة بينكما. لكنّ العشيرة تواجه أوقاتاً عصيبة، ولن أسمح بقتال داخلي، هل تفهم؟»
«أجل، هل يمكنني الذهاب؟».

هزّت زعيمة العشيرة رأسها، فاستدار وخرج من وكرها. كان يعرف أنّه خيب أمل مدرّبه السابقة، ولكنّه لا يستطيع إخبارها بالحقيقة. فقد رفضت تصديقه في آخر مرّة باح لها بهومومه؛ عندما أخبرها باتّهام بسّ أدهم للنمر الشرس. وإن صدّقه هذه المرّة، فسيخون صديقه الحميم.

أحسّ بالإنهاك من شدّة القلق، فعبّر الفسحة ودخل وكر المحاربين. استقرّ في فراشه بجانب صديقه وتكوّر على نفسه. تمدّد هناك بلا حراك، مدركاً وجود الجسد الرمادي المتوتّر بجانبه، إلى أن غلبه النوم أخيراً.

استيقظ قلب النار باكراً في الصباح التالي. لم تكن الشمس قد أشرقت بعد، ووجد الفسحة خالية وهو يذهب إلى وكر جمرة للاطمئنان على بسّة الرماد.

كانت الهرة المداوية نائمة بجانب صغيري عين الزمرد المريضين اللذين أخذتا يتحرّكان في نومهما وأعينهما مغمضتة، بينما راحت جمرة تشخر بصوت عالٍ. لم يشأ إيقاظها، فذهب إلى فراش بسّة الرماد وحدّق إليها.

كانت الهرة الرمادية الصغيرة نائمة هي الأخرى. لم يجد أثراً للدماء على فرائها، فتساءل عما إذا كانت قد نظّفته بنفسها أم أنّ جمرة هي التي

تولّت ذلك. ربض إلى جانبها وراقبها وهي تتنفس، وأحسّ بالاسترخاء وهو يتأمل جسدها الذي يعلو ويهبط، وبدت له أكثر هدوءاً من آخر مرّة زارها فيها.

بقي معها إلى أن تخلّل ضوء الفجر أغصان الخنشار وسمع العشيّة تستيقظ، فنهض واقترب من فراش بسّة الرماد، ثمّ لمس جسدها بأنفه بحنان.

وعندما استدار ليرحل، تمطّت جمرة وفتحت عينيها. «قلب النار!».

همس مجيباً: «أتيت لرؤية بسّة الرماد». فأجابت وهي تدفع نفسها للوقوف: «إنّها بخير». بدا الارتياح في عيني قلب النار. «شكراً لك يا جمرة». وعندما وصل إلى الفسحة، كان النمر الشرس يتكلّم مع مجموعة من المحاربين والمبتدئين. رأى قلب النار فوراً فزجر قائلاً: «من الجميل رؤيتك، كما أنّ النمر الرمادي انضمّ إلينا للتوّ هو الآخر بعدما تحدّث مع نجمة الصباح». نظر إلى صديقه، فوجده يحدّق إلى الأرض. راقب بقيّة المحاربين ما يجري بصمت، بينما ذهب قلب النار وجلس إلى جانب بسّة الرمال.

ماء النمر الشرس قائلاً: «خلال ذوبان الثلج، ستعجّ الغابة بالطرائد، لأنّها ستشعر بالجوع بعد اختبائها في جحورها طويلاً. وهذه فرصة جيّدة لنصطاد منها ما أمكننا».

قال بسّ أغبر: «لكنّ مخزن الثلج ما زال يحتوي على صيد طازج».

قال النمر الشرس: «سيتحوّل قريباً إلى طعام للغربان، وعلينا أن

نستغلّ كلّ فرصة تتاح لنا للصيد. فمع استمرار فصل الثلوج، ستبدأ الطرائد بالاختباء مجدّداً، وما يبقى منها لن يكون كافياً». هزّ المحاربون رؤوسهم موافقين.

حوّل النائب نظره إلى المحارب المخطّط قائلاً: «أيّها النمر الذّيال، قم بتنظيم فرق الصيد». فهزّ هذا الأخير رأسه موافقاً، ثمّ نهض النمر الشرس وذهب إلى وكر نجمة الصباح. راقبه قلب النار وهو يختفي خلف ستارة الأشنة، وتساءل عمّا إذا كانت الزعيمة والنائب سيناقشان أمر عراكه مع النمر الرمادي.

أخرجه صوت النمر الذّيال من أفكاره. «قلب النار، يمكنكما أنت وبسة الرمال الانضمام إلى الفأرة السمراء. أمّا النمر الرمادي فسيصطاد مع الرعب الأبيض وبسّ أشقر. فمن المستحسن ألاّ أجمعكما في فرقة واحدة».

سرت خرخرة مرح بين الحاضرين، لكنّ قلب النار زمّ عينيه غاضباً ولم يسترح إلّا وهو يتأمل الشقّ الذي خلّفه في أذن الهزّ المخطّط عندما استفزّه في أوّل يوم له في المخيم.

قالت الفأرة السمراء وهي تمرّ من أمامه بنظرات مأكرة: «يا له من عراكٍ حامٍ! حتّى إنّهُ عوّضنا عن المعركة التي ألغيناها».

عبس قلب النار بينما أضاف بسّ أغبر: «أجل. كانت خطواتك جيّدة يا قلب النار؛ بالنسبة إلى بسبوس أليف!». فصرّ قلب النار على أسنانه ونظر إلى الأرض وهو يستلّ مخالبه ويخفيها تكراراً.

غادرت المجموعتان المخيم معاً. وبينما تعاقب الصيادون على الطريق المؤدّية إلى أعلى الوادي، نظر قلب النار إلى السماء. كانت السحب التي رآها تتجمّع في الليلة الماضية قد حجبت الشمس، والثلج

تحت أكفّه بدأ بالذوبان.

قادت الفأرة السمراء كلاً من بسّة الرمال وقلب النار عبر غابة الصنوبر. وقالت لهما المحاربة السمراء: «سأصطحب بسّة الرمال معي، وأنت ستصطاد بمفردك، وسنلتقي في المخيم عند علوّ الشمس». أحسّ بالارتياح لفكرة بقاءه بمفرده. ابتعد بين الأشجار غير مصدّق أنّه تعارك بهذه الشراسة مع النمر الرمادي. شعر بالضياّع والوحدة من دون صديقه القديم، مع أنّه لم يعد يتعرّف عليه تقريباً، وتساءل عمّا إذا كانا سيعودان صديقين يوماً ما.

لم يدرك أنّه تجوّل في الطريق المؤدّية إلى غابة السنديان خلف منطقة ذوي الساقين إلّا عندما أحسّ بالأوراق الناعمة تحت أكفّه. فتذكّر أميرة فوراً، وتساءل عمّا إذا كانت أكفّه قد حملته إليها لسبب ما. توجه إلى سورها مباشرة، وناداهما من الحديقة بصوت خافت، ثم عاد بعد ذلك إلى الغابة وانتظر مجيئها.

لم ينتظر طويلاً قبل أن يسمعها وهي تقفز عن السور ويشتم رائحتها المميّزة. وكان على وشك الاقتراب للقائها عندما اشتّم رائحة ثانية غير مألوفة.

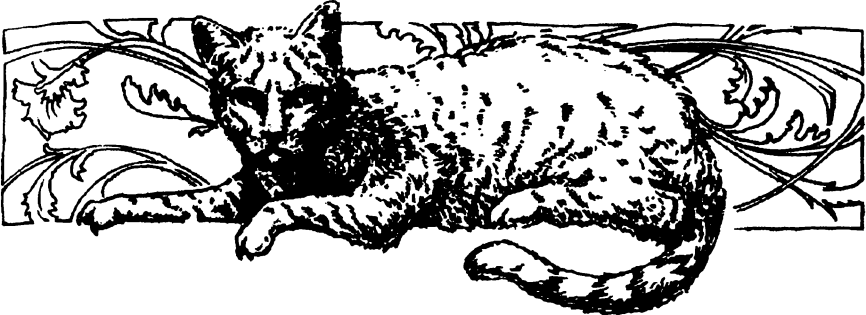
تحركت أوراق السرخس وظهرت أميرة، حاملة في فمها هزّاً صغيراً أبيض اللون. عندما اقترب قلب النار منها، حيّته بمواء ودود حاملة كرة الفراء بين أسنانها.

كان الهزّ صغيراً جداً، وعرف قلب النار أنّه لن يُفطم قبل مرور شهر آخر. أبعدت أميرة بعض الثلج بكفّها ثم وضعت الصغير بلطف على الأوراق. ثم جلست بعد ذلك ولفّت ذيلها حوله.

أحسّ قلب النار بعاطفة كبيرة نحو هذا الصغير الذي ولد كبسبوس

أليف مثله! فاقترب بهدوء من أميرة، وحيّاها بخطمه، ثم انحنى واشتمّه. كانت تفوح منه رائحة الدفء والحليب، فوجدها غريبة ومألوفة في آن. لعق رأسه بحنان، فماء الصغير وهو يفتح فمه الوردى لتظهر منه أسنان بيضاء صغيرة.

نظرت إليه أميرة بعينين لامعتين وقالت: «لقد أحضرته لك يا قلب النار. أريد أن تأخذه معك إلى عشيرتك لتدرّبه ويكون تلميذك الجديد».



الفصل 21



حدّق قلب النار إلى البسبوس الصغير وقال: «لم أتوقّع قط...». ثمّ أبعد نظره بصعوبة ونظر بصمت إلى أخته.

تابعت أميرة قائلة: «سيختار أصحابي المكان الذي سيعيش فيه بقيّة صغاري. لكنّ هذا صغيري البكر، وأنا من سيقرّر مستقبله». ثمّ رفعت ذقنها مضيضة: «اجعل منه بطلاً من فضلك، مثلك أنت!».

أحسّ قلب النار أنّ الشعور بالوحدة الذي سيطر عليه طويلاً بدأ يتبدّد فجأة. وتخيل الصغير الأبيض في العشيرة، وهو يعرّفه على طرق الحياة في الغابة، ويصطاد إلى جانبه بين أجسام الخنشار الكثيفة. أخيراً، سيكون في عشيرة الرعد هزّ آخر يشاركه أصوله كبسبوس أليف.

أمالت أميرة رأسها جانباً قائلة: «أعرف كم أنت حزين على تلميذتك. وأظنّ أنّك إن حصلت على تلميذ جديد - من لحملك ودمك - فلن تشعر بالوحدة إلى هذا الحدّ». ومدّت رأسها، ولامست بأنفها جسد أخيها مضيضة: «أنا لا أفهم كلّ عادات العشيرة. ولكنني عندما أراك وأسمعك تتحدّث عن حياتك، أعرف أنّني سأشعر بالفخر إن نشأ ابني كهزّ عشيرة».

أحسّ قلب النار بفرح جديد، وفكّر ببقية عشيرته وكم هم بحاجة

إلى هررة مقاتلة. فبسة الرماد قد لا تصبح محاربة بعد اليوم. وماذا إن
قضى السعال الأخضر على المزيد من الأرواح؟ قد تحتاج عشيرة الرعد
إلى هذا الصغير.

أحسن فجأة بالمطر الذي بلل فراءه، وأدرك أن هذا الصغير بحاجة
ماسّة إلى مأوى. صحيح أنه يبدو قوياً، ولكنه ما زال صغيراً جداً لاحتمال
البرد والمطر طويلاً.

ماء قائلاً: «سأخذه. إنك تمنحين عشيرة الرعد هدية عظيمة. سأدربه
ليصبح أقوى محارب عرفته العشيرة!». ثم خفض رأسه وحمل الصغير
من عنقه.

لمعت عينا أميرة بامتنان وفخر، وخرخرت قائلة: «شكراً لك يا قلب
النار. ومن يدري؟ قد يصبح زعيماً ويُمنح تسع أرواح!».

حدّق بمحبّة إلى وجهها المليء بالثقة والأمل. هل تعتقد شقيقته
حقاً أن هذا قد يحصل؟ فجأة، ساوره الشكّ. فهو يوشك على اصطحاب
هذا الصغير إلى مخيم تنتشر فيه عدوى السعال الأخضر. فماذا لو لم
يعش حتّى فصل الزهر؟ إلا أن رائحة الصغير الدافئة تحت أنفه جعلته
يسترخي، فأدرك أنه سيعيش. إنه قوي، ويشاركه الدماء نفسها. أخذ نفساً
عميقاً. عليه أن يسرع لأن الصغير بدأ يشعر بالبرد. فرفع نظره مودّعاً،
وانطلق بين الأدغال.

كان الصغير أثقل وزناً ممّا توقع. فقد تدلّى من فمه، وراح يرتطم
بقائمتيه الأماميتين مصدراً مواء اعتراض خافتاً. وعندما وصل إلى أعلى
الوادي، كان عنقه يؤلمه. هبط السفح وهو يضع كفّاً أمام الآخر بحذر؛
خوفاً من الانزلاق على الثلج الذي كان يذوب بسرعة.

عند المدخل، تردّد قليلاً، وتساءل للمرّة الأولى عن كيفية شرحه

أمر هذا الصغير للعشيرة؛ إذ سيتحتّم عليه الاعتراف أنّه كان يزور شقيقته البسبوسة الأليفة. لكنّ الأوان قد فات الآن، فقد بدأ الصغير يرتجف. رفع كتفيه وعبر نفق القندول، فأطلق الصغير صرخة عالية عندما احتكّت شوكة في فرائه. عندئذٍ، استدارت الأعين للنظر بدهشة إلى قلب النار وهو يدخل الفسحة.

كانت فرقتا الصيد قد عادتا. فوجد الفأرة السمراء، والرعب الأبيض، وبسة الرمال، وبسّ أشقر جميعهم في الفسحة. وحده النمر الرمادي كان غائباً. خرجت القطط من أوكارها واحدة تلو الأخرى عندما سمعت الصوت واشتّمت الرائحة غير المألوفة، إلّا أنّ أياً منها لم يقل شيئاً، بل اكتفت بالتحديق إلى قلب النار بنظرات حائرة وعدائية كما لو كان غريباً.

استدار هذا الأخير ببطء في وسط الفسحة والصغير ما زال يتدلّى من فمه، ونظر إلى القطط المتحلّقة حوله والاستغراب يطغى على ملامحها. بدأ فمه يجفّ وهو يتساءل عن سبب افتراضه أنّ العشيرة ستستقبل هزاً لم يولد في الغابة حتّى.

أحسّ بالارتياح عندما خرجت نجمة الصباح من وكر جمرة. بيد أنّها حملت إليه بدهشة عندما رآته وسألت: «ما هذا؟».

توجّس قلب النار خيفة وهو ينظر إلى قطط العشيرة، ثم وضع الصغير بين كفّيه الأماميين ولفّ ذيله حوله لتدفّته، ثمّ أجاب: «هذا ابن شقيقتي البكر».

حدّق إليه النمر الشرس بنظرات اتّهامية وقال: «شقيقتك!».

وهتفت النمرة الشقراء: «لديك شقيقة! أين؟».

هسّ النمر الذيّال بازدراء: «في المكان نفسه الذي ولد فيه بالطبع،

لدى ذوي الساقين!».

سألته نجمة الصباح وهي تحملق إليه أكثر: «أهذا صحيح؟».

«أجل. أعطتني إياه شقيقتي لإحضاره إلى العشيرة».

سألته الزعيمة بهدوء مليء بالتوعد: «ولم فعلت ذلك؟».

فأجابها بعصبية: «أخبرتها عن حياة العشيرة، وكم هي رائعة...».

ظلت جملته معلقة أمام نظرات نجمة الصباح غير المصدقة.

«منذ متى وأنت تزور منطقة ذوي الساقين؟».

«ليس منذ وقت طويل، منذ بداية فصل الثلوج فقط. لكنني أذهب

لرؤية شقيقتي وحسب، غير أن ولائي ما زال لعشيرة الرعد».

علا مواء النمر الأسود عبر الفسحة: «ولاؤك! ومع ذلك تحضر

بسبوساً أليفاً إلى هنا؟».

اعترض أحد المسنين: «ألا يكفينا بسبوس أليف واحد في

عشيرتنا؟».

نفس بسّ أغبر فراه بسخط وقال: «البسبوس الأليف يعثر دائماً

على آخر!». ثم التفت إلى بسّة الرمال ووكزها بأنفه، فنظرت هذه الأخيرة

إلى قلب النار بعدم ارتياح، ثم خفضت نظرها إلى أكفها.

زمجر النمر الشرس: «لماذا أحضرته إلى هنا؟».

«نحن بحاجة إلى محاربين...». تحرّك الصغير بين كفيه وهو

يتحدّث، فأدرك كم يبدو كلامه سخيلاً. فخفض رأسه عندما علا مواء

السخط إثر كلامه.

وعندما توقفت الشتائم، تكلم البرق الخاطف قائلاً: «لدى العشيرة

ما يكفيها من الهموم من دون هذا البسبوس».

وافقته الفأرة السمراء قائلة: «لن يشكّل سوى عبء إضافي. فهو

يحتاج إلى خمسة أشهر على الأقلّ قبل أن يبدأ بالتدريب».

هزّ الرعب الأبيض رأسه موافقاً وقال: «ما كان يجدر بك إحضار هذا البسبوس الأليف إلى هنا يا قلب النار، فحياة العشيرة ستكون قاسية عليه».

اقشعرّ فراء قلب النار وقال: «كنت بسبوساً أليفاً، فهل حياة العشيرة قاسية عليّ؟». ظنّ أنّه استطاع أن يغيّر أحكام العشيرة المسبقة حيال البسابيس الأليفة، ولكنه مخطئ؛ فهو لم يرَ وجهاً واحداً متعاطفاً بين الحشد.

سُمع صوت من خلف الرعب الأبيض يقول: «إن كان يحمل دماء قلب النار، فلا شكّ في أنّه سيصبح هزّ عشيرة جيّداً». أحسّ بالارتياح يغمره. إنّهُ النمر الرمادي! اشتعلت في صدره بارقة أمل وهو يرى الرعب الأبيض يتعدّ جانباً، والقطط الأخرى تنظر إلى المحارب الرمادي. نظر هذا الأخير إلى دائرة القطط، والتقى نظره الثاقب أنظارها.

قال النمر الذئبال ساخراً: «أراك اليوم تدافع عن صديقك أيّها النمر الرمادي، مع أنّك وددت تقطيعه إرباً في الليلة الفائتة».

حدّق النمر الرمادي إلى الهزّ الشاحب، ثمّ استدار عندما سمع النمر الأسود يقول: «أجل أيّها النمر الرمادي! كيف عرفت أنّ دم قلب النار جدير بعشيرة الرعد؟ هل تذوّقته ليلة أمس عندما حاولت أن تقطع ساقه؟».

تقدّمت نجمة الصباح إلى الأمام والقلق بادٍ في عينيها الزرقاوين. «قلب النار، أنا واثقة من أنّك لم تقصد خيانة العشيرة عندما قمت بزيارة أختك، ولكن لماذا أحضرت صغيرها إلى هنا؟ فأنت لست في موقع

يسمح لك باتخاذ قرارات كهذه. وما فعلته يؤثر على العشيرة بأكملها». نظر قلب النار إلى النمر الرمادي أملاً بالحصول على المزيد من الدعم، ولكن صديقه لم ينظر إلى عينيه. جال نظره على القطط المجتمعمة، ولكنها أشاحت بأنظارها بعيداً. عندها، بدأ يشعر بالذعر خوفاً من أن يكون قد خاطر بمكانه في العشيرة عندما أحضر ابن أخته إلى هنا. قالت نجمة الصباح: «ما رأيك أيها النمر الشرس؟».

«أتسأليني عن رأيي؟». أحسن قلب النار بغصة في صدره وهو يسمع نبرة الرضى والتكبر في صوت النائب. «أعتقد أن عليه التخلص منه حالاً».

«وأنت يا زهرة الذهب؟».

أجابت الهرة الشقراء: «يبدو لي بكل تأكيد صغيراً جداً ليبقى على قيد الحياة حتى فصل الزهر».

وأضافت الفأرة السمراء: «سيصاب بالسعال الأخضر قبل شروق الشمس!».

فيما قال البرق الخاطف: «أو سيأكل صيدنا حتى فصل الثلوج القادم، ثم سيموت من البرد!».

خفضت نجمة الصباح رأسها وقالت: «هذا يكفي. علي التفكير في هذه المسألة». ثم عادت إلى وكرها واختفت فيه. أما بقية العشيرة فتفرقت وهي تتمتم بوجوم.

حمل قلب النار الصغير المنبوذ وأخذه إلى وكر المحاربين. كان يرتعش ويموء على نحو مثير للشفقة، فتكور حوله وأغمض عينيه، لكن وجوه العشيرة العدائية ظلت تحوم في رأسه، وتملأ قلبه خوفاً. ظن في السابق أنه كان وحيداً، لكن يبدو الآن أن العشيرة بأكملها قد تبرأت منه.

دخل النمر الرمادي الوكر وجلس في فراشه، فنظر إليه قلب النار بعصبية. كان صديقه الهزّ الوحيد الذي دافع عنه، لذا أراد أن يشكره. وبعد صمت قصير لم يكفّ فيه الصغير عن البكاء، تمت قلب النار: «شكراً على دعمك لي».

هزّ النمر الرمادي كتفيه وقال: «أجل، في الواقع، لا أحد كان سيفعل ذلك». ثم التفت وبدأ يلحق ذيله.

واصل الصغير مواءه، وازداد صوته ارتفاعاً. بعد قليل، دخل بعض المحاربين الوكر هرباً من المطر في الخارج، فنظرت غصن الصفصاف إلى قلب النار والصغير، ولكنها لم تقل شيئاً.

أما النمر الأسود فتذمّر وهو يدوس على فراش الطحالب الخاص به: «ألا يمكنك إسكات ذاك الشيء؟».

أخذ قلب النار يلحق الصغير بيأس وهو يفكر في أنّه بدأ يشعر بالجوع من دون شك. ورفع رأسه عندما سمع حفيفاً في سياج الوكر ورأى أمامه بياض الثلج. أتت إلى فراش قلب النار، ونظرت إلى الصغير البائس. فجأة، خفضت رأسها واشتمّت فرائه الناعم، ثمّ تمتمت قائلة: «من الأفضل أن آخذه إلى الحضانة. فعين الزمرد تملك الحليب، سأطلب منها إرضاعه».

حدّق قلب النار إلى الهرة باستغراب، فنظرت إليه هذه الأخيرة بودّ وقالت: «أنا لم أنسَ كيف أنقذت صغاري من عشيرة الظلال».

حمل قلب النار الصغير مجدّداً، وخرج خلف بياض الثلج من وكر المحاربين. كان المطر يهطل بغزارة أكبر، فأسرعا إلى الحضانة. اختفت بياض الثلج عبر مدخلها الضيق، وأقحم قلب النار نفسه بصعوبة خلفها. توقّف داخل وكر العليق، ورفّ عينيه إلى أن اعتادت على الضوء الخافت.

داخل الوكر الجاف والمظلم، تكوّرت عين الزمرد حول صغيرها
السليمين. نظرت بريبة إلى قلب النار والصغير المتدلّي من بين فكّيه.
همست بياض الثلج قائلة: «لقد مات أحد صغار عين الزمرد في
الليلة الماضية». فتذكّر قلب النار الصغيرين المريضين الممدّين بجانب
جمرة، وتساءل بحزن عمّن مات منهما. وضع صغير أميرة من فمه،
والتفت إلى عين الزمرد متمتماً: «أنا آسف».

رفّت الهزة عينيها الحزبتين.

قالت بياض الثلج: «عين الزمرد، أنا أعرف مدى حزنك، لكنّ هذا
الصغير يتضوّر جوعاً ولديك الحليب. فهل يمكنك إرضاعه؟».
هزّت عين الزمرد رأسها رافضة، وأغمضت عينيها بقوة وكأنّها تُنكر
وجود قلب النار في وكرها.

مدّت بياض الثلج رأسها إلى الأمام، وضغطت خطمها بلطف على
خدّ عين الزمرد هامسة: «أنا أعرف أنّه لن يحلّ مكان ابنك، ولكنّه يحتاج
إلى دفئك ورعايتك».

انتظر قلب النار بقلق بينما علا صراخ الصغير؛ فقد اشتّم رائحة
حليب عين الزمرد، وبدأ يتحرّك باتّجاه بطنها الطري من دون أن يرى
أمامه. شقّ طريقه بين صغيري عين الزمرد، فنظرت إليه هذه الأخيرة
وهو يتبع رائحة الحليب. راقبته من دون أن تقاوم إلى أن صعد على
بطنها وبدأ يرضع. أحسّ قلب النار بالارتياح والامتنان وهو يرى نظرات
عين الزمرد تلين، والبسبوس الأليف الأبيض يخرخر وهو يدوس على
بطنها بأكفّه الصغيرة.

هزّت بياض الثلج رأسها قائلة: «شكراً لك يا عين الزمرد. هل أخبر
نجمة الصباح أنّك ستعتنين بالصغير؟».

أجابت عين الزمرد بصوت خافت من دون أن ترفع عينها عن البسبوس الأبيض: «أجل». ودفعته إليها بكفّها الخلفي.

خرخر قلب النار، وخفض رأسه ليلمس كتفها بأنفه، ثم قال: «شكراً لك. أعدك أن أحضر لك المزيد من الصيد كلّ يوم».

مات بياض الثلج: «سأذهب لإخبار نجمة الصباح».

نظر قلب النار إلى الهزة البيضاء وتأثر بلطفها، فماء قائلاً: «شكراً لك».

«ما من صغير يستحق أن يموت جوعاً، سواء أكان ابن عشيرة أم لا». ثم استدارت وخرجت من وكر العليق.

تمت عين الزمرد: «يمكنك الذهاب الآن. سيكون صغيرك بأمان معي».

هزّ قلب النار رأسه وتبع بياض الثلج إلى الخارج. فكّر في العودة إلى وكره، ولكنه عرف أنّه لن يستريح قبل أن يسمع قرار نجمة الصباح. وبينما كان يروح ويجيء في الفسحة، وفراؤه يزداد ابتلااً، رأى بياض الثلج تخرج من وكر نجمة الصباح وتسرع عائدة إلى الحضانة. كانت غصن الصفصاف تستعدّ لاصطحاب دورية المساء عندما خرجت نجمة الصباح من وكرها أخيراً، فوقف قلب النار في مكانه، وبدأ قلبه ينبض بسرعة، حيث شعر أنّ قوائمه ستتهار. صعدت إلى الصخرة العالية، واستدعت القطط بالطريقة المعتادة: «كلّ القطط القادرة على اصطياد فريستها بنفسها مدعوة إلى اجتماع تحت الصخرة العالية».

استدار أعضاء الدورية وعادوا نحو الصخرة خلف غصن الصفصاف. أمّا بقيّة القطط فبدأت تغادر أعشاشها الجافة وهي تتذمر من المطر. صعد النمر الشرس إلى الصخرة، ووقف إلى جانب نجمة

الصباح بوجه عابس.

فَكَرَّ قلب النار في سره: سيأمر وني بإعادته. بدأت أنفاسه تتلاحق، والأفكار السوداء تحوم حوله. ماذا سيفعل إن طلبت نجمة الصباح من النمر الشرس أن يترك الصغير في الغابة؟ لن يعيش أبداً. آه يا عشيرة النجوم، ماذا سأقول لأُميرة؟

عندما اجتمعت كل القطط، تكلمت نجمة الصباح: «أصغوا إليّ جميعاً يا قطط عشيرة الرعد. ما من أحد منا ينكر أننا بحاجة إلى المحاربين. لقد خسرنا هزاً بسبب السعال الأخضر، وما زالت أشهر الثلوج طويلة. كما أن بسّة الرماد تعاني من إصابة خطيرة، وقد لا تصبح محاربة أبداً. وكما أشار النمر الرمادي...».

سمع قلب النار بسّ أغبر يهمس بجواره: «النمر الرمادي نفسه تحوّل إلى بسبوس أليف هذه الأيام!». فالتفت إليه بحدة، لكنّ أحد المسنين أسكت بسّ أغبر بهسيس تحذير قبل أن يقول قلب النار شيئاً. كزّرت نجمة الصباح: «كما أشار النمر الرمادي، هذا الصغير يحمل دماء قلب النار. وثمة احتمال كبير بأن يصبح محارباً بارعاً». نظر بعض أعضاء العشيرة إلى قلب النار الذي بالكاد سمع ثناء نجمة الصباح؛ فقد اشتعل الأمل في صدره وأفقده تركيزه.

صمتت الزعيمة للحظة، ونظرت إلى القطط المجتمعة أمامها، ثم أعلنت قائلة: «لقد قرّرت استقبال هذا الصغير في العشيرة».

لم يصدر أيّ صوت عن الهررة. في تلك اللحظة، أراد قلب النار أن يهتف شاكراً، ولكنه أمسك لسانه، وأخذ أوّل نفس عميق له منذ علوّ الشمس، وفكر أنّ ابن أخته سيصبح فرداً من عشيرة الرعد!

تابعت نجمة الصباح: «لقد عرضت عين الزمرد إرضاعه، لذلك

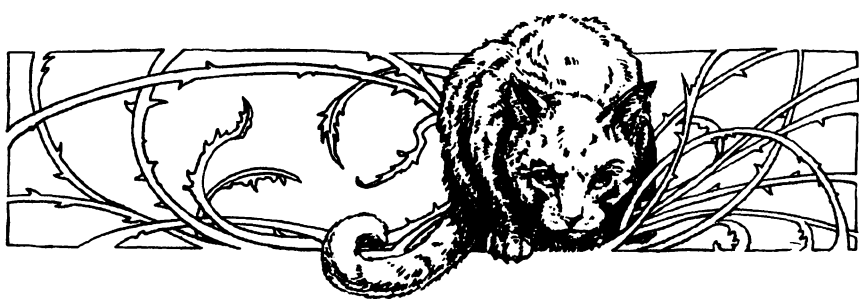
سيتولى قلب النار إطعامها». التقت نظرات زعيمة العشيرة نظراته، ولكنه لم يستطع قراءة تعبيرها. «أخيراً، يحتاج هذا الصغير إلى اسم، ولذلك سأسميه بسبوس الغمام».

سألها الفأرة السمراء: «هل سنقيم احتفال تسمية؟».

نظر قلب النار بلهفة إلى الصخرة العالية. هل سيمنح ابن أخته هذا الشرف كما حدث معه عندما استقبلته العشيرة رسمياً؟
غير أن نجمة الصباح نظرت إلى الفأرة السمراء ببرودة وأجابت: «كلاً».



telegram @
yasmeenbook



الفصل 22



مرّت الأيام المؤدّية إلى اكتمال القمر ببطء بالنسبة إلى قلب النار. وكان يشعر أساساً أنّ عصوراً قد مرّت على آخر اجتماع للعشائر. فقد حجبت السحب الممطرة القمر في آخر مرّة، وتجنّبت العشائر الذهاب إلى الأشجار الأربع. في تلك الأثناء، أتت دورية تلو الأخرى حاملة أنباء عن اشتتام روائح محاربي عشيرة النهر عند الصخور المشمسة، كما ظهرت رائحة عشيرة الظلال مجدّداً بجوار شجرة البوم.

حين لا ينضمّ قلب النار إلى فرق الصيد أو الدوريات، كان يقسم وقته بين بسبوس الغمام وبسة الرماد وبسّ أشقر. ومع أنّ النمر الرمادي استأنف مهامه كمدرب لبسّ أشقر، إلّا أنّ قلب النار سرعان ما لاحظ أنّ المبتدئ الشاب يبقى بمفرده من وقت إلى آخر بسبب غياب مدربه. وكلّما سأله عن المكان الذي يذهب إليه النمر الرمادي كان يجيب: «إلى الصيد».

«ولماذا لم ترافقه؟»

«قال إنه يمكنني مرافقته غداً».

أحسن قلب النار كعاداته بالغضب بسبب عناد صديقه، ولكنّه لم يعد يكثرث. فقد تخلّى عن محاولات إقناعه بالعودة إلى رشده، لا سيّما

وأنتهما بالكاد يتحدثان منذ أن أحضر قلب النار بسبوس الغمام إلى المخيم. إلا أنه بذل جهده لاصطحاب بسّ أشقر كلما تغيب صديقه، وذلك لمجرد إبقاء المبتدئ بعيداً عن الأنظار. فإجابات بسّ أشقر لن ترضي النمر الشرس بسهولة.

أخيراً، ظهر البدر في سماء صافية. عاد قلب النار من الصيد باكراً، ومرّ بجانب جذع السنديانة الذي أصبح خالياً الآن بعد شفاء بسّ رشيق وصغير النمرة الشقراء. فوضع صيده فوق الكومة، وذهب إلى وكر جمرة لزيارة بسّة الرماد. بعدما زال خطر السعال الأخضر عن المخيم، أصبحت المبتدئة بمفردها مع الهرة المداوية.

عبر النفق، ورأى الهرة الرمادية الصغيرة في الفسحة. كانت تساعد جمرة في تحضير بعض الأعشاب، فانكمش قلب النار عندما رآها تعرج بقوة وهي تمشي نحو الصخرة المشقوقة حاملة أوراقاً جافة في فمها. «قلب النار!». بصقت الأوراق والتفتت إليه لتحيطه وهو يدخل. «بالكاد اشتممت رائحتك بسبب هذه الأشياء المقرفة!».

فدمدمت جمرة: «هذه الأشياء المقرفة هي التي ساعدت على شفاء ساقك!».

أجابت بسّة الرماد: «كان يجدر بك استعمال المزيد». غير أن قلب النار أحسّ بالارتياح لدى رؤيته البريق الماكر في عينيها. مدّت ساقها الخلفية الملتوية وقالت: «انظر، بالكاد أستطيع الوصول إلى مخاليبي لتنظيفها».

ماءت جمرة قائلة: «عليّ أن أصف لك المزيد من التمارين لتليينها». فأجابتها بسرعة: «كلّا شكراً، فهي تؤلمني!».

«ينبغي أن تؤلمك! فهذا يعني أنها تفيدك!». والتفتت الهرة المداوية

إلى قلب النار وقالت: «ربّما تستطيع إقناعها بذلك. أنا ذاهبة إلى الغابة لإحضار بعض جذور السنفيتون».

فوعدها وهي تمرّ من أمامه: «سأحاول».

نادته الهرة المداوية من خلف كتفها: «ستعرف ما إذا كانت تقوم بها بشكل صحيح عندما تبدأ بالتدّمّر!».

أنت بسّة الرماد إليه، ولا مست أنفها بأنفه. قالت وهي تجلس وتضع ساقها المصابة تحتها: «شكراً لزيارتي».

خرخر قلب النار: «أحبّ زيارتك، وأفتقد إلى جلسات التدريب». لكنه سرعان ما ندم على كلامه.

شابت عينيّ بسّة الرماد نظرة حزن وماءت قائلة: «وأنا أيضاً. متى تظنّ أنني أستطيع أن أستأنف تدريبي؟».

فنظر إليها قلب النار وغصّ قلبه حزناً. من الواضح أنّ جمرة لم تخبرها بعد أنّها لن تصبح محاربة أبداً. أجابها متهرباً: «ربّما ستتحسّنين إن جرّبتنا بعض تمارين جمرة».

«حسناً، لكن قليلاً فقط».

تمدّدت على جنبها، ومدّت ساقها إلى أن تشنّج وجهها ألماً. شدّت على أسنانها، وبدأت تحرّك ساقها إلى الأمام والخلف ببطء.

قال محاولاً إخفاء حزنه الذي ربض على صدره كالصخر: «أنت تبلين حسناً».

خفضت ساقها وبقيت ساكنة للحظة ثم نهضت واقفة. راقبها قلب النار بصمت وهي تهزّ رأسها وتقول: «لن أصبح محاربة أبداً، أليس كذلك؟».

لم يستطع أن يكذب عليها، فهمس مجيباً: «كلّا، أنا آسف». ثم

مدّ خطمه نحوها ولعق رأسها. وبعد لحظات، أطلقت تنهيدة طويلة واستلقت مجدداً.

ماتت قائلة: «كنت أعرف. لكنني أحلم أحياناً أنني في الغابة أصطاد مع بسّ أشقر، ثم أستيقظ ويذكرني ألم ساقِي أنني لن أتمكن من الصيد مجدداً. غير أنني لا أطيق هذه الفكرة، وأدعي أنني قد أتمكن يوماً من الصيد».

لم يستطع قلب النار رؤيتها بهذه المعنويات المنخفضة، فوعدها قائلاً: «سأصطحبك إلى الغابة مجدداً، وسنبحث عن فأر بطيء ومسنّ. وأناؤكد لك أنه لن يجد فرصة للنجاة منك». نظرت إليه بسّة الرماد وخرخت بامتنان.

فخرخر قلب النار هو الآخر، لكن كان لديه سؤال يشغل باله منذ الحادثة. «بسّة الرمال، هل تذكرين ما جرى عندما صدمك الوحش؟ هل كان النمر الشرس هناك؟».

بدا الارتباك في عينيها، فأجابت متلعثمة: «لا... لا أدري». أحسّ بالذنب لأنه ذكرها بتلك اللحظات المؤلمة. تابعت قائلة: «لقد ذهبت مباشرة إلى شجرة الرماد المحترقة التي قال بسّ أغبر إن النمر الشرس ينتظر عندها. فجأة، ظهر الوحش و... لا أذكر حقاً».

هزّ رأسه ببطء يميناً ويساراً وقال: «ما كنت لتدركي مدى ضيق حافة الطريق هناك، لا بد أنك خرجت مباشرة إلى درب الرعد». تساءل بغضب: لماذا لم يكن النمر الشرس موجوداً في مكان اللقاء؟ كان يستطيع أن يمنعها من الخروج إلى درب الرعد! تردّد كلام أميرة في رأسه، هل كان فخاً؟ تخيل النمر الشرس رابضاً مع اتجاه الرياح، ومختبئاً بين الأشجار، ومحدقاً إلى حافة الطريق، ومنتظراً...

قطعت عليه بسّة الرماد أفكاره قائلة: «كيف حال بسبوس الغمام؟». من الواضح أنّها أرادت تغيير الموضوع.

سُرّ قلب النار بذلك، لا سيّما إن كان الحديث يتناول ابن أخته. فماء بفخر: «إنّه يزداد حجماً يوماً بعد يوم».

«كم أودّ رؤيته. متى ستحضره لزيارتي؟».

«ما إن تسمح لي عين الزمزد بذلك. فهي لا تتركه يغيب عن نظرها ولو للحظة واحدة».

«إذاً، أصبحت تحبّه؟».

«إنّها تعامله مثل بقيّة صغارها تماماً. في الحقيقة، لم أتوقّع في البداية أن تعتاد عليه، فهو يختلف كثيراً عن بقيّة صغارها». حتّى إن قلب النار لم يستطع أن ينكر أنّ فراء بسبوس الغمام الناعم والأبيض كالثلج يتنافر مع فراء بقيّة الصغار، المرقط والقصير والملون بألوان الغابة. «على الأقلّ، أصبح يتفق جيّداً مع رفاقه في الحضانة...». لم يتابع كلامه، بل حدّق إلى الأرض وهو يشعر بتقلّص في معدته.

فسألته بسّة الرماد بلطف: «ما الأمر؟».

هزّ كتفيه مجيباً: «لقد سئمت وحسب من نظرة بقيّة القطط إليه؛ كما لو كان غيباً أو بلا قيمة».

«وهل لاحظ بسبوس الغمام هذه النظرات؟».

هزّ رأسه نافياً.

«حسناً، إذاً لا داعي للقلق».

«لكنّ بسبوس الغمام لا يعرف أنّه بسبوس أليف في الأساس، بل يعتقد على ما أظنّ أنّه ينتمي إلى عشيرة مختلفة. ولكن، إن استمروا بالنظر إليه على هذا النحو المهين، فسرعان ما سيدرك أنّه يعاني من

مشكلة ما». نظر قلب النار إلى أكفّه بقلق.

ردّدت بسّة الرماد كلامه باستغراب: «يعاني من مشكلة ما! أنت نفسك كنت بسبوساً أليفاً، وأنت لا تعاني من أيّ مشكلة! اسمع، عندما يستنتج بسبوس الغمام من أين أتى، سيكون قد أصبح قادراً على الإثبات أنّ البسبوس الأليف لا يختلف عن أيّ محارب من أبناء العشيرة؛ تماماً مثلما فعلت أنت».

«وماذا لو أخبره أحد ما قبل أن يصبح جاهزاً لاستيعاب ذلك؟»
«إن كان مثلك، إن كان يشبهك ولو قليلاً، فهو جاهز منذ ولادته!»
ماء وقد بدت عليه الدهشة: «متى أصبحت بهذا الذكاء؟»
انقلبت الهزة على ظهرها مصدرة أنيناً دراماتيكياً وقالت: «من شأن المعاناة أن تغيّر أيّ هزّ!». داعب قلب النار بطنها بكفّه، فمادت بمرح قبل أن تتمدّد على جنبها مجدّداً. وقالت أخيراً: «حقاً، لكن انظر إلى من كنت أمضي وقتي معه مؤخراً!».
فأمال رأسه متسائلاً.

قالت ساخرة: «جمرة، أيّها الأحمق. إنّها عجوز حادة الذهن، وأنا أتعلّم منها الكثير. أخبرني أنّ ثمة اجتماعاً الليلة، هل أنت ذاهب؟»
«لا أدري. سأسأل نجمة الصباح لاحقاً؛ فعلاقتي الاجتماعية مع العشيرة ليست على ما يرام حالياً».

«سيتجاوزون ذلك». ثمّ وكزت كتفه مضيفة: «إذاً، ألا يجدر بك أن تعرف ما إذا كنت مدعوّاً؟ فهم سيغادرون بعد قليل».

«أنت على حقّ. هل يمكنك البقاء بمفردك حتّى عودة جمرة؟ إن كنت ترغبين، فبإمكانني أن أحضر لك بعض الصيد الطازج».

طمأنته قائلة: «سأكون بخير. ستحضر لي جمرة شيئاً كما تفعل

دائماً، وسأصبح أسمن هزة في العشيرة عندما تنتهي من علاجي». أحسّ قلب النار بالسعادة لدى رؤيته تلميذته السابقة تستعيد مرحها. كان يؤدّ البقاء برفقتها، ولكنها على حقّ؛ عليه أن يعرف ما إذا كان ذاهباً إلى الاجتماع. «إذاً، أراك غداً. وسيكون في جعيتي الكثير من الأخبار بعد الاجتماع».

«أجل، أودّ معرفة كلّ شيء. احرص على أن تسمح لك نجمة الصباح بالذهاب، أسرع!». أجابها وهو يقف: «حسناً، حسناً، إلى اللقاء يا بسّة الرماد». «إلى اللقاء!».

توقّف قلب النار عند أطراف الفسحة، وجال بنظره في أرجائها بحثاً عن نجمة الصباح. وجدها تتحدّث مع غصن الصفصاف خارج وكرها، فوصل إليها في اللحظة التي وقفت فيها غصن الصفصاف لتذهب. هزّت المحاربة الرمادية الرشيقة رأسها لقلب النار وهي تبتعد.

نظرت نجمة الصباح إليه وقالت: «تريد الذهاب إلى الاجتماع». فتح قلب النار فمه ليتكلّم، ولكنها قاطعته متابعة: «كلّ المحاربين يرغبون في الذهاب الليلة، ولكنني لا أستطيع اصطحاب الجميع».

شعر بالخيبة، وشرح قائلاً: «كنت أرغب في رؤية عشيرة الرياح مجدّداً لأطمئنّ عن أحوالهم بعدما أعدناهم أنا والنمر الرمادي إلى أرضهم».

زمت نجمة الصباح عينيها وقالت بحدة: «أنا لست بحاجة إلى تذكيري بما فعلته من أجل عشيرة الرياح». أجفل قلب النار، غير أنها تابعت: «لكنك محقّ باهتمامك. يمكنك المجيء برفقة النمر الرمادي إلى الاجتماع هذه الليلة».

«شكراً لك يا نجمة الصباح».

غير أنّها حذّرتَه قائلة: «سيكون اجتماعاً مهماً؛ إذ سيتحدّث على عشيرة النهر وعشيرة الظلال شرح الكثير».

انفضت أذنا قلب النار بعصبية، ولكنّه لم يستطع منع نفسه من الإحساس بالحماسة أيضاً. فمن الواضح أنّ نجمة الصباح تنوي سؤال النجم الأعوج ونجم الليل عن سبب اقتحام عشيرتيهما أراضي عشيرة الرعد. فخفض رأسه باحترام وابتعد.

وبينما كان يأخذ فأري حقول إلى عين الزمرد من كومة الطرائد، رأى جمرة تدخل المخيم. كان كفأها موحلين، وفمها ممتلئاً بالجدور. من الواضح أنّ بحثها عن السنفيتون كان مثمراً.

حمل قلب النار الصيد إلى الحضانة، فوجد عين الزمرد مكورة في الداخل وهي ترضع بسبوس الغمام. كان بقيّة الصغار قد تخلّوا مؤخّراً عن حليب أمّهم، وقریباً سيتذوّق بسبوس الغمام الصيد الطازج لأوّل مرّة.

نظرت إليه عين الزمرد وهو يدخل، وبدا القلق في عينيها، وماءت قائلة: «أرسلت للتوّ بطلب جمرة».

أحسّ بالخوف على الفور. «هل يعاني بسبوس الغمام من خطب ما؟».

«حرارته مرتفعة قليلاً اليوم». مدّت عين الزمرد رأسها ولعقت رأس الصغير الذي توقّف عن الرضاعة وبدأ يتمللمل. «قد لا يكون بالشيء الخطير، لكنني أفضل استشارة جمرة. فأنا... لا أرغب في المخاطرة». تذكر أنّ الهرة المرقطة خسرت أحد صغارها مؤخّراً، وأمل أن يكون تصرّفها نابعاً من فرط الحذر وحسب. غير أنّ بسبوس الغمام بدا

غير مرتاح فعلاً. فوعدها قائلاً: «سأعود للاطمئنان عليه بعد الاجتماع». خرج من الحضانة وعاد إلى كومة الطرائد ليتناول طعامه. فمع أن حديثه مع عين الزمرد أفقده شهيته، إلا أنه مضطّر لتناول شيء قبل الرحلة إلى الأشجار الأربع هذه الليلة.

وجد النمر الذئال وبسّ أغبر واقفين عند الكومة، فجلس ينتظر ابتعادهما.

ماء النمر الذئال: «لم أر صوص الغمام اليوم». أحسّ قلب النار بالانزعاج كالعادة من تعليق النمر الذئال المهين. ماء بسّ أغبر: «ربّما أدرك كم يبدو سخيفاً وقرّر الاختباء في الحضانة!».

قال النمر الذئال ساخراً: «كم أودّ رؤيته وهو يصطاد للمرّة الأولى. ستراه الطريدة وهو آتٍ عن بعد شجرة بفرائه الأبيض الطويل». اهتزّ شارب بسّ أغبر وهو ينظر إلى قلب النار شزراً. «هذا إن لم تحسبه فطراً منفوخاً!».

خفض قلب النار أذنيه وأشاح بنظره. راقب جمرة وهي تسرع إلى الحضانة بفم ممتلئ بالأقحوان. لسوء الحظّ، رآها أيضاً كلّ من النمر الذئال وبسّ أغبر. فقال النمر الذئال: «يبدو أن البسبوس الأليف مصاب بنزلة برد. يا لها من مفاجأة! فقد كانت زهرة الذهب على حقّ. لن يتمكن من احتمال فصل الثلوج!». واستدار المحارب المخطّط وحدّق إلى قلب النار بانتظار ردّ فعله، لكنّ هذا الأخير تجاهله وذهب إلى كومة الصيد. اختار طائر سمّن وحمله بعيداً وهو يشعر بالإرهاق من الحقد المتواصل.

كان النمر الرمادي يتشارك طعامه مع البرق الخاطف بجانب أجمة

القَرَاص، فسأله هذا الأخير وهو يَمِرّ: «هل كان صيدك موفقاً؟». «أجل شكرًا».

لم ينظر إليه النمر الرمادي، فقال له: «قالت نجمة الصباح إنك تستطيع الذهاب إلى اجتماع العشائر». أجابه وهو يمضغ: «أعرف».

التفت إلى البرق الخاطف وسأله: «هل أنت ذاهب؟». «بالتأكيد، لن أفوت هذا الاجتماع أبداً!».

تابع قلب النار طريقه، ووجد بقعة هادئة عند أطراف الفسحة. كان كلام النمر الذيال ما زال يتردد في ذهنه. هل ستقبل العشيرة يوماً بالهزّ الأبيض الصغير؟ أغمض عينيه وبدأ يلحق نفسه.

وعندما التفت ليلحق جنبه، احتكّ شاربه بشيء ما، ففتح عينيه ووجد بسّة الرمال واقفة بجانبه. كان فروأها البرتقالي يلمع بلون فضي تحت ضوء القمر. مادت قائلة: «فكرت أنك قد ترغب ببعض الرفقة». جلست وبدأت تنظّف ظهر قلب النار بلعقات طويلة وباعثة على الاسترخاء.

لمح قلب النار بعينه شبه المغمضتين بسّ أغبر وهو يحدّق إليهما من خارج وكر المبتدئين، والحسد والدهشة باديان على وجهه. غير أنّ المبتدئ لم يكن الهزّ الوحيد الذي فوجئ بسلوك بسّة الرمال، وذلك لأنّ قلب النار لم يتوقّع هذا اللطف من الهزّة الشابة ذات الطباع النارية. ومع ذلك، رحّب بدفئها ولم يعترض. سألها: «هل أنت ذاهبة إلى اجتماع العشائر؟».

توقّفت مجيبة: «أجل، وأنت؟».

«أجل. أعتقد أنّ نجمة الصباح ستسأل النجم الأعوج ونجم الليل عن سبب صيدهما في أرضنا». انتظر جوابها، ولكنها اكتفت بالتحديق

إلى السماء التي بدأت تظلم.

تمتت قائلة: «أتمنى لو كان بإمكانني الذهاب كمحاربة». توتر قلب النار، ولكنه لأول مرة لم يجد أثراً للغيرة أو المرارة في صوتها. في الواقع، كان يشعر بالاستغراب. فهو يعرف أنه بدأ تدريجه بعد بسّة الرمال، وأصبح محارباً منذ أكثر من شهرين. فقال بنبرة مشجعة: «لن يمضي وقت طويل قبل أن تمنحك نجمة الصباح اسم محاربة». فسأله وهي تنظر إليه بعينيها الخضراوين الفاتحتين: «لماذا تظن أن الأمر استغرق كل هذا الوقت؟».

«لا أدري. كانت نجمة الصباح مريضة، وعشيرتا النهر والظلال تسببان المشاكل. أعتقد أنها منشغلة بأمور أخرى».

«لكنها تحتاج إلى محاربين أكثر من أي وقت مضى».

أحسن بالتعاطف معها. «أظن أنها تنتظر... الوقت المناسب». أدرك أنه لم يقل شيئاً مقنعاً، ولكنه لم يجد حجة أخرى.

تنهدت بسّة الرمال قائلة: «قد تفعل ذلك مع حلول فصل الزهر. متى تظن أنك ستحصل على مبتدئ جديد؟».

«لم تقل نجمة الصباح شيئاً بعد».

«ربما ستطلب منك تدريب بسبوس الغمام عندما يصبح في سن مناسبة».

«أمل ذلك». وحدّق عبر الفسحة إلى الحضانة، وتساءل عما إذا كانت جمرة قد انتهت من علاج الصغير. «هذا إن بقي حياً حتى ذلك الوقت».

مادت بسّة الرمال بثقة: «بالطبع سيبقى حياً!».

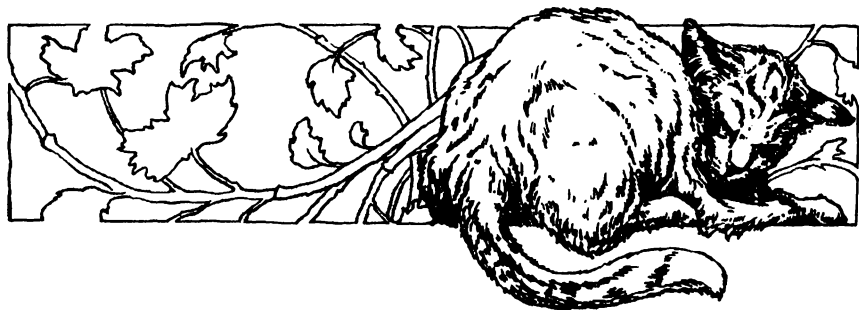
«لكنه مصاب بالحمى». وخفض كتفيه بقلق.

«كلّ الصغار يصابون بالحمّى! ولكنّه سيشفى سريعاً بفضل فرائه الكثيف. سيساعده فراؤه في فصل الثلوج، إذ سيكون مناسباً للصيد في الثلج؛ فالفرائس لن تراه وهو آتٍ. كما أنّه سيتمكّن من البقاء في الخارج لوقت مضاعف؛ خلافاً للقطط ذات الفراء الخفيف مثل النمر الذيّال!». خرخر قلب النار وشعر بالاسترخاء، فقد رفعت الهزّة معنوياته مجدّداً. نهض ولعق رأسها بخفّة وهو يقول: «هيا بنا، فنجمة الصباح تنادينّا».

انضمّا إلى القطط الأخرى التي وقفت عند مدخل المخيم في مجموعة صامئة ومليئة بالعزم.

أشارت إليهم نجمة الصباح بهزّة من ذيلها، ثمّ قادتهم عبر نفق القندول وخارج الوادي. أسرعوا باتجاه الأشجار الأربع عبر الغابة المضاءة بنور القمر البارد. خرجت أنفاس قلب النار من خطمه في سحب صغيرة بيضاء، وأحسّ أنّ أرض الغابة متجمّدة تحت أكفّه.

للمرّة الأولى منذ أن انضمّ إلى العشيرة، لم تتردّد نجمة الصباح عند أعلى المنحدر المؤدّي إلى الأشجار الأربع استعداداً للاجتماع. وعوضاً عن ذلك، لحقت القطط بزعيماتها بصمت وهي تهبط المنحدر مباشرة نحو الفسحة.



الفصل 23



لم تكن عشيرتا النهر والظلال قد وصلتا بعد، خلافاً لعشيرة الرياح التي كانت هناك أساساً. ألقى النجم المذنب التحية على نجمة الصباح بهزة رأس وقورة.

رأى قلب النار النمر الوحيد، فذهب إليه لتحيته قائلاً: «مرحباً». مضى أكثر من شهرين منذ أن رأى المحارب المخطط الصغير الذي حارب إلى جانبه عند المضيق. ولأول مرة منذ عهود، تذكر موت الكف الأبيض، والرعب الذي أحس به لدى رؤيته محارب عشيرة النهر وهو يختفي في الماء.

سأله النمر الوحيد: «أين النمر الرمادي؟ أهو بخير؟». أدرك قلب النار من نظرة القلق في عينيه أنه يفكر بموت الكف الأبيض هو الآخر، فأجابه: «إنه بخير، وهو هناك مع الباقين». ثم تذكر هزة عشيرة الرياح التي ساعدها في حمل صغيرها، فسأله: «كيف حال زهرة الصباح؟».

«إنها سعيدة بعودتها، كما أن صغيرها يكبر بسرعة». خرخر قلب النار بسعادة، بينما أضاف النمر الوحيد: «العشيرة بأكملها بخير». ونظر إلى قلب النار وومضت عيناه بمرح. «لقد فرحنا بأكل الأرانب مجدداً،

وأتمنى ألا أضطرّ إلى تذوّق جرد آخر ما حييت!».

اشتَم قلب النار رائحة حديثة في هواء الليل، فأدرك أنّ عشيرة النهر قادمة. واشتَم أيضاً رائحة عشيرة الظلال. جال بنظره على حافة المنحدر المحيط بالغور، فرأى بالفعل قطط عشيرة النهر تهبط من أحد جوانبه، ورأى من الجهة المقابلة قطط عشيرة الظلال واقفة في الأعلى وفراؤها يلمع تحت ضوء القمر. قاد نجم الليل المجموعة بجسده الرشيق.

قال النمر الوحيد الذي رأيهم هو الآخر: «ها قد وصلوا أخيراً. الجو بارد جداً هذه الليلة ولا يغري بالتسكّع في الخارج طويلاً».

هزّ قلب النار رأسه بشرود. كان يبحث عن شعاع الفضة بين قطط عشيرة النهر وهي تدخل الفسحة. رأى الهرة الرمادية الشاحبة بسهولة. توقّفت عند أسفل المنحدر، ثمّ تبعت أباهما وهو يحيي بتحفّظ محاربي العشائر الأخرى.

بحث قلب النار بعصبية بين حشود القطط المتنامية عن صديقه الرمادي. هل سيجرؤ على التحدّث مع شعاع الفضة الليلة؟ كان المحارب الرمادي مديراً ظهره لشعاع الفضة، ويتحدّث مع محارب آخر من عشيرة الرياح.

انهمك قلب النار في مراقبة صديقه، حيث لم يسمع الكفّ الأعرج وهو يقترب. ماء نائب عشيرة الرياح: «مساء الخير يا قلب النار، كيف حالك؟».

فاستدار مجيباً: «أهلاً، أنا بخير. شكراً لك».

هزّ الكفّ الأعرج رأسه وماء قائلاً: «هذا جيد». ثمّ ابتعد. وكز النمر الوحيد قلب النار بمودة وقال: «يا لهذا الشرف!». فأحس بشيء من الفخر.

علا مواء نجمة الصباح من فوق الصخرة العظيمة، فاستدار قلب النار ونظر إلى الأعلى باستغراب؛ وذلك لأنّ الزعماء لا يدعون عادة إلى الاجتماع بهذه السرعة. وقف النجم الأعوج ونجم الليل إلى جانب بعضهما على الصخرة، بينما انتظرت نجمة الصباح بالقرب من النجم المذنب تجمّع بقية القطط في الأسفل. أدرك قلب النار مجفلاً أنّها المرّة الأولى التي يرى فيها زعيم عشيرة الرياح في أحد الاجتماعات.

تبع قلب النار والنمر الوحيد القطط الأخرى وهي تجلس تحت الصخرة. نظر إلى الأعلى بانتظار ترحيب نجمة الصباح بعودة النجم المذنب وعشيرة النهر، ولكن من الواضح أنّ زعيمة العشيرة لم تكن في مزاج يسمح لها بإضاعة الوقت بالمجاملات.

قالت بنبرة غاضبة: «لقد قامت عشيرة النهر بالصيد في الصخور المشمسة. وقد اشتمّت دورياتنا رائحة محاربيكم مرّات عديدة أيّها النجم الأعوج. أنتم تعرفون أنّ الصخور المشمسة تنتمي إلى عشيرة الرعد!». نظر النجم الأعوج إلى نجمة الصباح وقال: «هل نسيت أنّ أحد محاربينا قُتل مؤخراً وهو يدافع عن أرضنا ضدّ عشيرة الرعد؟».

«لستم بحاجة إلى الدفاع عن أرضكم؛ فمحاربو عشيرتي لم يصطادوا هناك، بل كانوا عائدين إلى أرضهم بعد عثورهم على عشيرة الرياح. إنّها مهمّة اتّفقنا عليها جميعاً! وبحسب قانون المحاربين، ما كان ينبغي التعرّض لهم».

قال النجم الأعوج بحدّة: «أتحدّثين عن قانون المحاربين؟ وماذا عن محارب عشيرة الرعد الذي كان يتجسّس على أرضنا منذ ذلك الحين؟».

فوجئت نجمة الصباح وتساءلت: «أيّ محارب؟ هل رأيتموه؟».

هَسَّ النجم الأعوج: «ليس بعد، ولكننا اشتممنا رائحته مراراً، ولن يمضي وقت طويل قبل أن نقبض عليه».

نظر قلب النار إلى النمر الرمادي بخوف. كان يعلم تماماً من هو المحارب الذي اكتُشف مروره في أراضي النجم الأعوج. لكن، هل سيتعرّف محاربو عشيرة النهر على رائحته الليلة؟

جلس النمر الرمادي بلا حراك، ولم يرفع نظره عن الزعماء الواقفين على الصخرة العظيمة.

علا مواء النمر الشرس العميق من بين حشد القطط: «خلال الشهر الفائت، لقد اشتممنا رائحة عشيرة الظلال في أراضينا، بالإضافة إلى رائحة عشيرة النهر. ولم تكن الرائحة تنتمي إلى محارب واحد، بل إلى دورية كاملة مؤلفة دوماً من القطط نفسها».

ومضت عينا زعيم عشيرة الظلال باستنكار وأجاب: «لم تطأ أكف عشيرة الظلال أراضيكم مطلقاً. من الواضح أن محاربيكم لا يميزون بين روائح قطط العشائر الأخرى. كنتم تشتمون روائح قطط منبوذة قامت أيضاً بسرقة فرائس من أراضينا!».

شخر النمر الشرس غير مصدق، فحدّق إليه نجم الليل قائلاً: «هل تشكّ بكلام عشيرة الظلال أيها النمر الشرس؟». تمتم الحشد بانزعاج، بينما حدّق النمر الشرس إلى فراء الليل والشكّ واضح في تعابيره.

تكلم النجم المذنب للمرّة الأولى وهو يهزّ ذيله: «لقد عثر محاربو عشيرتي على روائح غريبة في أراضي عشيرة الرياح كذلك، ويبدو أنها تنتمي إلى عشيرة الظلال».

قال النمر الشرس: «كنت أعرف! لقد اتّحدت عشيرتا النهر والظلال ضدّنا!».

قال النجم الأعوج: «ضدكم! ومن تكونون بالضبط؟ أعتقد أنكم أنتم من تحالفتم مع عشيرة الرياح! ألهذا السبب كنتم مصرين على إعادتهم؟ لكي تستخدموهم لاجتياح بقية الغابة؟».

انتصب فراء النجم المذنب: «نحن لم نرجع لهذا السبب، وأنت تعرف ذلك. كما أننا التزمنا بالتجول في أراضينا خلال الأشهر الفائتة». زمجر النجم الأعوج: «إذاً، لماذا عثرنا على روائح غريبة في أرضنا؟».

هسّ النجم المذنب مجيباً: «تلك الروائح لا تنتمي إلى عشيرة الرياح! لا بدّ أنها تعود لقطط منبوذة مثلما قال نجم الليل». تمتت نجمة الصباح متسائلة: «لكن القطط المنبوذة ستشكل عذراً مناسباً لاجتياح أراضينا، أليس كذلك؟». ثمّ حدّقت بتوعّد إلى زعيمَي عشيرتي النهر والظلال.

انتصب فراء النجم الأعوج، بينما قوّس نجم الليل ظهره. فأحسّ قلب النار بالخوف وهو يرى النمر الشرس ينهض ويتقدّم ببطء نحو الصخرة العظيمة، وقد توتّرت كلّ عضلة في جسده. هل سيتعارك الزعماء حقّاً خلال اجتماع للعشائر؟

في تلك اللحظة، خيم ظلّ على الوادي، فصمتت القطط في الظلام. نظر قلب النار إلى الأعلى وهو يرتجف، فرأى أنّ سحابة قد حجبت نور البدر تماماً.

«لقد أرسلت عشيرة النجوم الظلام!». عرف قلب النار صوت الذيل الأبتري؛ أحد مسنّي عشيرة الرعد.

ماء مداوي عشيرة الظلال موافقاً وقال: «عشيرة النجوم غاضبة، فمن المفترض أن تتمّ هذه الاجتماعات بسلام».

عندئذٍ، سُمع صوت جمرة وهي تقول: «شرشور على حق! لا ينبغي أن نتشاجر، لا سيّما في فصل الثلوج، بل يفترض بنا أن نصبّ اهتمامنا على الحفاظ على سلامة عشائرنّا!». وتردّد صوتها في الصمت المخيف وهي تضيف: «علينا الإصغاء إلى عشيرة النجوم».



الفصل 24



بدا النجم المذنب مجرّد خيال داكن على قمة الصخرة العظيمة وهو يتكلّم. «لقد انتهى هذا الاجتماع بمشيئة عشيرة النجوم». فتمتم الحشد موافقاً. كان الهواء مثقلاً بروائح الخوف والعدائية.

«هيا بنا يا عشيرة الرعد». بالكاد رأى قلب النار زعيمة العشيرة وهي تهبط عن الصخرة العظيمة متوجّهة إلى طرف الفسحة. فشقّ طريقه بين القطط الأخرى ولحق بها. رأى جسد النمر الشرس الضخم وهو يواكب نجمة الصباح، وأجساد قطط عشيرة الرعد الرمادية الشاحبة وهي تجتمع خلف المحاربين العظيمين. خيم عليهم صمت مهيب وهم يتسلّقون السفح عائدين إلى المخيم. التفت قلب النار إلى الخلف، فرأى العشائر الأخرى تنسحب هي الأخرى. وعندما وصل إلى قمة المنحدر، أصبحت منطقة الأشجار الأربع خالية تماماً.

أخذت قطط العشيرة تجري بصمت في الغابة، متّبعة أثر الرائحة المألوفة. لمح قلب النار صديقه الرمادي في آخر المجموعة، فأبطأ في مشيته. ربّما أصبح النمر الرمادي أكثر استعداداً للكلام عن شعاع الفضّة بعدما اتّضح له مدى توتر الأجواء بين العشائر. حتّى إنّ رائحته قد اكتشفت في أراضي عشيرة النهر، وبات يعرّض نفسه والعشيرة للخطر

بهذه اللقاءات السرية.

بحث عن الكلمات المناسبة، إلا أن النمر الرمادي هسّ قائلاً:
«أعرف ما ستقوله، ولن أكفّ عن رؤيتها!».

«أنت أحرق بدماع فأر! سيكتشفون أمرك قريباً. وقد تعرف بذلك
نجمة الصباح، أو يتعرّف أحد قطط عشيرة النهر على رائحتك. ومن غير
المستبعد أن يكون النمر الشرس قد خمن هوية الهرّ المقصود أساساً!».
ألقي النمر الرمادي على صديقه نظرة قلقة. «أتظنّ ذلك؟».

فأجابه وقد شعر بالارتياح عندما أحسّ بنبرة الخوف في صوته:
«لا أدري». كان صديقه يتصرّف كما لو أنّه لا يملك أدنى فكرة عمّا
يمكن أن يحدث إن عرفت العشيرة بعلاقته الغرامية. «لكن، ما إن يبدأ
في التفكير بالأمر...».

أجابه بحدّة: «حسنًا، حسنًا!». صمت للحظة ثمّ أضاف: «ماذا لو
وعدتك بلقائها عند الأشجار الأربع فقط؟ فهناك سيصعب اكتشاف
رائحتنا، ولن أضطر لدخول أراضي عشيرة النهر. هل ستركني وشأني
عندئذٍ؟».

أحسّ قلب النار بغصّة في قلبه. من الواضح أنّ النمر الرمادي لن
يتخلّى عن شعاع الفضّة بسهولة. وهكذا، هزّ رأسه موافقاً؛ لأنّ هذا الحلّ
أفضل من التسلّل إلى أراضي عشيرة معادية لرؤيتها.

«هل ارتحت الآن؟». لمعت عينا النمر الرمادي في الظلام، ولكنّ
صوته بدا قلقاً. أمّا قلب النار، فأحسّ بشيء من الندم على صداقتهما
الضائعة، كما شعر ببعض التعاطف مع المحارب الرمادي. مدّ رأسه إلى
الأمام ليلامس جسده بخطمه، لكنّ هذا الأخير ركض إلى الأمام وترك
قلب النار بمفرده في آخر المجموعة.

مع أنّ القطط وصلت من الرحلة متعبة، إلّا أنّ نجمة الصباح دعته
إلى اجتماع فور وصولها إلى المخيم. كانت معظم قطط العشيرة لا تزال
مستيقظة على أيّ حال، وذلك لأنّ اجتماع العشائر دام لوقت أقصر من
المعتاد، كما أنّ السحابة المفاجئة التي حجبت القمر سبّبت القلق حتّى
للقطط التي مكثت في المخيم.

بينما صعدت نجمة الصباح والنمر الشرس إلى الصخرة العالية،
أسرع قلب النار إلى الحضانة للاطمئنان عن بسبوس الغمام. أطلّ برأسه
من المدخل على الوكر المظلم والدافئ.

فهمست عين الزمرد التي بدت كظلّ باهت يتحرّك في الظلام:
«أهلاً يا قلب النار. لقد تحسّن بسبوس الغمام كثيراً بعد أن أعطته جمرة
الأقحوان. كانت مجرد نزلة برد عابرة». بدا الارتياح في صوت الهزة.
«ماذا جرى في اجتماع العشائر؟».

«أرسلت عشيرة النجوم سحباً لحجب القمر. دعتنا نجمة الصباح
إلى اجتماع للعشيرة، هل أنت آتية؟».

أصغى قلب النار إلى عين الزمرد وهي تشتّم صغارها قبل أن تجيبه
أخيراً: «أجل، أعتقد أنني أستطيع الانضمام إليكم، فصغاري سينامون
لبعض الوقت».

أخرج قلب النار رأسه وانضمّاً معاً إلى القطط المجتمعة في
الفسحة. أحسّ فجأة بفراء يحتكّ به، فرأى بسة الرماد تنظر إليه بعينين
كبيرتين قلقيتين.

كانت نجمة الصباح قد بدأت تتكلّم: «يبدو أنّ التهديد الأكبر آتٍ
من عشيرتي النهر والظلال، وعلينا الاستعداد لاحتمال أن تتحدّا ضدّنا».
سرى مواء صدمة بين أفراد العشيرة.

سألت جمرة بصوتها المبحوح: «هل تظنين حقاً أنهما اجتمعتا ضدنا؟ صحيح أن عشيرة النهر تملك أفضل مصدر للفرائس، ولكنني لا أتخيل أن تقبل بمشاركته مع عشيرة الظلال». تذكر قلب النار كلام شعاع الفضّة عن الجوع الذي تعاني منه عشيرة النهر بعد تمدّد ذوي الساقين في أراضيها، إلّا أنّه أمسك لسانه خوفاً من أن تسأله نجمة الصباح عن كيفية معرفته بهذه القصة.

قال النمر الشرس: «لم يُنكروا ذلك».

هزّت نجمة الصباح رأسها موافقة. «أياً تكن الحقيقة، فعلينا أن نكون على أتم استعداد. بدءاً من الليلة، ستألف كلّ دورية من أربعة قطط، ثلاثة منهم على الأقلّ محاربون. وسنرسل عدداً أكبر من الدوريات؛ اثنتين كلّ ليلة، وواحدة خلال النهار، فضلاً عن دوريتي الفجر والغسق. علينا أن نضع حدّاً لغارات عشيرتي النهر والظلال على أراضينا، وبما أنهما قزرتا تجاهل مطالبنا، يجب أن نكون مستعدين للقتال».

ماتت العشيرة موافقة، وشاركهم قلب النار المواء؛ مع أنّه شعر بالقلق بسبب انعكاسات هذا العداء المفتوح على النمر الرمادي. نظر إلى القطط الأخرى ورأى أعينها تلمع؛ باستثناء الهزّ الرمادي الذي جلس خافضاً رأسه في الظلّ عند طرف الفسحة.

وعندما هدأ الصخب، تكلمت نجمة الصباح مجدّداً: «ستغادر الدورية الأولى قبل الفجر». ثمّ هبطت عن الصخرة العالية، وتبعها النمر الشرس، ففترقت بقية العشيرة إلى مجموعات صغيرة راحت تتمم بعصبية وهو يتوجّه إلى وكر المحاربين.

جلس في فراشه، وأخذ يربّت بأكفّه على الطحالب لجعلها مريحة أكثر. نعتت بومة عند أعلى الوادي. عرف أنّه لن ينام بسرعة، فذهنه

مشغول بالاتهامات التي ألقيت خلال اجتماع العشائر. كان يفهم سبب غضب عشيرة النهر؛ فقد عثروا على رائحة قطط من عشيرة الرعد في أراضيهم، علماً أنهم يعانون حالياً من الجوع بسبب ندرة الطرائد من جراء اجتياح ذوي الساقين لأراضيهم.

لكن، ماذا عن عشيرة الظلال؟ فقد أصبحت هذه العشيرة أقلّ عدداً بعد أن ساعدتها عشيرة الرعد على طرد زعيمها المستبدّ وأتباعه. حتّى إنّ النجم نمرود اعترف بقتل أبيه النجم الأشعث لكي يحتلّ مكانه. وتُركت العشيرة بسلام لكي تستعيد عافيتها بعد حكم النجم نمرود الدموي. لكن، بعدما أصبحت تملك عدداً أقلّ من الأفواه، أما زالت بحاجة إلى الإغارة على أراضي عشيرة الرعد أو أراضي العشائر الأخرى؟

وبينما كان يفكر في هذه المسائل، دخل الرعب الأبيض والنمر الأسود الوكر. لكن قبل أن يخلد الرعب الأبيض إلى فراشه، توقّف بجانبه وماء قائلاً: «ستنضمّ إلينا أنا وبسّة الرمال والفأرة السمراء في دورية علوّ الشمس».

أجاب: «حسناً أيّها الرعب الأبيض». ثمّ أسند ذقنه إلى كفيّه. عليه الحصول على قسط من النوم، وذلك لأنّ عشيرته تحتاج إليه ويجب أن يكون قوياً وجاهزاً للقتال.

في صباح اليوم التالي، كانت السحب التي حجبت القمر قد تبدّدت تماماً، فاستمتع قلب النار بدفء الشمس على ظهره، وجلس يلعب فراءه في الفسحة. خرج بسبوس الغمام من مدخل الحضانة أمامه، وبدا مشرقاً وسعيداً.

فرح قلب النار بشفاء الصغير بسرعة. كانت بسّة الرمال محقّة، فهو

يتمتع بقدرة كبيرة على المقاومة. نظر حوله ليرى ما إذا كان النمر الذئال
وبسّ أغبر هناك، فوجد الفسحة خالية.

اقترب من الحضانة، وبادر الصغير قائلاً: «مرحباً يا بسبوس الغمام.
هل تشعر بالتحسّن؟».

«أجل». وراح يدور حول نفسه ليلتقط ذيله بفكيه الصغيرين. كان
ثمّة كرة صغيرة من الطحالب عالقة بفرائه، فتدحرجت وسقطت على
الأرض. قفز عليها بسبوس الغمام ورماها في الهواء، فتدحرجت على
الأرض ووصلت إلى قلب النار.

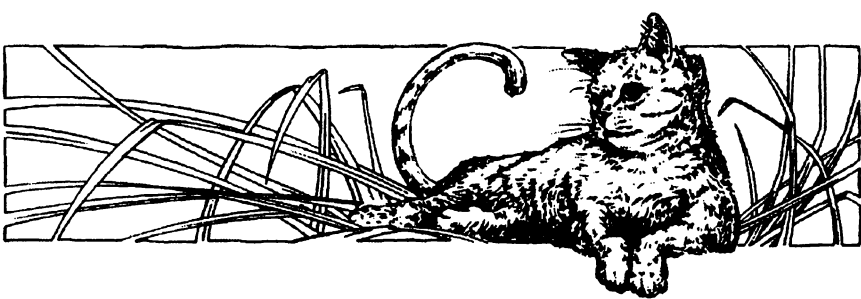
دفعها هذا الأخير نحو الصغير، فقفز والتقطها بأسنانه.
أثنى عليه قلب النار بإعجاب: «أحسنت!». ثم رمى الكرة بكفه عالياً
في الهواء، لتطير فوق الفسحة.

فأسرع بسبوس الغمام خلف الكرة وأمسك بها. تدحرج على
ظهره، ثم رماها بكفيه الأماميين قبل أن يركلها بساقه الخلفية، لتحطّ
بجانب الحضانة. فانطلق يركض خلفها. ربض على بعد قفزة أرنب منها،
رافعاً وركيه إلى الأعلى.

راقبه قلب النار وهو يستعدّ ليقفز. فجأة، انتصب فراؤه وهو يرى
قائمة أمامية داكنة وطويلة تمتدّ نحو كرة الطحالب من خلف الحضانة.
ناداه قلب النار: «بسبوس الغمام، انتظر!». فما زالت صور القطط
الشريدة حديثة في ذهنه.

جلس بسبوس الغمام ونظر إليه باستغراب، بينما خرج النمر
الشرس من خلف الصغير حاملاً كرة الطحالب بين أسنانه. أتى بها إلى
بسبوس الغمام ووضعها أمام أكفه البيضاء المكسوة بالفراء، ثم زمجر
قائلاً: «انتبه لكى لا تُضيع هذه اللعبة الثمينة». وبينما كان المحارب

الأسمر يتحدث، نظر إلى قلب النار من فوق رأس بسبوس الغمام.
ارتعد قلب النار، وتساءل عما يعنيه النمر الشرس بذلك؟ هل كان
يقصد بسبوس الغمام وهو يتحدث عن كرة الطحالب؟ ومضت في ذهنه
صورة بسة الرماد وهي ملقاة على حافة درب الرعد جريحة وتنزف. هل
كانت المبتدئة الصغيرة لعبة أخرى أضاعها؟ عندئذٍ سرت في جسده
رعدة خوف باردة بلغت قلبه وهو يتساءل مجدداً عما إذا كان نائب
عشيرة الرعد مسؤولاً عن حادثة تلميذته.



الفصل 25



«بسبوس الغمام!».

سمع قلب النار صوت عين الزمرد وهي تنادي من داخل الحضانة، فاستدار مبتعداً، بينما أرسل بسبوس الغمام ركلة أخيرة لكرة الطحالب وركض إلى مدخل الحضانة. قال قبل أن يختفي في الداخل: «إلى اللقاء يا قلب النار».

نظر قلب النار إلى السماء. كان النهار على وشك أن ينتصف، مما يعني أن موعد دوريته أصبح قريباً. شعر بالجوع، ولكنه لم يجد أي صيد في الفسحة، فقرّر أن يصطاد شيئاً في الخارج. أسرع للخروج من نفق القندول، وشمعت خشخشة الأوراق المتجلدة تحت أكفّه.

كانت بسّة الرمال والفأرة السمراء تنتظران عند أسفل المنحدر، فرفع ذيله تحيةً لهما، وشعر بفرح غير متوقّع لدى رؤيته بسّة الرمال.

ماتت هذه الأخيرة: «مرحباً». وهزّت الفأرة السمراء رأسها بالتحية. خرج الرعب الأبيض من نفق القندول وسألهم: «هل عادت دورية الفجر؟».

أجابت الفأرة السمراء: «لا أثر لهم بعد». لكن بينما كانت تتحدّث،

سمع قلب النار حفيف الأدغال فوقهم، قبل أن تطلّ غصن الصفصاف والبرق الخاطف والنمر الأسود وبسّ أغبر.

قالت غصن الصفصاف: «لقد تجوّلنا على كامل حدود عشيرة النهر، ولم نجد أثراً لأيّ فرق صيد. ستتحقّق دورية نجمة الصباح من المنطقة بعد ظهر هذا اليوم».

أجاب الرعب الأبيض: «هذا جيّد، سنقصد نحن حدود عشيرة الظلال».

ماء النمر الأسود: «أتمنّى أن يكونوا قد تعقّلوا هم أيضاً وتجنّبوا دخول أرضنا. فبعد ما جرى في الليلة الماضية، لا بدّ أنّهم عرفوا أنّنا سنتعقّبهم».

زمجر الرعب الأبيض: «آمل ذلك». ثمّ التفت إلى أفراد دوريته وسألهم: «هل أنتم جاهزون؟». هزّ قلب النار رأسه، فحرّك الرعب الأبيض طرف ذيله وقفز يتقدّمهم بين نباتات السرخس.

تبع قلب النار كلاً من الفأرة السمراء والرعب الأبيض. تسلّقوا سفح الوادي بسرعة، ومشت بسّة الرمال خلفه حيث شعر بأنفاسها الدافئة وهي تتسلّق الصخور.

عندما التقط قلب النار رائحة مألوفة، لم يكونوا قد وصلوا بعد إلى صخور الأفاعي. فتح فمه لتحذير الآخرين، لكنّ الفأرة السمراء تكلمت أولاً: «عشيرة الظلال!».

توقفت الهرة الأربعة لاشتمام الرائحة الكريهة. تمتت بسّة الرمال: «لا أصدّق أنّهم عادوا!». لاحظ قلب النار الرعشة التي سرت في فراء عمودها الفقري.

لمعت عينا الرعب الأبيض غضباً وقال: «الرائحة حديثة. كنت آمل

أن يشرف نجم الليل عشيرته، ولكن يبدو أن الرياح الباردة التي تهب خلف درب الرعد تقسي قلوب قطط عشيرة الظلال».

التفت قلب النار وبدأ يشق طريقه في أجمة كثيفة من السرخس، ثم راح يحك أسنانه على الأغصان لالتقاط الرائحة العالقة هناك. كانت رائحة عشيرة الظلال فعلاً، لكنها مألوفة، لا بل مألوفة جداً. توقف مدركاً أن الرائحة تنتمي إلى محارب سبق له أن التقاه من قبل، لكن من هو يا ترى؟

تقدم إلى الأمام على أمل أن تحفز علامات الرائحة ذاكرته، فاشتم شيئاً آخر. نظر إلى الأسفل، ورأى بين جذوع النباتات كومة من عظام الأرانب. كانت قطط العشائر تدفن عادة عظام فريستها كدليل احترام للحياة التي افترستها. عرف فجأة ما يمكن أن يعنيه ذلك، فحمل عدداً منها بفمه وعاد أدراجه ليضعها عند أكف الرعب الأبيض.

حدق المحارب الأبيض إلى العظام غاضباً وقال: «عظام أرانب! إن المحاربين الذين فعلوا ذلك يريدوننا أن نعرف أنهم كانوا يصطادون في أرضنا! علينا إخبار نجمة الصباح بذلك فوراً».

سأله قلب النار: «وهل سترسل فرقة قتالية لمهاجمة عشيرة الظلال؟». لم يكن قد سبق له أن رأى الرعب الأبيض غاضباً إلى هذا الحد.

فهس المحارب الضخم: «لا بدّ من ذلك! وسأقودها بنفسني إن استطعت. لقد خان نجم الليل ثقتنا ولا مفرّ من عقابه».

رمى الرعب الأبيض عظام الأرانب في وسط فسحة المخيم ونادى الزعيمة قائلاً: «نجمة الصباح!».

فقال له النمر الشرس وهو يخرج من الظلال: «لقد خرجت نجمة الصباح في دورية».

خرج كل من الذيل الأبر وبياض الثلج من وكريهما لمعرفة ما يجري.

حدّق الرعب الأبيض إلى النمر الشرس والغضب يعتمل في عينيه: «انظر ماذا وجدنا!».

لم يكن النائب بحاجة إلى السؤال عن معنى هذه العظام، وذلك لأن رائجتها أخبرته القصة كاملة، وسرعان ما اشتعل الغضب في عينيه.

بقي قلب النار عند أطراف الفسحة يراقب المحاربين العظمين. كان الدليل واضحاً بلا شك، ولكن اكتشاف العظام ملأ رأسه بالأسئلة، وليس بالغضب. إذ لم تمض سوى ثلاثة أشهر منذ أن طردت عشيرة الظلال زعيمها الشرير بمساعدة عشيرة الرعد. فكيف تُقدم العشيرة نفسها على استفزاز عشيرة الرعد للدخول في حرب معها؟

لا يبدو أن هذه الشكوك ساورت النمر الشرس، إذ سرعان ما دعا كلاً من النمر الأسود والبرق الخاطف وأعلن قائلاً: «ستنضم إلينا أيضاً غصن الصفصاف والفأرة السمراء! سنبحث عن دورية لعشيرة الظلال ونلقنهم درساً صغيراً لتذكيرهم بالابتعاد عن أراضينا في المستقبل».

هزّ الرعب الأبيض رأسه موافقاً. سألتهم بسّة الرمال: «هل يمكنني المجيء أنا أيضاً؟». كانت تروح وتجيء بحماسة خلف المحارب الأبيض قبل أن تتوقّف لتنظر إليه بعينين متقدتين.

فقال لها الرعب الأبيض: «ليس هذه المزة».

بدا الإحباط على وجهها فمادت متسائلة: «لكن، ماذا عن قلب النار؟ فهو من وجد العظام».

زَمَّ النمر الشرس عينيه، وانتصب الفراء فوق عنقه وهَسَّ بازدراء: «قلب النار سيقى هنا، وسيخبر نجمة الصباح بما جرى عند عودتها».

فسأله قلب النار: «وهل ستغادرون قبل عودتها؟».

ردّ عليه بحدة: «بالطبع. ينبغي تسوية هذه المسألة حالاً!». والتفت إلى الرعب الأبيض وهَزَّ ذيله. فشاهدهما قلب النار وهما يندفعان إلى خارج المخيم، وخلفهما النمر الأسود وغصن الصفصاف والبرق الخاطف والفأرة السمراء. وسُمع وقع أكفّهم وهي تضرب الأرض المكسوة بالثلوج بينما كانوا يتوجّهون إلى سفح الوادي.

فجأة، أحسَّ قلب النار أنَّ المخيم خالٍ تماماً. أتت إليه بياض الثلج مع الذيل الأتر وبدآ باشتمام عظام الأرنب، ثمَّ سأل الهَرَّ المسنّ: «من يرافق نجمة الصباح؟».

نظرت إليه بياض الثلج مجيبة: «النمر الرمادي والنمر الذئال وبسّ رشيق».

عبثت رياح باردة بفراء قلب النار، وأمل أن تكون هي سبب الرعشة التي سرت في جسده. كان المحارب الوحيد الذي بقي في المخيم. فسأل بسّ الرمال: «هَلَّا تحقّقت من وكر المبتدئين لمعرفة ما إذا كان بسّ أغبر هناك؟».

هَزَّتْ رأسها موافقة ثمَّ انطلقت وأطلّت برأسها داخل الوكر، ثمَّ أخرجت رأسها وقالت: «إنّه هناك. وهو نائم، وكذلك بسّ أشقر».

خرجت جمرة من وكرها ورفعت رأسها، فشر قلب النار ببعض
الاسترخاء عندما رأى المداوية العجوز. زمّ عينيه استعداداً لتحيتها، لكن
عندما اشتمت جمرة الهواء ظهر عليها الخوف. اقتربت بخطوات بطيئة
ومتصلبة من عظام الأرنب واشتمتها واحدة تلو الأخرى بعناية.
راقبها قلب النار وهو يتساءل عن سبب اهتمامها بالعظام
القديمة.

أخيراً، رفعت رأسها وحدّقت إلى عيني قلب النار، ثم قالت بصوت
مليء بالرعب: «النجم نمرود!».

ردّد قلب النار: «النجم نمرود!». أخيراً، اتّضح له كلّ شيء. لهذا
السبب وجد الرائحة العالقة على النباتات مألوفة جداً، هذا لأنّها رائحة
النجم نمرود. ماء بإلحاح: «هل أنت واثقة؟ لقد ذهب النمر الشرس إلى
أراضي عشيرة الظلال».

صاحت جمرة: «عشيرة الظلال ليست المسؤولة عن ذلك، بل
النجم نمرود وعصبته من المحاربين! أنا مداوية عشيرة الظلال، وكنت
موجودة عند ولادتهم. أعرف رائحتهم مثلما أعرف رائحتي». صمتت
قليلاً ثم أضافت: «عليكم إيجاد النمر الشرس وإيقافه، وإلا فسيرتكب
خطأ لا يغتفر!».

أخذت الدماء تضحّ في أذني قلب النار إلى أن شعر بالدوار. ماذا
سيفعل الآن؟ ماء وهو يلهث: «لكنني المحارب الوحيد الذي بقي في
المخيم! ماذا لو هجم النجم نمرود على المخيم في غيابي؟ لقد فعل
ذلك من قبل، وربما ترك العظام كفتحٍ لكي يبقى مخيمنا بلا حراسة».
توسّلت إليه جمرة: «يجب عليك إخبار النمر الشرس قبل أن...».
لكنّه هزّ رأسه قائلاً: «لا يمكنني ترككم جميعاً بمفردكم».

هست جمره: «إذاً، أنا سأذهب!».

فمات بسّة الرمال: «كلّا! بل أنا سأذهب!».

أحسن قلب النار بالحيرة وهو ينظر إليهما. لم يكن يستطيع إرسال أيّ منهما، وذلك لأنّ قوّتهما وخبرتهما ضرورية هنا لحماية العشيرة. لكنّ جمره على حقّ؛ لا ينبغي إراقة دماء بريئة. فالنجم نمروود هو الذي اقتحم أرضهم، ولا ذنب لعشيرة الظلال في ذلك. عليه إرسال هرّ آخر. أغمض عينيه وفكر جيّداً، وسرعان ما خطر الجواب في باله. هست قائلاً وهو يفتح عينيه: «بسّ أشقر!».

خرج الهرّ الشاب من وكره وأتى إليه، وسأله وهو يرفّ عينيه لينفض عنهما النعاس: «ما الأمر؟».

«أريد إرسالك في مهمّة عاجلة».

نفض المبتدئ فراءه، ووقف بكامل استعدادده. «حاضر يا قلب النار».

«أريدك أن تعثر على النمر الشرس. فقد خرج مع فرقة بحثاً عن دورية لعشيرة الظلال. أوقفه وأخبره أنّ النجم نمروود هو الذي يقتحم أرضنا!». اتّسعت عينا بسّ أشقر خوفاً، لكنّ قلب النار تابع قائلاً: «قد تضطر لعبور درب الرعد. أعرف أنّك لم تتدرب على ذلك بعد...». تلاحقت صور جسد بسّة الرماد المحطّم في ذهنه، لكنّه أبعدّها وركّز نظره على عينيّ بسّ أشقر، وكرّر قائلاً: «عليك إيجاد النمر الشرس وإلاّ فستندلع حرب بين العشائر عبثاً!».

هرّ المبتدئ المخطّط رأسه موافقاً، وبدا الهدوء والتصميم في عينيه، ووعدّه قائلاً: «سأعثر عليه».

مدّ قلب النار رأسه لملامسة جسد بسّ أشقر بأنفه وتمتم قائلاً:

«رافقتك السلامة».

استدار بسّ أشقر وأسرع يجري عبر نفق القندول، فراقبه وهو يرحل، وجاهد للحفاظ على هدوئه. بسّة الرماد... درب الرعد... ظلت الصور تتلاحق في ذهنه. أخيراً، هزّ رأسه وقرّر أنّ الوقت غير مناسب للقلق. فإن كان النجم نمرود في أراضي عشيرة الرعد، فعلى المخيم الاستعداد للهجوم.

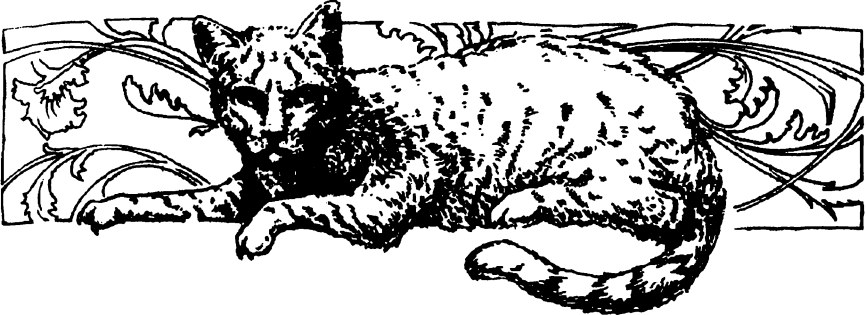
خرج بسّ أغبر من وكر المبتدئين وسألهم: «ماذا يجري؟». فنظر إليه قلب النار، ثمّ ذهب إلى طرف الفسحة وتسلق الصخرة العالية. بدت الفسحة بعيدة تحت أكفّه المرتجفة. ازدرد لعبابه وبدأ بإطلاق النداء المعتاد: «كلّ القطط القادرة على...». لكنّ الجملة كانت طويلة جداً! فمأ بالباح: «المخيم في خطر، تعالوا حالاً!».

خرج المسنّون والإناث من أوكارهم، يتبعهم الصغار، ونظروا بحيرة عندما رأوا قلب النار على قمة الصخرة العالية. خرجت بسّة الرماد من نفق الخنشار وهي تعرج، ونظرت إلى قلب النار بعينين برّاقتين. وعندما رآها قلب النار، توقّف المخيم فجأة عن التمايل تحته. سألت عوراء، أكبر قطط العشيرة: «ماذا يجري؟ ماذا تظنّ نفسك فاعلاً هناك؟».

فلم يتردّد قلب النار في الإجابة. «لقد عاد النجم نمرود، وقد يكون في أراضي العشيرة الآن. خرج كلّ محاربينا من المخيم، وإن هاجمنا فعلياً أن نكون مستعدين. فليختبئ الصغار والمسنّون في الحضانة. أمّا البقية، فعليكم الاستعداد للقتال...».

علا مواء مخيف من مدخل المخيم وقطع على قلب النار خطابه، وسرعان ما دخل المخيم هرّ بنيّ مخطّط ذو فراء مرقط وأذنين ممزقتين.

كان ذيله المنفوش ملتوياً في الوسط مثل غصن مكسور.
هتف قلب النار: «النجم نمرود!». واستلّ مخالفه تلقائياً، في حين
انتصب فراء جسده بأكمله.
تبعه أربعة محاربين والشرر يتطاير من أعينهم.
هسّ النجم نمرود وكشّر عن أنيابه قائلاً: «إذاً، أنت المحارب
الوحيد الذي بقي هنا! سيكون الأمر أسهل ممّا ظننت!».



الفصل 26



اندفعت كل من جمرة وبس أغبر وبسة الرمال إلى الأمام وشكلوا صفّاً دفاعياً، بينما اصطفت هرر الحضانة خلفهم. رأى قلب النار بسة الرماد تتقدّم وهي تعرج للانضمام إليهم، لكنّ بس أغبر بصق بغضب في وجه الهرة الرمادية الصغيرة وهي تقترب، فتراجعت بارتباك خافضة أذنيها وعادت إلى وكر جمرة.

حمل المسنون الصغار، ووضعوهم في الحضانة، ثم أقحموا أنفسهم خلفهم. وحملت عين الزمرد بسبوس الغمام بفكيها ودفعته إلى الداخل بعدهم. ثم ضغطت على نباتات العليق بأكفها متجاهلة الأشواك الحادة، وغطت المدخل قبل أن تستدير للانضمام إلى بقية العشيرة في الفسحة.

هبط قلب النار من أعلى الصخرة واندفع إلى جانب جمرة، وقوس ظهره وهسّ في وجه النجم نمرود: «لقد خسرت في المرة الماضية التي تعاركنا فيها، وستخسر مجدداً!».

ردّ النجم نمرود: «أبداً! ربّما سلبتني عشيرتي، ولكنك لا تستطيع قتلي، فأنا أملك أرواحاً أكثر منك!».

زمجر قلب النار: «إنّ روحاً واحدة من أرواح عشيرة الرعد تساوي

عشرة أرواح من أرواحكم!». ثم أطلق صرخة حرب قبل أن يشتعل القتال في الفسحة.

انقضّ قلب النار مباشرة على النجم نمرود، وأنشَب مخالبه في الهَرّ البَنّي المخطّط. يبدو أنّ عيشة الخارجين عن القانون كانت قاسية على زعيم العشيرة السابق، إذ شعر بأضلاع الهَرّ الأجرب تحت فرائه. لكنّ النجم نمرود لا يزال قوياً؛ فقد استدار وعرّز أسنانه في قائمة قلب النار الخلفية. صاح هذا الأخير وهَسَ غاضباً، ولكنه لم يفلت قبضته. كافح النجم نمرود ليفلت منه، وحاول التشبّث بالأرض الجليدية بأكفّه، فأحسّ قلب النار أنّ مخالبه تنزلق على طول جسد الهَرّ النحيل بينما كان هذا الأخير يحزّر نفسه. لحق به، ولكنه أحسّ بمخالب أخرى تنقضّ على قائمته الخلفية. فنظر إلى الخلف، ورأى نمس يحدّق إليه بعينين مزومتين وساخرتين.

نظر قلب النار إلى الخلف غير مصدّق، فهو لم يتوقّع رؤية هذا الهَرّ مجدّداً. ونسي أمر النجم نمرود فوراً عندما تذكر أنّ نمس هو من قتل الورقة الرقطاء منذ ستّة أشهر خلت. فقد قتل مداوية عشيرة الرعد بدم بارد لكي يتمكّن النجم نمرود من خطف صغار بياض الثلج. أخذت دماء الغضب تضجّ في أذنيه. وعندما استدار وألقى بنفسه على الهَرّ البَنّي الهزيل، لمح فراء الهَرّة الرقطاء من زاوية عينه، وأحسّ برائحها الحلوة في سقف حلقه؛ شعر بوجودها إلى جانبه. لا شكّ في أنّها أتت لمساعدته على الانتقام لموتها.

بالكاد أحسّ قلب النار بالألم في ساقه وهو يحزّرها من قبضة نمس وينقضّ عليه. تراجع الهَرّ، ولوّح بكفّيه الأماميين العريضين، فخدشت مخالبه الحادة كالأشواك ما خلف أذن قلب النار. أحسّ هذا الأخير

بألم مبرح وترنّح، وسرعان ما انقضّ عليه نمس وسمّره على الأرض،
ثم غرز أسنانه في مؤخر عنقه.

صاح قلب النار بألم: «ساعديني أيتها الورقة الرقطاء! لا يمكنني
التحرّز بنفسِي!».

فجأة، انترع الثقل عن ظهره، فهبّ واقفاً واستدار، ورأى أمامه النمر
الرمادي! كان صديقه واقفاً بلا حراك وقد امتلأت عيناه بالرعب، بينما
تدلّى نمس من بين فكّيه. فتح النمر الرمادي فمه، فسقط الهَرّ الشريد
على الأرض جثة هامدة.

تقدّم قلب النار خطوة إلى الأمام وقال: «هو الذي قتل الورقة
الرقطاء أيتها النمر الرمادي!». لم يكن الوقت مناسباً للندم، وسأله بإلحاح:
«هل نجمة الصباح معك؟».

فهزّ النمر الرمادي رأسه نافياً وأجاب: «أرسلتني لإحضار النمر
الشرس. فقد وجدت عظاماً وعرفت رائحة النجم نمروء، فخمّنت أنّه
من يقود القطط المنبوذة».

علا هسيس بجوارهما، واصطدم هَرّان بقلب النار، فقفز مبتعداً.
كانت بياض الثلج تتعارك مع أحد المهاجمين. قاتلت الهزة خاطفي
صغارها بضراوة، وومض الحقد في عينيها وهي تصارع، فبقي قلب
النار بعيداً لأنّها لم تكن بحاجة إلى مساعدته. بعد لحظة، فرّ المحارب
المنبوذ هارباً عبر سياج المخيم.

وحين همّت بياض الثلج باللاحاق به، ناداها قلب النار قائلاً: «لقد
لقنّته درساً لن ينساه!». وقفت بجانب سياج السرخس واستدارت وهي
تلهث. كان فراؤها الأبيض ملطّخاً بدماء عدوّها.

مرّ هَرّ منبوذ آخر من أمام قلب النار متّجهاً إلى سياج المخيم،

فتبعه بسّ أغبر وتمكّن من إصابة الهزّ المخطّط بعضّة شرسة قبل أن يطرده من المخيم. قال قلب النار في سره: لم يتبقّ سوى النجم نمرود ومحارب واحد.

كانت بسّة الرمال قد سمّرت المحارب المنبوذ على الأرض، فتمدّد بلا حراك. تذكّر قلب النار حيلته المفضّلة بجعل عدوّه يعتقد أنّه انتصر عليه، وقال في سرّه: احتوسي! غير أنّ بسّة الرمال لم تنخدع. فعندما قفز الهزّ واقفاً، كانت مستعدّة له. ابتعدت عنه، ثمّ انقضّت عليه، وأمسكته بأكفّها، قبل أن تقلبه وتخدش بطنه بمخالبها. ولم تفلته إلّا عندما أطلق صريراً مثل هزّ صغير، ليفزّ هارباً من مدخل المخيم وهو يموء ألماً. خيم سكّون مخيف للحظة، وقفت فيه قطط عشيرة الرعد تحدّق بصمت إلى الدماء والفراء المتناثر في أرجاء الفسحة التي توسّطتها جثّة نمس.

أين النجم نمرود؟ استدار قلب النار ونظر إلى أرجاء المخيم. هل اقتحم الحضانة يا ترى؟ كان على وشك أن يسرع إلى وكر العليق عندما مزّقت السكّون صيحة مدويّة آتية من وكر جمرة، فانطلق قلب النار فوراً إلى نفق الخنشار. إنّها بسّة الرماد! دخل الوكر مسرعاً وتوقّع رؤية الأسوأ. لكنه عوضاً عن ذلك رأى النجم نمرود مكوراً على الأرض، والهزّة المداوية فوقه.

كانت عينا النجم نمرود مغمضتين وداميتين. رأى جسده يعلو مرّة قبل أن يتوقّف عن الحراك، فأدرك من السكّون العميق الذي ساد جسد المحارب المنبوذ أنّه يخسر إحدى أرواحه.

كانت مخالب جمرة تلمع بالدماء الأرجوانية، فيما تشنّج وجهها ولمعت عيناها غضباً.

فجأة، شهِق النجم نمرود وعاد يتنفس مجدداً. انتظر قلب النار أن تنقض عليه جمرة بعضة قاتلة أخرى، غير أنها ترددت. ولم ينهض الهزّ الجريح.

اقترب قلب النار من الهزة المداوية وسألها: «هل هذه روحه الأخيرة؟ لماذا لم تقضي عليه؟ لقد قتل أباه، وطرده من العشيرة، وحاول قتلك».

أجابته بصوت خشن: «ليست روحه الأخيرة. وحتى لو كانت كذلك، فلن أقتله».

«ولم لا؟ ستقدّر عشيرة النجوم معروفك». لم يصدق ما سمعه، إذ لطالما أثار اسم النجم نمرود غضب هذه الهزة العجوز.

أبعدت جمرة نظرها عن الهزّ المصاب، ثم نظرت إلى قلب النار، وخيم الألم والحزن على عينيها وهي تتمتم: «لأنه ابني».

أحسّ قلب النار أن الأرض تميل تحت أكفّه، وقال على الفور: «لكن، لا يسمح للقطط المداوية بالإنجاب».

«أعرف. وأنا لم أكن أنوي الإنجاب، غير أنني أغرمت بالنجم الأشعث». كان صوتها مثقلاً بالحزن. فجأة، تذكر المعركة التي طرد فيها النجم نمرود من مخيم عشيرة الظلال. فقبل أن يهرب، قال الزعيم المستبدّ لجمرة إنه قتل أباه. والآن فهم قلب النار لماذا دمّرها ذلك الخبر.

تابعت جمرة: «حملت بثلاثة صغار، لم يعيش منهم سوى النجم نمرود، فأعطيته لإحدى قطط الحضانة في عشيرة الظلال لكي تربيّه كابن لها. فكّرت يومذاك أنّ خسارة اثنين من صغاري كان عقاباً لي من عشيرة النجوم على خرق قانون المحاربين. غير أنني كنت مخطئة، فعقابي لم

يكن بالصغيرين اللذين خسرتهما، بل بهذا الذي بقي على قيد الحياة!». ونظرت باشمزاز إلى جسد النجم نمرود النازف. «والآن، لا أستطيع قتله. عليّ أن أقبل بمصيري».

ترنّحت، فظنّ قلب النار أنّها على وشك الانهيار. أسند جسدها بجسده وهمس قائلاً: «هل يعرف أنّك أمّه؟». هزّت جمرة رأسها نافية.

بدأ النجم نمرود يموء على نحو مثير للشفقة. «أنا لا أرى شيئاً!». في تلك اللحظة، أدرك قلب النار مذعوراً أنّ عينيّ الهزّ الشريد تضرّرتا على نحو نهائيّ.

اقترب منه بحذر بينما كان ممدّداً بسكون، ووكزه بكفه الأمامي، فصدر عنه أنين آخر. «لا تقتلني». فتراجع قلب النار، وأحسّ بالنفور من خوف المحارب.

أخذت جمرة نفساً عميقاً وقالت: «أنا سأهتّم به». ثم ذهبت إلى ابنها الجريح وأمسكته من عنقه، وقامت بجزّه إلى الفراش الذي غادره كشكول.

تركها قلب النار وذهب للاطمئنان على بسّة الرماد، فلمح شكلاً داكناً يتحرّك داخل شقّ الصخرة التي تنام فيها جمرة، فناداها قائلاً: «بسّة الرماد».

أطلّت الهرة برأسها.

سألها: «هل أنت بخير؟».

أجابته هامسة: «هل رحلت القطط الشريدة؟».

«أجل، باستثناء النجم نمرود، فإصابته بالغة، وجمرة تعتني به». توقّع أن تعبّر بسّة الرماد عن صدمتها، ولكنها اكتفت بهزّ رأسها ببطء

وحدّقت إلى الأرض.

كرّر: «هل أنت بخير؟».

قالت بصوت مليء بالخجل: «كان ينبغي أن أقاتل إلى جانبكم».
«لو فعلت، لقتلت!».

«هذا ما قاله بسّ أغبر. ولذلك طلب منّي الذهاب والاختباء مع الصغار». كانت عينا الهرة الصغيرة مليئتين باليأس. «لكنني ما كنت سأمانع لو قتلت، فما الفائدة منّي وأنا بهذه الحال؟ أنا مجرد عبء على هذه العشيرة».

أحسّ قلب النار بالألم، ففكّر بكلام يواسيها به، لكن قبل أن يقول شيئاً، علا مواء جمرة من أجمة السرخس.

قالت: «بسّة الرماد، أحضري لي بعض خيوط العنكبوت حالاً!». فاستدارت بسّة الرماد على الفور واختفت داخل الصخرة، ثمّ عادت بعد لحظة وقد لفّت على كفّها كرة من خيوط العنكبوت. ذهبت بأقصى سرعة ممكنة إلى جمرة ووضعت خيوط العنكبوت على الفراش.
«والآن، أحضري لي بعضاً من جذور السنفيتون».

عادت وهي تعرج إلى الصخرة، فاستدار قلب النار ليرحل. لم يعد لديه ما يفعله هنا، ولذلك خرج ليطمئن على بقيّة قطط العشيرة.

لم تكن القطط قد تحرّكت من الفسحة. ذهب مباشرة إلى بسّ أغبر وقال: «تركت جمرة تعتني بجراح النجم نمروود، وبسّة الرماد تساعدنا». تجاهل شهقة الاستغراب التي صدرت عن بسّ أغبر وتابع أمراً: «اذهب واحرسه». فأسرع بسّ أغبر نحو النفق واختفى في الداخل.

ذهب قلب النار إلى النمر الرمادي. كان المحارب لا يزال يحدّق إلى جثّة نمس، فتمتم قائلاً: «لقد أنقذت حياتي، شكراً لك».

نظر إليه النمر الرمادي وأجاب ببساطة: «أنا أفديك بروحي». اختنق قلب النار من شدة الصدمة، وظلّ يحدّق إلى صديقه الذي استدار ومشى مبتعداً. ربّما لم تنته صداقتهما في النهاية. سُمع وقع أكفّ عبر نفق القندول، فخرج قلب النار من شروده. دخلت نجمة الصباح مسرعة، يتبعها النمر الذئال وبسّ رشيق. فأحسّ بالارتياح عندما رأى زعيمة العشيرة. نظرت إلى أرجاء الفسحة الملطّخة بالدماء، واتّسعت عيناها ذعراً إلى أن استقرّ نظرها على جثة نمس. ماتت متسائلة: «هل هاجمكم النجم نمرود؟». هزّ قلب النار رأسه.

«هل مات؟».

أجبر قلب النار نفسه على الإجابة على الرغم من تعبه: «إنّه مع جمرة. فقد أصيب... في عينيه». «وماذا عن بقيّة المحاربين المنبوذين؟». «لقد طردناهم».

سألته نجمة الصباح وهي تنظر مجدّداً حولها: «هل أصيب أحد من عشيرتنا؟». هزّت الققط رؤوسها نافية، فماتت نجمة الصباح: «هذا جيّد. بسّة الرمال، بسّ رشيق، احملا هذه الجثة إلى خارج المخيم وادفنها. لا ضرورة لحضور أحد من المسّنين، فالمحاربون المنبوذون لا يستحقّون شرف الدفن بحسب مراسم عشيرة النجوم». بدأ بسّ رشيق وبسّة الرمال يجرّان نمس عبر النفق. سألته نجمة الصباح: «هل المسنّون بخير؟».

أجابها: «إنّهم في الحضانة». وبينما كان يتحدّث، سُمع حفيف أغصان العليق، وظهر الذيل الأتر يتبعه الصغار وبقيّة المسنّين. رأى

قلب النار كيف خرج بسبوس الغمام وبدأ يجري بحماسة في أرجاء
الفسحة نحو عين الزمرد التي استقبلته بلعقة سريعة، ثم استدار الصغير
لمشاهدة جثة نمس وهي تختفي عبر النفق.

سأل بفضول: «هل مات؟ هل يمكنني الذهاب لرؤيته؟».

همست عين الزمرد وهي تلف ذيلها حوله: «هس».

سألت نجمة الصباح: «أين النمر الشرس؟».

أجاب قلب النار: «لقد خرج مع فرقة لشن هجوم على دورية عشيرة
الظلال. فقد عثرنا على عظام خلال دوريتنا، وكانت تفوح منها رائحة
عشيرة الظلال، فقرّر النمر الشرس شن هجومه. غير أنني أرسلت بس
أشقر لإيقافه عندما اكتشفت جمرة أنّ الرائحة تعود إلى النجم نمرود».
مألت نجمة الصباح وقد ضاقت عيناها: «بس أشقر! مع أنّه قد
يضطر إلى اجتياز درب الرعد!».

«كنت المحارب الوحيد في المخيم، ولم أستطع إرسال هر آخر».
هزت رأسها بتفهم، وتبدد القلق من عينيها، ومألت قائلة: «لم تشأ
أن تترك المخيم بلا حراسة. أحسنت فعلاً يا قلب النار. أعتقد أنّ النجم
نمرود تعمّد إخراج محاربينا من المخيم، فقد وجدنا عظماً نحن أيضاً».
«أخبرني النمر الرمادي بذلك». وبحث حوله عن صديقه، ولكنه
لم يجده.

أمرته نجمة الصباح: «أرسل إليّ جمرة عندما تنتهي من تضييد
جراح النجم نمرود». ورفعت أذنيها عندما سمعت وقع أكف أخرى
في نفق القندول، ثم دخل النمر الشرس مسرعاً، يتبعه الرعب الأبيض
وبقية الفرقة الغازية. أمال قلب النار عنقه، وبحث بين المحاربين إلى أن
رأى بس أشقر خلفهم. بدا الهر الصغير منهكاً ولكنه على خير ما يرام،

فتنفس قلب النار الصعداء.

سألت نجمة الصباح وهي تقترب من نائبها: «هل وصل إليكم بسّ أشقر قبل أن تعثروا على دورية؟».

أجابها النمر الشرس: «لم نكن قد دخلنا أراضيهم حتى، بل كنا على وشك أن نجتاز درب الرعد». وزمّ عينيه متسائلاً: «هل يدفنان نمس؟».

هزّت نجمة الصباح رأسها.

ماء النائب: «إذاً، كان بسّ أشقر على حق. لقد خطّط النجم نمروود للهجوم على المخيم. هل مات هو الآخر؟».

«كلاً، جمرّة تداويه».

هتفت الفأرة السمراء: «قطعاً لا!». وتبادلت نظرة مع البرق الخاطف الواقف إلى جانبها.

تجهّم وجه النمر الشرس. «تداويه! علينا قتله، وليس إضاعة الوقت في علاجه!».

ماءت نجمة الصباح بهدوء: «سنناقش هذه المسألة بعدما أتحدّث مع جمرّة».

خرجت جمرّة إلى الفسحة وقد بدا عليها الإنهاك. «يمكنك مناقشة ذلك معي حالاً يا نجمة الصباح».

دمدم النمر الشرس، ولمعت عيناه العنبريتان غضباً: «هل تركت النجم نمروود بمفرده؟».

رفعت جمرّة رأسها ونظرت إلى المحارب الأسمر. «بسّ أغبر يحرسه، كما أنّني أعطيته بذور الخشخاش، ولذلك سينام لبعض الوقت. لقد فقد النجم نمروود بصره أيّها النمر الشرس، ولن يحاول الهرب.

سيموت جوعاً خلال أسبوع؛ هذا إن لم يقتله ثعلب أو سرب من الغربان أولاً».

زمجر النائب: «حسناً، هذا يسهّل علينا الأمور، ولن نضطر إلى قتله بأنفسنا. يمكننا أن نترك الغابة تتولى أمره».

استدارت جمرة إلى نجمة الصباح وماءت قائلة: «لا يمكننا أن نتركه يموت».

«ولماذا؟».

أمسك قلب النار أنفاسه وهو يراقب نظرات الزعيمة تنتقل من جمرة إلى النمر الشرس وتستقرّ عليها مجدّداً. وتساءل عما إذا كانت الهرة العجوز ستخبر زعيمة العشيرة أنّ النجم نمرود ابنها. أجابت جمرة بهدوء: «إن فعلنا فلن نكون أفضل منه». انتفض ذيل النمر الشرس غضباً.

ماءت نجمة الصباح قبل أن يجد نائبها الفرصة للكلام: «ما رأيك أيها الرعب الأبيض؟».

فكر الرعب الأبيض وأجاب: «صحيح أنّه سيكون عبئاً على عشيرتنا، لكنّ جمرة على حق؛ إن طردناه إلى الغابة، أو قتلناه بدم بارد، فستعرف عشيرة النجوم أنّنا انحططنا إلى مستواه».

اقتربت عوراء وماءت بصوتها العجوز المبحوح: «نجمة الصباح، سبق لنا في الماضي أن احتفظنا بأسرى لأشهر عديدة، ويمكننا أن نفعل ذلك مجدّداً». فتذكّر قلب النار أنّ جمرة نفسها كانت أسيرة عندما أتت إلى المخيم. وتوقع أن تذكّر الهرة المداوية زعيمة العشيرة بذلك، إلّا أنّها لم تقل شيئاً.

لمعت عينا النمر الشرس غضباً وسأل زعيمته: «إذاً، هل تفكرين

حقاً بإبقاء هذا المنبوذ في مخيمنا؟». للحظة، شعر قلب النار أنه يوافق المحارب الأسمر الرأي. فصحيح أن فكرة قتل النجم نمرود لا تروق له- لا سيّما وأنه يعرف أكثر من أيّ هزّ آخر ما يعنيه ذلك بالنسبة إلى جمرة- إلا أن الهزّ المنبوذ عدوّ مرعب، حتّى وهو فاقد للبصر. وبقاؤه في المخيم سيكون صعباً وخطراً على كلّ أفراد العشيرة.

سألت نجمة الصباح الهزّة المداوية: «أهو أعمى حقاً؟».

«أجل».

«وهل يعاني من إصابات أخرى؟».

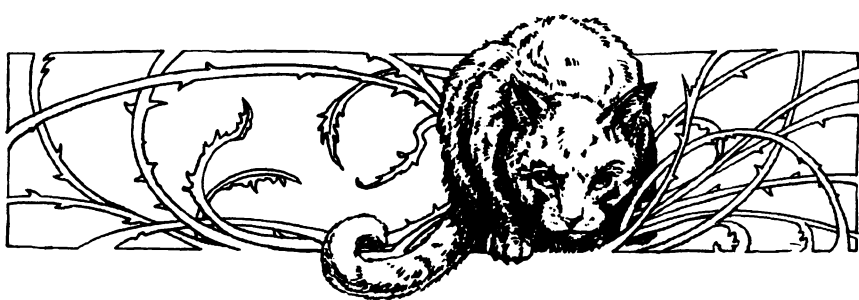
أجاب قلب النار: «لقد سيّبت له جروحاً بليغة». ونظر إلى جمرة، وأحسّ بالارتياح عندما خفضت الهزّة رأسها قليلاً، فعرف أنها سامحته على إيذائه ابنها.

سألتها نجمة الصباح: «وكم سيستغرق شفاؤه؟».

«شهرًا تقريباً».

«إذًا، بإمكانك رعايته حتّى ذلك الوقت. بعد ذلك، سنناقش مستقبله مجدّدًا. وحتّى ذلك الحين، سيعرف باسم الذيل النمرود، وليس النجم نمرود. فصحيح أننا لا نستطيع سلب هذا الهزّ الأرواح التي منحته إيّاها عشيرة النجوم، إلاّ أنه لم يعد زعيم عشيرة». ونظرت نجمة الصباح إلى النمر الشرس الذي انتفض ذيله متسائلة، ولكنّه لم يقل شيئاً.

«لقد اتّخذ القرار، سيبقى».



الفصل 27



ذهب قلب النار وهو يعرج إلى أجمة القَراض وبدأ يلحق جراحه. فقد قرّر الذهاب لرؤية جمرة لاحقاً، بعد أن تنتهي من تضميد جراح بقيّة القطط.

ألقت أشعة الشمس الغاربة ظلالاً طويلة على الفسحة. كان النمر الذئال قد تولّى مهمّة الحراسة عوضاً عن بسّ أغبر، بينما اصطحب النمر الشرس بقيّة فرقته الغازية التي سلّمت من الهجوم بحثاً عن صيد طازج. قرقرت معدة قلب النار، ورفع نظره عندما سمع وقع أكفّ في النفق، فرأى بسّة الرمال وبسّ رشيق عائدَين من مهمّة الدفن.

توجّه الهزّان إلى نجمة الصباح التي كانت جالسة تحت الصخرة العالية مع الرعب الأبيض. فوق قلب النار وذهب للانضمام إليهم. حرّك ذيله في إشارة إلى بسّ أغبر الذي كان يلحق جراحه بجانب جذع الشجرة المقطوعة. فرماه بنظرة شكّ، ولكنه نهض متعباً وتبعه.

مادت بسّة الرمال: «لقد دفنّا نمس».

أجابت نجمة الصباح: «شكراً لك». نظرت زعيمة العشيرة إلى بسّ رشيق وقالت له: «يمكنك الذهاب». فخفض المبتدئ الأبيض والأسود رأسه وتوجّه إلى وكره.

أشار قلب النار مجدّداً إلى بسّ أغبر ليقترّب، فزَمَ المبتدئ المخطّط عينيّه، وأتى ليقف إلى جانب بسّة الرمال.

قال قلب النار بترّد: «نجمة الصباح، لقد قاتل كلّ من بسّة الرمال وبسّ أغبر مثل المحاربين عندما هاجمنا الذيل النمروء. ولولا قوّتهما وشجاعتهما لواجهنا متاعب أكبر». حملق بسّ أغبر بدهشة، بينما خفضت بسّة الرمال رأسها إلى الأسفل وهو يتكلّم.

تصاعدت خرخرة من صدر الرعب الأبيض وماء قائلاً لتلميذته: «ليس من عادتك الخجل». فاهتزّت أذنا بسّة الرمال بارتباك وقالت: «قلب النار هو الذي أنقذ العشيرة. فهو من أنذر ققط المخيم، وهكذا استطعنا الاستعداد لهجوم الذيل النمروء».

كان قلب النار هو الذي شعر بالإحراج هذه المرّة، فاستراح عندما دخل النمر الشرس وفرقه في تلك اللحظة حاملين الكثير من الفرائس. هزّت نجمة الصباح رأسها للنمر الشرس، ثمّ التفتت إلى بسّ أغبر وبسّة الرمال. «أنا أفخر بوجود محاربين شجاعين مثلكما في عشيرة الرعد، وقد حان الوقت لثمنحنا اسمي محاربين. سنقيم احتفال التسمية الآن، خلال غروب الشمس، ومن ثمّ سنأكل».

نظرت بسّة الرمال وبسّ أغبر إلى بعضهما بحماسة، بينما رفع قلب النار رأسه وخرخر بسرور. نادى نجمة الصباح العشيرة، وتعاضم سرور قلب النار عندما رأى النمر الرمادي يخرج من وكر المحاربين. يبدو أنّه لم يغادر المخيم كما كان يظنّ.

اجتمعت العشيرة حول الفسحة. جلس المسنون وإناث الحضانة مع المبتدئين والصغار في جهة، وانتظر قلب النار مع بقيّة المحاربين في الجهة الأخرى. نظر إلى بسبوس الغمام الملتصق بعين الزمرد. كانت

عينا الصغير تلمعان بحماسة، فأحس بالفخر لأن ابن أخته يراه جالساً مع محاربي العشيرة. وقفت نجمة الصباح في الوسط مع بسّة الرمال وبسّ أغبر.

توهّج قوس الشمس الأخير بلون وردي في الأفق. وانتظرت العشيرة بصمت حتّى توارى عن الأنظار؛ مخلفاً سماء داكنة ومرصعة بالنجوم.

نظرت زعيمة العشيرة إلى الأعلى، وركّزت عينيها على النجمة الأكثر بريقاً في الفراء الفضّي. «أنا نجمة الصباح، زعيمة عشيرة الرعد، أدعو أجدادي المحاربين للنظر إلى هذين المبتدئين. فقد تدربا بجهد لفهم تقاليد قانوننا النبيل، وأرى أنهما باتا يستحقّان لقب محاربين بدورهما». ونظرت إلى الهزّين الشابين الواقفين أمامها وتابعت: «بسّة الرمال، بسّ أغبر، هل تعدان باحترام قانون المحاربين وحماية هذه العشيرة والدفاع عنها حتّى لو كلّفكما ذلك حياتكما؟».

نظرت إليها بسّة الرمال بعينين برّاقتين وأجابت: «أجل».

وردّد بسّ أغبر بصوت قوي ومنخفض: «أجل».

«إذاً، بالسلطة التي منحتني إياها عشيرة النجوم أمنحكما اسمي محاربين. بسّة الرمال، منذ هذه اللحظة فصاعداً، سيصبح اسمك عاصفة الرمال. عشيرة النجوم تقدّر شجاعتك وحماستك، ونحن نرحّب بك كمحاربة في عشيرة الرعد». وتقدّمت نجمة الصباح، ولا مست خطمها برأس عاصفة الرمال المنحني.

لعلقت عاصفة الرمال كتف نجمة الصباح باحترام قبل أن تستدير وتذهب إلى الرعب الأبيض. راقبها قلب النار وهي تنظر إلى مدرّبها بفخر، وتجلس إلى جانبه في مكانها الجديد مع المحاربين.

التفتت نجمة الصباح إلى الهَرّ المخطّط البَنّي وقالت: «بَسْ أغبر، منذ هذه اللحظة فصاعداً سيصبح اسمك الفراء الأغبر. عشيرة النجوم تقدّر شجاعتك واستقامتك، ونحن نرحّب بك كمحارب في عشيرة الرعد». ولامست رأسه بخطمها، فلحق هو أيضاً كتفها باحترام قبل أن ينضمّ إلى بقية المحاربين.

علا هتاف العشيرة التي خرجت أنفاسها في سحب بيضاء في هواء الليل البارد. وراحت القطط تردّد بصوت واحد اسمي المحاربين: «عاصفة الرمال! الفراء الأغبر! عاصفة الرمال! الفراء الأغبر!».

مادت نجمة الصباح بصوت عالٍ: «تماشياً مع عادات أجدادنا، ينبغي على عاصفة الرمال والفراء الأغبر أن يسهرا بصمت حتّى الفجر، وأن يحرسا المخيم بمفردهما خلال نومنا. لكن قبل أن يبدأ، ستشارك العشيرة وجبة. لقد كان يوماً طويلاً، ولدينا سبب لنفتخر بهذين الهَرّين اللذين دافعا عن مخيمنا ضدّ القطط المنبوذة. قلب النار، عشيرة النجوم تشكرك على شجاعتك. أنت محارب عظيم، وأنا فخورة بكونك فرداً في عشيرتي».

هتفت القطط مجدّداً، وخرخر قلب النار مسروراً وهو ينظر إلى عشيرته. وحدهما النمر الشرس والفراء الأغبر رمقاه بعدائية، ولكنّه لم يكثرث هذه المَرّة. فقد أثنت عليه نجمة الصباح، وهذا يكفي.

تقدّمت القطط تبعاً لأخذ بعض الطعام الذي اصطادته فرقة النمر الشرس. فذهب قلب النار إلى عاصفة الرمال وماء بيهجة: «يمكننا تناول الطعام معاً كمحاربين هذه الليلة». ثمّ أضاف: «هذا إن لم يكن لديك مانع». فخرخرت الهَرّة بفرح، وشعر قلب النار بالسرور.

نادته وهو يذهب إلى كومة الصيد: «اختر لي شيئاً، فأنا أتصوّر

جوعاً!..

اختار لها قلب النار فأراً بدا له سميناً على نحو مغرٍ في هذا الوقت المتأخر من فصل الثلوج، وأخذ لنفسه طائر قرقف، ثم استدار حاملاً الطعام. غير أنه أجفل عندما رأى أن الفراء الأغبر والرعب الأبيض والنمر الأسود انضموا إليها. كان غباء منه أن يتوقع تناوله الطعام معها بمفردهما. فهذا احتفال للعشيرة بأكملها.

في تلك اللحظة، تذكر بسّة الرماد، فبحث عنها ولاحظ أنه لم يرها خلال احتفال التسمية. لا بدّ أنها في فسحة جمرة. ذهب ووضع الطعام بجانب عاصفة الرمال، ثم ماء قائلاً: «سأرجع في خمس وثبات أرنب، فأنا أريد أن آخذ شيئاً لبسة الرماد».

هزت عاصفة الرمال كتفيها مجيبة: «بكل تأكيد».

أخذ فأر حقول من كومة الطرائد وحمله عبر الفسحة. فوجئ برؤية جمرة جالسة في وكرها. لا بدّ أنها عادت إلى هناك فوراً بعد احتفال التسمية بما أنها كانت حاضرة.

قالت متذمّرة وهي ترى قلب النار يقترب: «أمل ألا تكون قد أحضرت هذا الطعام لي، فقد سبق لي أن تناولت حصّتي».

وضع الفأر على الأرض مجيباً: «أحضرت له لبسة الرماد. فكّرت أنها قد ترغب في تناول شيء بما أنها لم تحضر الاحتفال».

«أعطيتها بعضاً من لحم الفئران، لكن يمكنك أن تقدّم لها هذا أيضاً».

نظر قلب النار إلى أرجاء الفسحة المظلمة بالخنشار. كان فراء النجم نمرود البني يظهر من بين الأغصان المحيطة بفراش كشكول القديم، غير أن المحارب لم يكن يتحرك.

«لا يزال نائماً». كانت نبرة جمرة باردة، إذ تحدّثت بصوت هزة مداوية وليس بصوت أمّ. أحسّ قلب النار بالارتياح رغماً عنه، فقد أراد الاعتقاد أنّ ولاء جمرة ما زال لعشيرة الرعد. حمل الفأر وأخذه إلى فراش بسّة الرماد، ثمّ ماء بصوت خافت: «مرحباً يا بسّة الرماد».

تحركت الهزة الرمادية ونهضت جالسة. «قلب النار». دخل بين الأغصان، وجلس في المجال الضيق إلى جانبها. وضع فأر الحقول أمام كفّيه وماء قائلاً: «أحضرت لك هذا. عليك أن تعرفي أنّ جمرة ليست الوحيدة التي تسعى إلى جعلك هزة سميّة!». ماءت شاكرة، ولكنها تركت الفأر قرب كفّها ولم تحاول حتّى اشتمامه.

سألها بلطف: «أما زلت تفكرين في المعركة؟». هزّت كتفها، ثمّ نظرت إليه بعينيها المستديرتين الحزینتين وسألته: «لقد أصبحت عالة عليكم، أليس كذلك؟».

«من العالة؟». قاطعتهما الهزة الرمادية العجوز وهي تطلّ برأسها إلى الداخل. ونظرت إلى قلب النار وسألته: «هل أزعجت مساعدتي؟ لا أدري ماذا كنت سأفعل اليوم لولاها». ثمّ نظرت بحنان إلى بسّة الرماد بعينيها الصفراوين الدافئتين وأضافت: «حتّى إنني طلبت منها هذا المساء مزج الأعشاب!».

نظرت بسّة الرماد إلى الأسفل بخجل، ثمّ أخفضت رأسها لأخذ قضمّة من الفأر.

تابعت جمرة: «أعتقد أنّني قد أطلب منها البقاء معي لمدة أطول. فهي تعاونني كثيراً، كما أنّني اعتدت على رفقتها».

نظرت المبتدئة إلى المداوية العجوز وقالت لها بمكر: «هذا فقط

لأنّ سمعك ضعيف بما فيه الكفاية لتحتملي ثرثرتي المتواصلة!». تظاهرت جمرة أنّها تنظر شزراً إلى الهرة الصغيرة، فقالت هذه الأخيرة لقلب النار: «حسناً، هذا ما تقوله لي باستمرار».

فوجئ قلب النار بالغيرة التي أحسّ بها بسبب العلاقة الوثيقة التي باتت تربط بين هاتين الهرتين. إذ لطالما اعتقد أنّه الصديق الحقيقي والوحيد لجمرة في العشيرة، لكن يبدو أنّها حصلت على صديقة أخرى. ومع ذلك، أصبح لدى بسّة الرماد على الأقلّ مكان تعيش فيه؛ لأنّها إن لم تستطع التدرّب لتصبح محاربة فستشعر أنّها غريبة في وكر المبتدئين. نهض ليرجع إلى عاصفة الرمال، غير أنّه سألهما قبل أن يذهب: «هل ستكونان بخير هنا مع الذيل النمروود؟».

نظرت إليه جمرة باستهجان وأجابت: «أعتقد أنّنا نستطيع تدبّر أمرنا، ما رأيك يا بسّة الرماد؟».

فوافقتها بثقة قائلة: «لن يجرؤ على التسبب بالمشاكل، كما أنّ النمر الذيّال هنا للمساعدة».

أخرجت جمرة رأسها من الوكر الصغير، ولحق بها قلب النار. «إلى اللقاء يا بسّة الرماد!».

«إلى اللقاء، وشكراً على الطعام».

«العفو». ثمّ استدار إلى جمرة وسألها: «هل لديك شيء أضعه على هذه العضّة على عنقي؟».

نظرت إلى جرحه عن كثب وقالت: «تبدو عضّة قوية».

اعترف قائلاً: «إنّها عضّة الذيل النمروود».

هزّت رأسها قائلة: «انتظرنني هنا». ثمّ ذهبت إلى وكرها مسرعة، وعادت حاملة حزمة من الأعشاب الملفوفة بأوراق الشجر. «هل يمكنك

أن تتدبر أمرك بنفسك؟ ما عليك سوى مضغها وفرك الجرح بعصارتها.
ستشعر ببعض الألم، ولكنه لن يهزم محارباً قوياً مثلك!».
شكرها ثم حمل الرزمة بأسنانه.

رافقه جمرة إلى مدخل النفق وهي تنظر إلى وكر بسنة الرماد: «أنا
أقدر مجيئك، فقد كانت تشعر بالإحباط على ما أظن. استاءت كثيراً بعد
المعركة واحتفال التسمية».

هز رأسه متفهماً. ألقى نظرة أخيرة باتجاه الذيل النمرود ثم سألها
بصوت مكتوم بسبب رزمة الأعشاب: «هل أنت واثقة أنكما ستكونان
بأمان؟».

«إنه أعمى». ثم تنهدت مضيفة بصوت أكثر مرحاً: «كما أنني لست
مستة إلى هذا الحد!».

استيقظ قلب النار في صباح اليوم التالي على ضوء أبيض مبهر
تسلل من سياج الوكر، فأدرك أن الثلج تساقط مجدداً. على الأقل،
سكنت أوجاعه. كانت جمرة على حق؛ فعصارة الأعشاب لسعته بالفعل،
ولكنه شعر بتحسّن كبير بعدما أخذ قسطاً وافراً من النوم.

تساءل عن كيفية إمضاء عاصفة الرمال والفراء الأغبر ليلتهما. فلا
بد أن البرد كان قارساً هذه الليلة. نهض ومدد قائمته الأماميتين، ثم
قوس ظهره ولف ذيله فوق رأسه. رأى محاربي عشيرة الرعد الجديدين
مكورين قرب بعضهما وغارقين في النوم في الطرف الأقصى للوكر. لا
بد أن الرعب الأبيض أرسلهما إلى هنا عندما غادر في دورية الفجر.

خرج إلى الفسحة المغطاة بالثلوج، وبالكاد ميّز فراء بياض الثلج
وهي تلتف حول الحضانة بعدما خرجت لتمدد أطرافها. رأى بقعتين

خاليتين من الثلوج في وسط الفسحة، حيث أمضى كل من عاصفة الرمال والفراء الأغبر ليلتهما، فارتعش برداً عندما فكّر فيهما، ولكنّه أحسّ مع ذلك بشيء من الحسد وهو يتذكّر البهجة التي غمرته في أول ليلة له كمحارب. فقد ملأته بدفء ما كانت لتبدّده حتّى أقسى الليالي برودة.

كانت السماء ملبّدة بغيوم مثقلة بالثلوج التي ما زالت تتساقط بخفّة وبصمت، فأدرك أنّهم سينشغلون بالصيد مطوّلاً هذا النهار. إذ سيتعيّن على العشيرة تخزين الطعام إن كان تساقط الثلج سيستمرّ.

سمع نجمة الصباح تنادي من على الصخرة العالية، بدأت القطط تخرج من أوكارها وتشقّ طريقها فوق الثلوج لسماع ما ستقوله زعيمة العشيرة. جلس قلب النار في إحدى البقعتين الخاليتين، وكانت رائحة عاصفة الرمال لا تزال عالقة فيها. رأى النمر الرمادي جالساً في الطرف الآخر من الفسحة، والتعب بادٍ عليه، فتساءل عمّا إذا كان قد تسلّل في الليلة الماضية لإخبار شعاع الفضة عن القطط المنبوذة.

بدأت نجمة الصباح تتكلّم: «أردت أن أتأكّد من أنّكم جميعاً عرفتم بوجود الذيل النمرود في المخيم». لم يصدر أيّ صوت عن القطط، فقد كانت تعرف أساساً، وذلك لأنّ الخبر انتشر في المخيم كالنار في الهشيم.

«إنّه أعمى وغير قادر على تسبب الأذى». شخرت بعض القطط معبّرة عن استيائها، فهزّت نجمة الصباح رأسها متفهّمة مخاوفها. «أنا قلقة مثلكم على سلامة عشيرتنا. لكن، كما تعرفون، لا يمكننا تركه يموت في الغابة. ستهتمّ به جمرة حتّى يُشفى، ثمّ سناقش أمره مجدّداً». نظرت نجمة الصباح حولها لتصغي إلى تساؤلات الحشد، لكن لم

يتكلّم أيّ هرّ، فهبطت عن الصخرة. وعندما تفرّق أفراد العشيرة، لاحظ قلب النار أنّ الزعيمة متّجهة نحوه.

مأّت قائلة: «قلب النار، ما زال ثمة أمر يقلقني؛ فأنت لم تصلح علاقتك مع النمر الرمادي، ولم أركما تأكلان معاً منذ أيّام. سبق لي أن أخبرتك أنّ الشجار غير مسموح في عشيرة الرعد، ولذلك أريد أن تخرجا للصيد معاً اليوم».

هرّ قلب النار رأسه مجيباً: «حسناً يا نجمة الصباح». لم يكن لديه أيّ اعتراض على ذلك. وبعد معركة يوم أمس، تأمل أن تعجب الفكرة صديقه أيضاً. عندما ابتعدت نجمة الصباح، نظر إلى أرجاء الفسحة على أمل ألا يكون النمر الرمادي قد اختفى مجدّداً، ولكنّه كان هناك، يساعد على إبعاد الثلج عن باب الحضانة.

ناداه قائلاً: «أيّها النمر الرمادي». لكنّ هذا الأخير تابع عمله، فذهب إليه وسأله: «هل تريد الذهاب لنصطاد معاً هذا الصباح؟». التفت ونظر إليه ببرودة، ثمّ سأله بحدة: «هل تحاول التأكّد من أنّني لن أختفي مجدّداً؟».

فأجابه بارتباك: «ك... كلاً، فكّرت وحسب... بعد يوم أمس... نمس...».

«كنت سأفعل الشيء نفسه لأيّ هرّ في عشيرة الرعد؛ فهذا هو المعنى الحقيقي للولاء للعشيرة!». لم يكن مواء النمر الرمادي يحمل نبرة غضب وهو يعود لمتابعة عمله.

تبدّدت آمال قلب النار مجدّداً. هل خسر ثقة صديقه إلى الأبد يا ترى؟ استدار وهو يجرّ ذيله خلفه، وبدأ يشقّ طريقه فوق الثلوج باتجاه مدخل المخيم، ثم التفت إليه قائلاً: «في الواقع، أمرتني نجمة الصباح

أن نذهب للصيد معاً، لذلك اشرح لها سبب عدم مجيئك».

هسّ النمر الرمادي: «آه فهمت. كنت تحاول إرضاء الزعيمة وحسب، كعادتك!». توقّف قلب النار واستدار غاضباً ليردّ على صديقه، ولكنّه صمت عندما رآه آتياً نحوه وهو ينفض الثلوج عن كتفيه العريضتين.

قال النمر الرمادي متذمّراً: «إذاً، هيا بنا». وتقدّمه عبر نفق القندول. تسلّقاً سفح الوادي ببطء بسبب الثلوج التي تغطّي الصخور. وعندما وصلا إلى القمة، امتدّت أمامهما الغابة بردائها الأبيض. انطلق النمر الرمادي فوراً، وبدأ على وجهه تصميم جادّ، فلحق به. وبينما كان يتعقّب فأراً حول جذور شجرة السنديان، رأى صديقه يطارد أرنباً لم يتردّد في الخروج من جحره في هذا الطقس. ركض المحارب الرمادي بغضب خلف المخلوق الصغير إلى أن قضى عليه بضربة واحدة. جلس قلب النار، وشاهده وهو يأتي إليه ليضع الأرنب أمامه.

قال: «ينبغي أن يكون هذا كافياً لإطعام صغير أو اثنين».

«أنت لست مضطراً لإثبات أيّ شيء لي».

أجابه بمرارة: «حقّاً!». ثمّ نظر إليه بعينين باردتين يملأهما الغضب. «إذاً، ربّما يجدر بك أن توليني ثقتك». ثمّ استدار قبل أن يتمكن من الردّ عليه.

عند علوّ الشمس، كان النمر الرمادي قد اصطاد أكثر من قلب النار، لكنّ الاثنين عادا إلى المخيم بصيد وفير. دخلا الفسحة، ووضعوا الطرائد في المكان المعتاد، وكان خالياً حتّى تلك اللحظة.

تساءل قلب النار عمّا إذا كان عليهما الخروج مجدّداً. غير أنّ الثلج أصبح أكثر كثافة، كما بدأت الرياح الباردة تهبّ على الوادي.

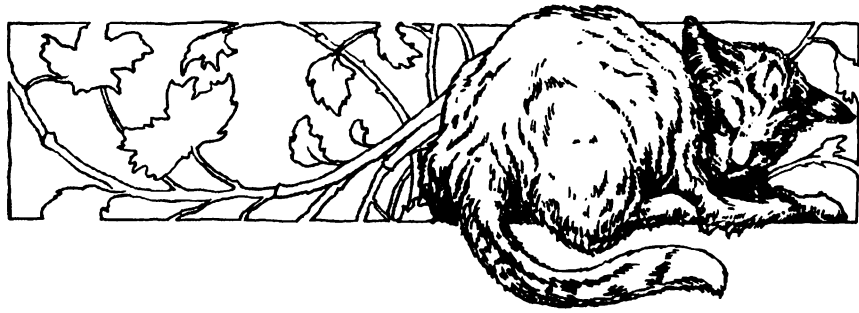
كان يتأمل السماء المكفهرة عندما سمع مواء عين الزمرد القلق آتياً من
قرب الحضانة. فذهب إليها وسألها: «ما خطبك؟».

«هل رأيت بسبوس الغمام؟».

هزّ قلب النار رأسه نافياً. «أهو ضائع؟». وأحسّ بوخز في أكفّه
عندما بدأ قلق عين الزمرد المتعاضم ينتقل إليه.

«أجل، وكذلك صغيراي. لم أغمض عينيّ سوى للحظة، وعندما
استيقظت لم أجدهم في أيّ مكان! لا يمكنهم الخروج في جوّ بارد
كهذا، سيتجمّدون حتّى الموت!». وبدت الهرة عاجزة عن الوقوف من
شدة خوفها.

أحسّ قلب النار بالذعر وهو يتخيّل آخر مرّة اختفت فيها هرة
صغيرة من المخيم، وكانت بسنة الرماد.



الفصل 28



وعدها قلب النار: «سأعثر عليهم». ثم استدار فوراً لبحث عن النمر الرمادي. كانت الرياح تشتدّ والثلج يزداد كثافة، ولم يرغب في الذهاب للبحث بمفرده. أسرع إلى وكر المحاربين ودخل، لكنّ النمر الرمادي لم يكن هناك.

كانت عاصفة الرمال تستيقظ للتوّ، وماءت قائلة عندما رأت قلب النار ينظر إلى الوكر: «ما الأمر؟». «صغيراً عين الزمرد مفقودان».

تبدّد نعاسها فجأة، وهبت واقفة وهي تسأل: «وهل بسبوس الغمام معهما؟».

«أجل. كنت أفتش عن النمر الرمادي لكي نخرج للبحث عنهم معاً، ولكنه ليس هنا». حدّثها بسرعة وهو يشعر بالغضب من غيابه مجدّداً، بعدما اتّهم قلب النار بأنّه لا يثق به! «أنا سأرافقك».

رفّ عينيه ثمّ ماء شاكرًا: «شكراً لك. هيا بنا، علينا إخبار نجمة الصباح قبل أن نرحل».

«سيخبرها الفراء الأغبر. أما زال الثلج يتساقط؟».

«أجل، وهو يزداد كثافة. يجدر بنا أن نسرع». نظر إلى الفراء
الأغبر النائم وقال: «أيقظيه بينما أخبر عين الزمرد أننا ذاهبان. لنلتق عند
المدخل». وانطلق مسرعاً باتجاه الحضانة. كانت عين الزمرد ما زالت
تشتّم الأرض بحثاً عن رائحتهم.

سألها قلب النار: «هل وجدت أثراً لهم؟».

أجابت بصوت مرتجف: «كلاً. ذهبت بياض الثلج لإخبار نجمة
الصباح!».

طمأنها قائلاً: «حسناً، لا تقلقي. أنا ذاهب للبحث عنهم، وسترافقني
عاصفة الرمال وسنعرّ عليهم».

هزّت الأمّ رأسها وواصلت البحث.

وصل قلب النار وعاصفة الرمال إلى نفق القندول معاً، ثمّ أسرعاً
نحو الغابة. كانت الرياح أشدّ قوّة خارج المخيم، فزمّ عينيه وقوّس كتفيه
اتقاء لها.

حذّر المحاربة قائلاً: «سيكون من الصعب التقاط رائحتهم بسبب
تساقط الثلج حديثاً. فلنبداً بالتحقّق ممّا إذا كانوا قد صعدوا إلى الغابة».
«حسناً».

أشار بأنفه قائلاً: «اسلكي هذا الاتجاه، وأنا سأسلك الاتجاه الآخر،
ثمّ سنلتقي هنا. لا تتأخري».

انطلقت عاصفة الرمال، وقفز قلب النار من فوق جذع شجرة
مقطوعة، ثمّ توجه إلى الطريق الذي تسلكه العشيرة في أغلب الأحيان.
كان سفح الوادي مكسوّاً بطبقة أكثر كثافة من الثلوج ممّا كان عليه في
الصباح، وأصبح زلقاً في البقع التي تحوّل فيها الثلج إلى جليد. توقّف
قلب النار ورفع رأسه فاتحاً فمه، ولكنّه لم يجد أيّ رائحة للصغار. بحث

عن آثار أكفّهم، ولكن بلا جدوى. هل من الممكن أن يكون أثرهم قد اختفى تحت الثلوج الجديدة؟

تجوّل في أسفل المنحدر، ولكنّه لم يجد هناك أثراً لأيّ هزّ على الإطلاق، فما بالك بهررة صغيرة مفقودة. هبّت الرياح بقوة، إلى أن أصبح بالكاد يشعر بأطراف أذنيه. لا يمكن لأيّ صغير أن يبقى على قيد الحياة في هذا الطقس، ولن يمضي وقت طويل قبل أن تغيب الشمس. عليه أن يعثر عليهم قبل أن يخيم الظلام.

أسرع عائداً إلى مدخل المخيم، فوجد عاصفة الرمال بانتظاره، والثلج عالق على فرائها في أكوام صغيرة، نفضت الثلوج عندما رآته آتياً. سألتها: «هل وجدت لهم أثراً؟». «على الإطلاق».

«لا يمكن أن يكونوا قد ابتعدوا كثيراً. تعالي لنبحث في هذا الاتجاه». وذهب نحو غور التدريب.

لحقت به بصعوبة، وذلك لأنّ الثلج أصبح أكثر ارتفاعاً، حيث كانت تغرق حتّى بطنها مع كلّ خطوة. وجدا غور التدريب خالياً.

سألته وهي ترفع صوتها فوق صوت الرياح: «هل تظنّ أن نجمة الصباح تدرك مدى رداءة الطقس هنا؟». «ستعرف».

«علينا العودة طلباً للمساعدة، فمن الأفضل أن تنضمّ إلينا فرقة بحث أخرى».

نظر إلى المحاربة التي ترتعش برداً، وأدرك أنّ الصغار لم يكونوا وحدهم المعرّضين لخطر الموت في هذا الجليد. ربّما كانت عاصفة

الرمال على حقّ. «موافق، لا يمكننا فعل ذلك بمفردنا».

لكنّ عندما استدارا باتجاه المخيم، ظنّ أنّه سمع صريراً خافتاً مع صوت الرياح، فسألها: «هل سمعت ذلك؟».

توقّفت وبدأت تشتمّ الهواء بسرعة. وفجأة، رفعت رأسها قائلة: «من هنا!». وأشارت بأنفها إلى شجرة مقطوعة.

قفز نحوها، ولحقت به عاصفة الرمال. كان المواء يرتفع تدريجياً إلى أن بدأ قلب النار يميّز عدّة أصوات صغيرة. تسلّق الجذع، ونظر إلى الأسفل من الجهة الأخرى، فرأى هَرَيْن صغيرين مكّورين على بعضهما في الثلوج. أحسّ قلب النار بالارتياح إلى أن أدرك أنّ بسبوس الغمام ليس معهما. «أين بسبوس الغمام؟».

ماتت الهَرّة الصغيرة: «ذهب للصيد». كان صوتها يرتجف من شدة البرد والخوف، لكنّه سمع فيه نبرة التحديّ. رفع رأسه وبدأ ينادي وهو يحدّق إلى الغابة من خلال الثلج المتساقط: «بسبوس الغمام!».

كانت عاصفة الرمال واقفة على الجذع، وقالت: «قلب النار، انظر!». استدار قلب النار، فرأى جسماً أبيض مشعّاً يكافح عبر الثلوج للوصول إليهم. بسبوس الغمام! كانت كلّ خطوة عبارة عن قفزة هائلة بالنسبة إلى الهَرّ الصغير، وذلك لأنّ الثلج كان بارتفاعه. ومع ذلك، واصل التقدّم حاملاً في فمه فأرّ حقول صغيراً جلّدتَه الثلوج.

أحسّ قلب النار بموجة من الارتياح والغضب، فترك عاصفة الرمال مع الصغيرين، وذهب لحمل الصغير من عنقه. فأصدر بسبوس الغمام أنين اعتراض، ولكنّه رفض إفلات الفأر المتدلّي من فمه.

استدار قلب النار، ورأى المحاربة تدفع الهَرَيْن الصغيرين نحوه.

فأخذاً يتعثّران أمامها وهما يغرقان في الثلوج حتّى آذانهما، إلّا أنّها واصلت دفعهما.

أخذ بسبوس الغمام يتلوّى في فمه، فوضعه على الثلوج. نظر إليه الصغير وهو يحمل صيده بفخر، ولم يستطع قلب النار سوى أن يعجب به. فعلى الرغم من الثلوج والرياح، اصطاد بسبوس الغمام فريسته الأولى!

أمره قائلاً: «انتظر هنا». وأسرع لمساعدة عاصفة الرمال. حمل الهرة الصغيرة التي كانت تموء على نحو مثير للشفقة وبدأ يدفع شقيقها إلى الأمام بأنفه.

كافحت المجموعة للعودة إلى المخيم. كانت عين الزمرد تنتظر خارج نفق القندول، ووقفت نجمة الصباح إلى جانبها، وزمّت عينيها بسبب الثلج المتساقط. ما إن رأتا مجموعة قلب النار، حتّى اندفعتا للمساعدة. حملت نجمة الصباح بسبوس الغمام، وأخذت عين الزمرد الهرة الآخر، ثمّ عادوا مسرعين إلى أمان المخيم مع قلب النار وعاصفة الرمال خلفهم.

عندما وصلوا إلى الفسحة، وضعوا القطط الثلاثة الصغار المتجمّدين على الأرض. نفّض قلب النار الثلوج عن فرائه، ونظر إلى بسبوس الغمام الذي كان لا يزال متشبّثاً بصيده بعناد.

حدّقت نجمة الصباح إلى الصغار وسألتهن: «ماذا كنتم تفعلون هناك؟ ألا تعلمون أنّ قانون المحاربين يحظر الصيد على الصغار؟».

انكمش صغيرا عين الزمرد أمام نظرات الزعيمة الغاضبة، ولكنّ بسبوس الغمام نظر إليها بعينه الزرقاوين المستديرتين، ووضع الفأر على الأرض وماء قائلاً: «العشيرة تحتاج إلى طعام، ولذلك قررنا

الخروج للصيد».

أجفل قلب النار من جرأته.

سألته نجمة الصباح: «فكرة من هذه؟».

فأعلن بسبوس الغمام برأسه الذي لا يزال مرفوعاً: «فكرتي أنا».

نظرت الزعيمة إلى البسبوس العنيد وقالت: «كان من الممكن أن

تتجمدوا حتّى الموت!».

فوجئ بسبوس الغمام من الغضب الذي بدا في صوتها، فجثم وقال

مدافعاً عن نفسه: «فعلنا ذلك من أجل العشيرة».

أمسك قلب النار أنفاسه بانتظار ما ستفعله نجمة الصباح؛ فقد خرق

بسبوس الغمام قانون المحاربين. هل ستغيّر نجمة الصباح رأيها وتمنعه

من البقاء؟

مساءت الزعيمة ببطء: «كانت نواياكم جيّدة، ولكنكم أقدمتم على

عمل طائش جداً». أحسّ قلب النار بشيء من الأمل، إلّا أنّه تشنّج عندما

تحدّث بسبوس الغمام مجدّداً.

«لكنني اصطدّت شيئاً».

أجابت نجمة الصباح ببرودة: «أنا أرى ذلك». ثمّ نظرت إلى الققط

الثلاثة وقالت: «سأدع أمّكم تقرّر ما ستفعله بكم، لكنني لا أريد أن يتكرّر

ذلك مرّة أخرى. هل هذا مفهوم؟».

استرخى قلب النار أخيراً عندما هزّ بسبوس الغمام رأسه، وكذلك

فعل الهزان الآخران. أضافت: «بسبوس الغمام، يمكنك أن تضيف

صيدك إلى كومة الطرائد. وبعد ذلك، اذهبوا أنتم الثلاثة إلى الحضانة

مباشرة لتجفّفوا وتدفّثوا أنفسكم». فوجئ قلب النار، وتساءل عمّا إذا

كان قد أحسّ فعلاً بنبرة حنان في صوت زعيمة العشيرة.

ذهب هراً عين الزمرد متعثرين إلى الحضانة وتبعتهما أمهما، بينما حمل بسبوس الغمام فأره وذهب ليضعه مع كومة الطرائد. أحسن بشيء من القلق وهو يشاهد الصغير رافعاً رأسه بفخر. لكن، بينما كانت نجمة الصباح تراقبه، لمح شيئاً من الإعجاب في عينيها.

مات ملتفتة إلى عاصفة الرمال وقلب النار: «أحسنتما صنعاً أنتما الاثنان. سأرسل النمر الذئال خلف فرقة البحث الأخرى. أما أنتما، فاذهبا إلى وكركما وحاولا التماس شيء من الدفء!».

أجابها قلب النار: «حسناً يا نجمة الصباح». واستدار ليغادر مع عاصفة الرمال، لكن نجمة الصباح نادته قائلة: «قلب النار، أودّ التحدّث إليك». أحسن بشيء من القلق من نبرتها، وخشي أن يكون قد استعجل في الاطمئنان.

قالت: «لقد أظهر بسبوس الغمام اليوم أنّه يتمتّع بمهارات صيد جيّدة، ولكنّ كلّ المهارات في العالم لا تساوي شيئاً إن لم يتعلّم احترام قانون المحاربين. ربّما كان الأمر الآن يتعلّق بسلامته، ولكن في المستقبل ستعتمد سلامة العشيرة بأكملها على ذلك».

حدّق إلى الأرض. كان يعرف أنّها محقّة، ولكنه أحسن رغماً عنه أنّها تقسو قليلاً على الهزّ الصغير. فسبوس الغمام لا يزال يافعاً، ولم يمرض على وجوده في العشيرة وقت طويل. ثمّ أحسن بالاستياء وهو يفكر في كيفية تمرّد النمر الرمادي - وهو ابن العشيرة - بلا أيّ خجل على قانون المحاربين. غير أنّه نظر إلى زعيمة العشيرة وقال: «حسناً يا نجمة الصباح، سأحرص على تعليمه ذلك».

«هذا جيّد». وبدا الرضى في نبرتها قبل أن تستدير عائدة إلى وكرها. ذهب قلب النار إلى وكر المحاربين مع أنّه لم يعد يشعر بالبرد؛

فقد أحرقه كلام نجمة الصباح. دخل وجلس في فراشه، ثم بدأ يلحق نفسه. بقي هناك طوال العصر، يفكر بالنمر الرمادي وبسبوس الغمام. كان يعرف أن نجمة الصباح محقة. فنظرات الفخر والتحدي التي رآها في عيني الصغير جعلته يتساءل عما إذا كان سيتمكن فعلاً من التكيف مع حياة العشيرة.

ومع حلول المساء، دفعه الجوع إلى مغادرة الوكر. أخذ طائر سمّن من كومة الصيد، وجلس بجانب أجمة القرّاص ليأكله. كان المساء قد حلّ، والثلج توقف عن التساقط. وما إن اعتادت عيناه على الظلام، حتّى استطاع رؤية مدخل المخيم بوضوح.

رأى النمر الرمادي ما إن وصل، وراقبه وهو يتوجّه إلى كومة الصيد. كان المحارب يحمل فريسة في فمه، فاستنتج أنه ربّما كان يصطاد وحسب.

وضع الهزّ الرمادي صيده، وأبقى لنفسه فأراً كبيراً أخذه إلى بقعة تعلوها الأغصان بجانب سياج المخيم. تبدّد أمل قلب النار الضعيف؛ فالنظرة الشاردة التي رآها في عينيه أكّدت شكوكه. كان صديقه مع شعاع الفضة.

نهض ودخل الوكر، وسرعان ما استغرق في نوم عميق. في أثناء ذلك، راودته الأحلام مجدّداً.

امتدّت حوله الغابة المكسوّة بالثلوج، وتوهّجت بلون أبيض في ضوء القمر البارد. وقف قلب النار على صخرة عالية مسنّنة، وإلى جانبه وقف بسبوس الغمام وقد أصبح محارباً، وأخذ فراؤه الأبيض الكثيف يتموّج بفعل الرياح. لمع الجليد على الصخر تحت أكفّهما.

هسّ قلب النار لبسبوس الغمام: «انتبه!». كان ثمة فأر غابات يجري

حول جذور شجرة متجمّدة. نظر إليه بسبوس الغمام، ثمّ قفز بصمت من الصخرة على أرض الغابة. راقب الهرّ الأبيض وهو يقترب من الفريسة. وفجأة، اشتّم رائحة دافئة ومألوفة، وارتعش فراؤه. أحسّ بأنفاس دافئة على أذنه فاستدار بسرعة. كانت الورقة الرقطاء واقفة إلى جانبه. لمع فراؤها المرقط في ضوء القمر وهي تلامس أنفه بأنفها الوردية. وهمست قائلة: «قلب النار، أنا أحمل لك تحذيراً من عشيرة النجوم». كانت صوتها كثيباً وهي تنظر إليه بتركيز. «ثمّة معركة وشيكة يا قلب النار. احذر محارباً لا تثق به».

سمع صريراً، فأجفل ونظر حوله. لا شكّ في أنّ بسبوس الغمام قد فاز بصيده. التفت مجدّداً إلى الورقة الرقطاء، ولكنها كانت قد اختفت. استيقظ مجفلاً، ونظر إلى الفراش المجاور. كان النمر الرمادي مكوراً فيه ومستغرقاً في النوم وقد دسّ أنفه تحت ذيله الكثيف. تردّدت كلمات الورقة الرقطاء في ذهنه: «ثمّة معركة وشيكة يا قلب النار. احذر محارباً لا تثق به!».

ارتجف وأحسّ أنّ برد الغابة القارس عالق على فرائه حتّى في هذا المكان، كما أنّ رائحة الورقة الرقطاء الحلوة ما زالت في أنفه. تحرّك النمر الرمادي بجانبه وهو يتمتم في نومه، فأجفل قليلاً. كان يعرف أنّه لن يتمكن من النوم مجدّداً، ولكنّه بقي في فراشه ينظر إلى صديقه النائم حتّى أطلّ الفجر من خلال سياج الوكر.



الفصل 29



مع تقدّم الصباح، استيقظت غصن الصفصاف. راقبها قلب النار وهي تنهض وتمطّى، قبل أن تخرج من الوكر. ألقى نظرة أخيرة على النمر الرمادي النائم ثمّ تبعها.

أحسّ بالرغبة في كسر الصمت الثقيل الذي سيطر على المخيم المكسوّ بالثلوج، فقال: «لقد توقّف الثلج عن التساقط». تردّد صدى صوته في أرجاء الفسحة، وهزّت غصن الصفصاف رأسها.

رافق حفيف الأوراق رائحة النمر الشرس والبرق الخاطف وهما يخرجان من الوكر. جلسا إلى جانب غصن الصفصاف وبدأ يغتسلان، فعرف قلب النار أنّهما يستعدّان لدورية الفجر. تساءل عمّا إذا كان يجدر به أن يعرض الانضمام إليهم، لا سيّما وأنّه يتوق إلى الجري في الغابة، لكنّه كان يرغب في البقاء لمراقبة النمر الرمادي. فكلام الورقة الرقطاء ما زال يثقل قلبه، ولم يستطع أن يطرد فكرة كون النمر الرمادي المحارب الذي لا يثق به. فقد أصرّ هذا الأخير على أنّ علاقته بشعاع الفضّة لم تؤثر على ولائه للعشيرة. لكن، كيف لا وهو يخرق قانون المحاربين بمجرد رؤيتها؟

فجأة، رفع النمر الشرس رأسه كمن اشتّم شيئاً. فتوتّر قلب النار،

وانتفضت أذناه عندما سمع وقع أكفّ مسرعة على الثلوج في البعيد.
وحمل الهواء رائحة عشيرة الرياح. اقترب وقع الخطى، وتصلّب
المحاربون وكأنّهم هزّ واحد عندما أدركوا أنّ هزّاً يندفع إليهم عبر نفق
القندول. قوّس النمر الشرس ظهره وهسّ بشراسة، وإذ بالنمر الوحيد
يدخل الفسحة.

توقّف محارب عشيرة الرياح أمامهم والرعب طاغٍ على في عينيه،
وقال وهو يشهق: «عشيرة الظلال وعشيرة النهر! لقد هاجمتا مخيمنا!
عددهم يفوق عددنا، ونحن نحارب دفاعاً عن أرواحنا. رفض النجم
المذنب الخروج هذه المزة. عليكم أن تساعدونا وإلا فسيقضى
علينا!».

خرجت نجمة الصباح من وكرها مسرعة، وتحوّلت الأنظار من
النمر الوحيد إليها، فمادت قائلة: «لقد سمعت». ومن دون أن تتسلّق
الصخرة العالية، أطلقت زعيمة العشيرة المواء الذي تدعو به عادة
عشيرتها إلى الاجتماع. ملأت رائحة خوف النمر الوحيد الفسحة وهو
يشاهد القطط الأخرى تخرج إلى ضوء الصباح.

ما إن اجتمعت العشيرة حتّى بدأت نجمة الصباح تتحدّث: «لا
وقت لنضيعه. فكما كنّا نخشى، اتّحدت عشيرتا الظلال والنهر وهاجمتا
مخيم عشيرة الرياح، لذا علينا مساعدتهم». صمتت ونظرت حولها إلى
الوجوه التي تحدّق إليها برعب، بينما وقف النمر الوحيد بجانبها وهو
يصغي بصمت والأمل يظهر في عينيه الواسعتين.

أحسّ قلب النار بالاشمئزاز. فبعد اكتشافه أمر القطط المنبوذة،
اعتقد أنّه يمكن الثقة بنجم الليل. ولكن، يبدو أنّ زعيم عشيرة الظلال
خرق قانون المحاربين باتّحاده مع عشيرة النهر لإخراج عشيرة الرياح

من أرضها مجدّداً.

اعترض كشكول قائلاً: «لكننا في فصل الثلوج! وقد سبق لنا أن خاطرنا من أجل عشيرة الرياح، فلماذا لا تحلّ مشاكلها بنفسها هذه المرّة». علت تمتّات موافقة من المسنّين وإناث الحضّانة.

كان النمر الشرس هو الذي أجاب، إذ اقترب من نجمة الصباح قائلاً: «أنت محقّ في تخوّفك يا كشكول. ولكن، إن اتّحدت عشيرتنا الظلال والنهر، فلن يمضي وقت طويل قبل أن تلتفتا إلينا. من الأفضل أن نحارب الآن إلى جانب عشيرة الرياح بدلاً من أن نحارب لاحقاً بمفردنا!».

نظرت نجمة الصباح إلى كشكول الذي أغمض عينيه ورفع ذيله موافقاً على كلام النمر الشرس.

تقدّمت جمرة، وتحدّثت بصوت خافت مع الزعيمة: «أعتقد أنّه يجدر بك البقاء في المخيم يا نجمة الصباح. فمع أنّ حمّى السعال الأخضر زالت عنك، ولكنك ما زلت ضعيفة». تبادلّت الهزّتان نظرة فهمها قلب النار بفزع؛ فنجمة الصباح لم تعد تملك سوى روحها التاسعة والأخيرة. ومن أجل صالح عشيرتها، لا يمكنها أن تخاطر بها في المعركة.

هزّت نجمة الصباح رأسها بخفّة. «أيّها النمر الشرس، أريد أن تنظّم فرقتين؛ إحداهما ستقود الهجوم، والأخرى ستدعمه. علينا الوصول إلى هناك بأسرع وقت ممكن!».

«حاضر يا نجمة الصباح». والتفت النمر الشرس إلى المحاربين وقال: «أيّها الرعب الأبيض، أنت من سيقود الفرقة الثانية، وأنا سأقود الأولى. سأصطحب معي النمر الأسود والفأرة السمراء والنمر الذّيال

والفراء الأغبر وقلب النار». رفع قلب النار رأسه عندما لفظ النمر الشرس اسمه، وأحسّ بفرح عارم. سينضمّ إلى فرقة القيادة! ثم نادى النمر الوحيد وسأله: «أنت! ما اسمك؟». أجفل محارب عشيرة الرياح من نبرة النمر الشرس.

فأجاب قلب النار بدلاً عنه: «النمر الوحيد».

هزّ النمر الشرس رأسه، وبالكاد توقّف لينظر إلى قلب النار. «أيّها النمر الوحيد، ستنضمّ إلى فرقتي. أمّا بقيّة محاربي عشيرة الرعد فسينضمّون إلى الرعب الأبيض. وأنت أيضاً يا بسّ أشقر».

نادى النائب: «هل الكلّ مستعدّون؟». رفع المحاربون رؤوسهم وأطلقوا صيحة حرب، فانطلق النمر الشرس عبر نفق القندول ولحق الجميع به.

تسلّقوا الوادي وانطلقوا نحو الغابة، سالكين الطريق المؤدّي إلى الأشجار الأربع والمرتفعات خلفها. نظر قلب النار إلى الخلف وهو يجري بين الأشجار. كان النمر الرمادي يركض في النهاية، وبدا وجهه كئيباً ونظراته شاردة. فتساءل قلب النار عمّا إذا كانت شعاع الفضة تشارك في المعركة، وأحسّ بالحزن على صديقه. لكن، هذه المرة لم تكن لديه أيّ شكوك حيال استعداده هو نفسه للقتال. فبعدما أعاد عشيرة الرياح إلى أرضها، بات يشعر أنّه مسؤول عنها، ولن يسمح لأيّ عشيرة بإعادتها إلى أنفاق درب الرعد.

ملأت رائحة الورقة الرقطاء أنفه مرة أخرى، واقشعر فراؤه. «احذر محارباً لا تثق به!». ستكون هذه المعركة صعبة من عدّة نواحٍ، ولن يكون لدى النمر الرمادي خيار سوى إثبات ولائه الآن.

مع أنّ الثلوج توقّفت عن التساقط، إلّا أنّ التقدّم فوقها لم يكن

بالأمر الهين. فقد تشكّلت طبقة جليد على السطح، لكنّ المحاربين كانوا يتمتعون بأوزان كافية لكسر هذه الطبقة والغوص في الثلوج الأكثر ليونة تحتها.

علا مواء غصن الصفصاف من الخلف: «أيها النمر الشرس!». فتوقّف النائب واستدار.

قالت: «ثمة من يتعقّبنا!».

بعث كلامها الخوف في أوصال قلب النار. هل وقعوا في فخّ؟ عادت الدورية على أعقابها بصمت، وسارت بتيقّظ وحذر. فجأة، انكسر غصن محمّل بالثلوج فوقهم، فقفز بسّ أشقر مجفلاً. هسّ النمر الشرس: «انتظروا».

جثمت القطط في الثلوج العميقة، وسمع قلب النار وقع خطوات تتّجه نحوهم. بدت خفيفة، وكأنّها أكفّ صغيرة تدوس بحذر على طبقة الجليد، فتشنّج وحمّن فوراً هوية القادمين قبل أن يظهر بسبوس الغمام وصغيرا عين الزمرد من خلف جذع الشجرة.

وقف النمر الشرس على قائميه الخلفيتين غاضباً، فأخذ الصغار يموؤون بخوف. عرفهم المحارب فوراً، فهبط مجدّداً على أكفّه الأربعة وسألهم بحدّة: «ماذا تفعلون هنا؟».

ماء بسبوس الغمام: «نريد الانضمام إلى المعركة». فأجفل قلب النار.

قال النمر الشرس: «قلب النار!». اقترب قلب النار بسرعة، فقال المحارب الأسمر بنفاد صبر: «أنت من أحضر هذا الصغير إلى العشيرة، وأنت من سيتولّى أمره».

نظر قلب النار إلى عينيّ النمر الشرس الغاضبتين، وعرف أنّ النائب

يحاول إجباره على الاختيار؛ فيما أن ينضمّ إلى فرقة القتال ويحارب من أجل العشيرة، أو يهتمّ بالسبوس الأليف. انتظرت الفرقة بأكملها بصمت إلى أن تكلم قلب النار.

كان يعرف أنّه سيختار القتال من أجل العشيرة، ولكنه لا يستطيع التضحية بابن أخته. لا بدّ من إعادة سبوس الغمام والصغيرين الآخرين بأمان إلى المخيم مع هزّ آخر. لكن، من هو المحارب الذي تستطيع الفرقة الغازية الاستغناء عنه؟

نادى قلب النار تلميذ النمر الرمادي قائلاً: «بسّ أشقر، هلاً أعدت هؤلاء الصغار إلى المخيم». انتظر قلب النار أن يعترض النمر الرمادي، ولكنّ هذا الأخير لزم الصمت بينما كان قلب النار يأمر تلميذه بالعودة إلى المخيم.

انخفض ذيل بسّ أشقر، وأحسّ قلب النار بالذنب فوعده قائلاً: «لا تحزن، فأمامك معارك كثيرة في المستقبل».

سُمع مواء احتجاج سبوس الغمام من بين الأشجار: «ولكنّك قلت إنّنا سنحارب يوماً ما جنباً إلى جنب يا قلب النار!». فرمق النمر الشرس قلب النار ساخراً، وأحسّ هذا الأخير بالانزعاج عندما علقت الدورية ساخرة على كلام الهزّ الصغير. ومع ذلك، لم يظهر إحراجه بل قال: «يوماً ما، لكن ليس اليوم!».

انخفضت كتفا الهزّ الأبيض، وتنفس قلب النار الصعداء وهو يشاهد سبوس الغمام ينضمّ على مضض إلى الهزين الآخزين، وتبع الجميع بسّ أشقر إلى المخيم.

قال النمر الشرس ساخراً: «يفاجئني خيارك يا قلب النار، فأنا لم أتوقع أن تكون متحمساً للقتال في هذه المعركة».

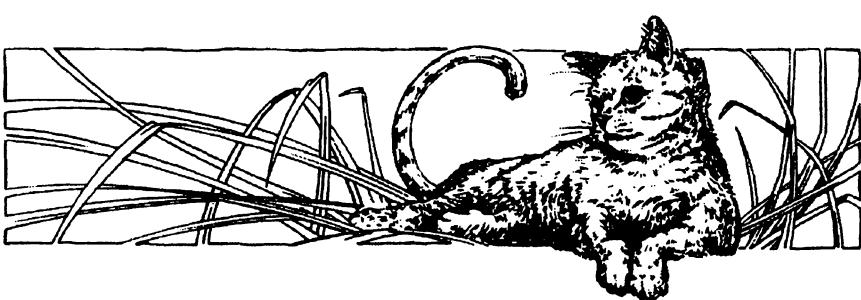
حدّق قلب النار إلى نائب عشيرته، وأحسن بالدماء تضحّج في عروقه، حيث اشتعل جسده غضباً، فأجابه: «لو كنت متحمّساً أنت أيضاً لأطلقت صرخة حرب عوضاً عن إبقائنا هنا في الوقت الذي يموت فيه محاربو عشيرة الرياح!».

رمقه النمر الشرس بغضب، ثم رفع رأسه وأطلق صيحة نحو السماء قبل أن يندفع مسرعاً باتجاه مخيم عشيرة الرياح. عندئذٍ، لحق به قلب النار والآخرين، واجتازوا الأشجار الأربع نحو المنحدر الحاد المؤدي إلى المرتفعات. تسلّقوا السفح، وكتمت الثلوج وقع خطواتهم.

وعندما وصلوا إلى أعلى السفح، كانت الرياح قد شعّث فراء قلب النار وقلبت أذنيه إلى الخلف. بدت أراضي عشيرة الرياح جرداء أكثر من أيّ وقت مضى، واختفى القندول تحت طبقة من الثلوج. قال النمر الشرس رافعاً صوته فوق عويل الرياح: «قلب النار! أنت تعرف الطريق إلى مخيم عشيرة الرياح! قدنا إلى هناك». وأبطأ من سيره مفسحاً المجال لكي يمرّ قلب النار. ففكّر هذا الأخير أنّ النائب على ما يبدو لا يثق بالنمر الوحيد بما فيه الكفاية ليقودهم. نظر إلى النمر الرمادي آملاً بالحصول على بعض المساعدة، ولكنّ هذا الأخير خفض رأسه وكتفيه ببؤس، بينما عبثت الرياح بفرائه الكثيف. لن تأتيه المساعدة من صديقه. وهكذا، حوّل نظره إلى عشيرة النجوم طالباً مساعدتها.

فوجئ عندما أدرك أنّه يتعرّف على شكل الأرض حتّى تحت الثلوج. فها هو وكر الغرير والصخرة التي تسلّقها النمر الرمادي لكي يطلّ على المكان. سلك الطريق الذي يتذكّره من رحلته مع صديقه، إلى أن وصل إلى المنخفض المؤدي إلى مخيم عشيرة الرياح.

توقّف عند حافة الغور وقال: «إنّه هناك!». للحظة، صمتت الريح،
وتناهى إليهم من الأسفل صخب المعركة؛ صراخ وعويل قطط يقاتل
بعضها بعضاً بضراوة.



الفصل 30



تحدّث النمر الشرس إلى محاربيه بهسيس شرس سمعوه من خلال الضباب: «أيها الرعب الأبيض، انتظر حتّى تسمع صرخة الحرب التي سأطلقها! وأنت أيّها النمر الوحيد، قدنا عبر المدخل. نحن سنهتّم بالباقي».

بدأ النمر الوحيد يهبط المنحدر بسرعة باتجاه الأدغال المكسوة بالثلوج، فلاحق به النمر الشرس والنمر الأسود في عقبه. انطلق قلب النار خلف الهزّ الرمادي الرشيق، وعبر النفق الضيق المؤدّي إلى مخيم عشيرة الرياح. كان القندول كثيفاً وأشواكه حادة كما يذكرها. بقي النمر الرمادي والمحاربون الآخرون في أعلى المنحدر، وتأهبوا لشنّ هجوم ثانٍ بعد الهجوم الأوّل.

توقّف قلب النار وقد فوجئ بالمشهد الذي استقبله في فسحة المخيم. ففي المرّة الأخيرة التي أتى بها إلى هنا بحثاً عن أثر للرائحة يقوده إلى العشيرة المفقودة، وجد المخيم خالياً وصامتاً. أمّا الآن، فكانت الفسحة تعجّ بالقطط المتحاربة التي تتلوّى وتصرخ بشراسة. كان النمر الوحيد على حقّ، فأعداد الهررة المهاجمة تفوق عدد أفراد عشيرة الرياح بكثير. كما كانت ثمة فرقة احتياطية من محاربي العشيرتين تنتظر

عند أطراف الفسحة، بينما لم تستطع عشيرة الرياح الاحتفاظ بمحاربين احتياطيين. كانت العشيرة بأكملها تقاتل؛ بمبتدئيهـا ومسنيـها ومحاربيـها وإنائها.

رأى قلب النار زهرة الصباح تصارع محارباً من عشيرة الظلال. بدت الهرة منهكة وخائفة، وانتصب فراؤها في كتل مشعثة. ومع ذلك، استدارت وخذشت مهاجمها، إلا أنه كان أكبر حجماً منها بكثير، فرماها أرضاً بسهولة بضربة قوية.

هتف قلب النار، وانقضّ على كتفي الهرة، وتشبّث به بينما استدار المحارب مدهوشاً وحاول أن ينفذه عنه. خدشت زهرة الصباح الهرة بمخالبها، بينما سحبه قلب النار إلى الأرض، فأخذ محارب عشيرة الظلال يصيح إلى أن استطاع الإفلات، ثم جرى باتجاه سياج المخيم الشائك وخرج عبره. ألقت زهرة الصباح نظرة امتنان على قلب النار ثم تابعت القتال.

استدار ونفض قطرات الدماء عن أنفه، ولاحظ أن دوريتي عشيرتي الظلال والنهر الاحتياطيتين انضمتا إلى المعركة. فوصل عشيرة الرعد جعل موازين القوى تتساوى لبعض الوقت، لكن انضمام الفرقة الثانية أصبح ضرورياً. سمع قلب النار صيحة الحرب التي أطلقها النمر الشرس، وسرعان ما دخل الرعب الأبيض الفسحة يتبعه النمر الرمادي والبرق الخاطف وبقية محاربي عشيرة الرعد.

أمسك قلب النار بمحارب من عشيرة النهر مستخدماً أحد أكفّه لدفعه والآخر لتثبيته، وقلب الهرة على ظهره، وضربه على بطنه بكفّيه الأماميين، فقفز هرة عشيرة النهر مبتعداً، واصطدم بمحارب من عشيرة الرياح. استدار المحارب متفاجئاً، وعرفه قلب النار فوراً، فقد كان النمر

الوحيد. شاهده وهو يتراجع ويهاجم هزّ عشيرة النهر على الفور. ورأى الغضب يشتعل بضراوة في عيني المحارب، فتركه ينهي معركته.

سمع هسيساً مألوفاً، فرأى النمر الرمادي يتعارك مع هزّ رمادي من عشيرة الظلال. كان كفّ تشتوش؛ المحارب الذي ساعدهم خلال معركتهم ضدّ النجم نمرود. كان المحاربان متساويين في القوة. دفع النمر الرمادي خصمه بساقيه الخلفيتين، واستدار بحثاً عن هزّ آخر يهاجمه. رأى قلب النار محارباً من عشيرة النهر خلف صديقه تماماً. وطغى هدير الدماء في أذنيه على صخب المعركة. هل سيهاجم النمر الرمادي محاربي عشيرة شعاع الفضة؟

قفز النمر الرمادي، وأمسك قلب النار أنفاسه. لكن، عوضاً عن مهاجمته هزّ عشيرة النهر، تجاوزه النمر الرمادي وهبط على ظهر هزّ آخر من عشيرة الظلال.

سمع قلب النار نائب عشيرته يناديه، فاستدار ورأى المحارب في الجهة الأخرى من الفسحة. كان القتال ضارياً هناك، إذ اشتبكت قطط من كلّ العشائر مع بعضها.

وحين اندفع قلب النار باتجاه النمر الشرس، أحسّ بفراء الفهد تقبض على ساقه الخلفية وتجرّه إلى الأسفل.

هست نائب عشيرة النهر: «أنت!». كان قد سبق أن التقيا عند المضيق الذي مات فيه الكفّ الأبيض.

دفعها وانقلب على ظهره، ولكنّه أدرك متأخراً أنّه كشف بطنه الطري. لم تُضع فراء الفهد الفرصة، بل وقفت على قائمتيها الخلفيتين وهبطت عليه بكلّ قوّتها. فأحسّ بالألم قبل أن تنشب النائب مخالبتها في بطنه. صاح بألم، والتفت فرأى النمر الشرس عند طرف الفسحة يراقبه

بدم بارد وبلا أيّ تعاطف.

صاح منادياً: «ساعدني أيّها النمر الشرس!».

لكنّ هذا الأخير لم يحرك ساكناً، بل وقف محدّقاً إلى الهرة وهي تنشب مخالبتها في جسده تكراراً.

اعتمل الغضب في صدر قلب النار، وولّد فيه القوّة التي كان بأمسّ الحاجة إليها. فقاوم الألم، وسحب ساقيه الخلفيتين، ثمّ دفع بهما فراء الفهد بأقصى قوّته. رأى الصدمة على وجه النائب عندما دفعتها الركلة في الهواء وطارَت فوق الفسحة. قاوم للوقوف على أكفّه، وحدّق إلى النمر الشرس بألم وغضب، إلّا أنّ هذا الأخير رمقه بنظرة حقودة ثمّ عاد إلى القتال.

اختلّ توازن قلب النار إثر ضربة تلقّاها على مؤخّر رأسه، فترنّح واستدار ليرى أمامه قلب الصوّان. كان محارب عشيرة النهر يستعدّ لتوجيه ضربة أخرى، فخفض رأسه، ودفع خصمه مباشرة باتجاه الرعب الأبيض. استدار محارب عشيرة الرعد وأمسك بقلب الصوّان من عنقه. حاول قلب النار التقدّم لمساعدة المحارب الأبيض، ولكنه أحسّ بهزّ ينشب مخالبه في وركيه. استدار ليرى من يكون، ولمح فراء رمادياً. إنّها شعاع الفضة.

كان وجه الهرة متقلّصاً من حماوة المعركة وهي تقف على قائمتيها الخلفيتين لتتنقّض عليه. رأى الدماء تسيل على عينيها، وأدرك أنّها لم تعرفه. أرجعت كفّاً إلى الخلف، ورأى مخالبتها الطويلة تلمع وهي تستعدّ لتوجيه ضربة إليه، فنظر إلى الأعلى واستعدّ لردّ الضربة عندما سمع مواء مألوفاً على نحو مؤلم. «شعاع الفضة! كلاً!».

النمر الرمادي.

تردّدت شعاع الفضّة وهزّت رأسها، ثمّ عرفت قلب النار وأطلقت شهقة مكتومة، وهبطت على أكفّها الأربعة والصدمة بادية على وجهها. أتى ردّ فعل قلب النار بشكل غريزي في لهيب المعركة. فمن دون تفكير، قفز على ظهر هرة عشيرة النهر وسمّرها على الأرض. لم تقاومه وهو يرفع رأسه إلى الخلف استعداداً ليجهز عليها بعضّة قاتلة. ولكنه عندما رفع رأسه، أحسّ بنظرات النمر الرمادي وهي تخترقه. كان المحارب يشاهد ما يجري مذعوراً.

عاد قلب النار إلى رشده أمام نظرة الألم وعدم التصديق التي رآها في عيني صديقه، فتوقّف وأخفى مخالبه، ثمّ حرّز الهرة، فنهضت واختفت في أجسام القندول المحيطة بالفسحة. أمّا قلب النار فعلت وجهه ملامح الصدمة وهو يرى النمر الرمادي يجري خلفها.

أحسّ أنّه لا يزال مراقباً، فنظر حوله، والتقت عيناه عيني النمر الأسود من الجهة الأخرى من الفسحة. فأجفل وأدرك أنّ علاقة النمر الرمادي الغرامية أجبرته على خيانة عشيرة الرعد في نهاية المطاف؛ فقد ترك محاربة من الأعداء تفلت من بين يديه! ما الذي رآه النمر الأسود بالضبط؟ في تلك اللحظة، سمع البرق الخاطف يصيح طلباً للمساعدة. كان المحارب المخطّط يقاتل بشكل يائس نجم الليل؛ زعيم عشيرة الظلال الغدار، فاندفع بين المقاتلين لمساعدته.

لم يتوقّف للتفكير، بل قفز وأمسك نجم الليل من الخلف. صاح المحارب الأسود غاضباً بينما كان قلب النار يشدّه ويغرّز مخالبه في فرائه. كان قد قاتل جنباً إلى جنب مع هذا المحارب منذ بضعة أشهر فقط؛ لمساعدته على طرد النجم نمرود. وها هو الآن يغرّز أسنانه في كتف نجم الليل بالضراوة نفسها التي استخدمها مع الزعيم السابق لتلك

صاح نجم الليل بألم، وأخذ يتلوّى بين أكفّ قلب النار. وبينما كان هذا الأخير يكافح للتمسك به، أدرك أنّ هذا الهزّ لم يصبح زعيماً بلا سبب؛ فقد أفلت منه نجم الليل. ولكنّ البرق الخاطف كان مستعدّاً، فقفز عليه، وتدرّج المحاربان في أرجاء الفسحة المكسوة بالجليد. راقبهما قلب النار وهما يتقلّبان، وحاول اختيار اللحظة المناسبة لكي يقفز ويحطّ على ظهر نجم الليل تماماً. هذه المزة، تمسك به بقوة أكبر، وكان جاهزاً للتصدّي له. غير أنّ البرق الخاطف أمسك به هو الآخر، وقاما معاً بخدش زعيم عشيرة الظلال وعضّه إلى أن صاح ألماً، ثمّ أفلتاه وتراجعا إلى الخلف ومخالبهما لا تزال مستلّة.

وقف نجم الليل واستدار وهو يهسّ. رأى قلب النار الغضب يلمع في عينيه، ولكنّ زعيم عشيرة الظلال أدرك أنّه هُزم، فتراجع إلى الخلف، ونظر إلى أرجاء الفسحة حيث كان محاربوه يواجهون هجوماً شرساً من محاربي عشيرة الرعد الآخرين. عندها، أطلق مواء انسحاب، وسرعان ما توقّف محاربوه عن القتال، وتراجعوا خلف زعيمهم باتجاه سياج القندول المحيط بالمخيم، تاركين محاربي عشيرة النهر بمفردهم في وجه عشيرتي الرعد والرياح.

توقّف قلب النار لالتقاط أنفاسه، ورفّ عينيه لنفض الدماء عنهما. كان الرعب الأبيض يتعارك مع فراء الفهد وإلى جانبه الفأرة السمراء. أمّا عاصفة الرمال فكانت تقاتل محارباً من عشيرة النهر بضعف حجمها تقريباً. غير أنّ خصمها لم يكن يجاريها في السرعة على الإطلاق. شاهدها وهي تتلوّى وتلتفّ من حوله إلى أن بدا عليه الضياع.

وكان الفراء الأغبر يقاتل هزّاً أسود بجواره، فعرف قلب النار الكفّ

الأسود؛ محارب عشيرة النهر الذي رآه يطارد الأرناب في المرتفعات. كان الفراء الأغبر يردّ بعناد الضربات والعضّات التي تنهال عليه. وكلّما تلقى ضربة، كان المحارب الشاب يستدير ويوجّه ضربة مماثلة. لم يبدُ عليه أنّه يحتاج إلى أيّ مساعدة، ولن يكون ممتناً لتدخله في معركته.

أين النجم الأعوج؟ بحث في الفسحة عن زعيم عشيرة النهر، ولكنه لم يجده. بعد انسحاب عشيرة الظلال، أصبحت الفسحة أقلّ ازدحاماً. وسرعان ما رأى قلب النار الهزّ المخطّط الشاحب ذا الفكّ الأعوج. كان رابضاً على الأرض يتعارك مع النمر الشرس وجهاً لوجه. حدّق المحاربان إلى بعضهما، وهزّا ذليلهما في إشارة تهديد، فأخذت الدماء تضيّج في عروق قلب النار وهو ينتظر أن يقوم أحدهما بخطوته. كان النجم الأعوج هو الذي قفز أولاً، ولكنّ النمر الشرس ابتعد جانباً متجنباً الضربة، ثمّ وجّه إلى خصمه ضربة أكثر دقّة. إذ استدار وانقضّ على ظهر النجم الأعوج. قبض محارب عشيرة الرعد على زعيم عشيرة النهر بمخالبه الطويلة، فشلّ حركته. حبس قلب النار أنفاسه عندما كشّر النمر الشرس عن أنيابه، وانقضّ ليغرزها في عنق النجم الأعوج.

شهق قلب النار. هل أقدم النمر الشرس حقاً على قتل زعيم عشيرة النهر؟ ولكنه عرف من صرخة الألم التي أطلقها النجم الأعوج أنّ النمر الشرس لم يصب العمود الفقري، بل كانت ضربة لإنهاء المعركة. حرّر النمر الشرس خصمه، وتركه يجري نحو مدخل المخيم وهو يصيح عالياً. وما إن غاب ذيل النجم الأعوج عن الأنظار، حتّى حرّر محاربوه أنفسهم وجروا في أعقابيه.

وفي غمضة عين، غرق مخيم عشيرة الرياح بالصمت، باستثناء عويل الرياح فوق أجسام القندول. حدّق قلب النار حوله. كان محاربو

عشيرة الرعد منهكين، لكنّ قطط عشيرة الرياح كانت أسوأ حالاً بكثير. فجميعهم كانوا ينزفون، بينما استلقى بعضهم بلا حراك على الأرض الجليدية. لم يضع فراء البندق-هزم المداوي- أيّ وقت، بل أخذ يتنقل من هزم إلى آخر ويعتني بجروحهم.

أتى النجم المذنّب وهو يعرج إلى النمر الشرس، والدم ينزف من خده. راقب قلب النار زعيم عشيرة الرياح، وتذكّر الحلم الذي راوده منذ أشهر خلت. يومذاك، رأى خيال النجم المذنّب المظلم أمام نار متوهّجة، مثل محارب أرسلته عشيرة النجوم لإنقاذهم. «النار ستنقذ العشيرة»؛ بحسب نبوءة الورقة الرقطاء. لكن، أمام مشهد قطط عشيرة الرياح المنهكة، تساءل قلب النار عما إذا كان حلمه مضللاً. فكيف يمكن لهذه القطط أن تمثّل النار التي وعدت عشيرة النجوم بأنها ستنقذ عشيرته؟ من المؤكّد أنّ عشيرة الرعد هي التي أنقذت عشيرة الرياح مجدداً.

تكلم النجم المذنّب بهدوء مع النمر الشرس. لم يستطع سماع الحديث الذي دار بينهما، ولكنّه خمن من انحناء رأس النجم المذنّب أنّ زعيم عشيرة الرياح كان يعبر عن امتنانه لعشيرة الرعد. جلس النمر الشرس مستقيم الظهر، وتقبّل الشكر بذقن مرفوع. أحسّ قلب النار بالنفور من غرور المحارب الأسمر، فهو لن ينسى أبداً كيف وقف جانباً مشاهداً فراء الفهد وهي توشك على تمزيقه إرباً.

«تعال». خرج من أفكاره على صوت غصن الصفصاف الناعم وهي تعرض عليه بعضاً من أعشاب الهزم المداوي. فخرخر شاكراً عندما بدأت تعصر الأعشاب على آثار العضات التي خلفتها المعركة على كتفيه. آلّمته العصارّة، ولكنّ الرائحة أعادته إلى زمن آخر، وذكرته بالورقة

الرقطاء. كانت قد أعطته العشبنة نفسها لعلاج جمرة منذ أشهر عديدة. وعندما انبعثت رائحة الأعشاب، تذكر حلمه في الليلة السابقة. كانت الهرة قد حذرتة قائلة: «احذر محارباً...». احذر محارباً!

فجأة، اتضح له الحقيقة وصدمة مثل رياح باردة. لم يكن النمر الرمادي من ينبغي له أن يحذر منه، بل النمر الشرس! كيف اشتبه بصديقه مع أنه يعرف ما يمكن للنمر الشرس فعله؟ ثم أدرك أن بس أدهم كان يقول الحقيقة، بغض النظر عما قالته نجمة الصباح. فبعدما رأى سلوك المحارب الأسمر اليوم، أدرك أنه قادر على قتل ذيل الأرجوان ومتابعة حياته من دون ندم.

قاطع البرق الخاطف أفكاره قائلاً: «قاتلت ببسالة يا قلب النار!». وغمزه الهرّ المخطّط البني بمودة ووعد قائلاً: «سأحرص على إخبار نجمة الصباح بذلك!».

وافقته غصن الصفصاف قائلة: «أجل، أنت محارب شجاع. لا شك في أن عشيرة النجوم ستقدّر صنيعك». نظر إليهما قلب النار، وهزّ أذنيه بسعادة وهو يشعر أنه ينتمي إلى العشيرة مجدداً.

فجأة، أحسّ بقشعريرة عندما رأى النمر الأسود يعبر الفسحة متّجهاً نحو النمر الشرس. جلس خلف النجم المذنب، وانتظر إلى أن انصرف زعيم عشيرة الرياح، قبل أن يقترب من النمر الشرس ويهمس شيئاً في أذنه. خلال ذلك، لم يرفع المحاربان نظرهما عن قلب النار.

أحسّ بالفزع. لقد رأي، رأي عندما تركت شعاع الفضة تذهب وشأنها.

سألت غصن الصفصاف: «هل أنت بخير؟». أدرك أنه ارتجف. «أممم... أجل، أنا آسف. كنت أفكر وحسب».

في تلك اللحظة، بدأ النمر الشرس يتقدّم نحوه وعيناه تلمعان حقداً.
مات غصن الصفصاف قائلة: «حسناً، سأذهب لرؤية الآخرين».
«أجل، حسناً. شكراً لك».

حملت غصن الصفصاف أعشابها وابتعدت، ولحق بها البرق
الخاطف.

خفض النمر الشرس أذنيه، وكشّر عن أنيابه وهو ينظر إلى قلب
النار. «قال النمر الأسود إنك تركت هزة من عشيرة النهر تفلت منك!».
أدرك أنه لا يستطيع قول شيء. فمهما يكن، لقد صعب النمر
الرمادي عليه الأمور، ومن المستحيل أن يخونه أمام هذا المحارب.
ودّ لو يستطيع أن يصيح في وجه النائب ويسأله عن وقوفه ومشاهدته
محاربة عشيرة النهر وهي تحاول قتله من دون أن يحرك ساكناً. لكن،
من سيصدق؟ أتى النمر الأسود ليقف إلى جانبه، فتاق قلب النار في
تلك اللحظة إلى حكمة نجمة الصباح وعدالتها، لكنّها لم تكن معهم.
أخذ نفساً عميقاً، واستعدّ ليتكلّم تحت نظرات النمر الشرس المليئة
بالتهديد. وفجأة، أدرك أنّ تسامحه مع هزة عدوة إرضاء للنمر الرمادي
لا يعني شيئاً لهذا المحارب الضخم. فهذا ليس السبب الحقيقي وراء
تحامله عليه. في الواقع، لا يزال النائب خائفاً من أن يكون قلب النار
قد عرف شيئاً من بسّ أدهم عن حقيقة مقتل ذيل الأرجوان قبل أشهر
من الزمن. لكن، خلافاً لبسّ أدهم، لن يستسلم قلب النار للخوف. لذا،
تحدّى النائب الأسمر بنظراته ودمدم قائلاً: «لقد أفلتت، أجل. مثلما
أفلت منك النجم الأعوج. لماذا تسأل؟ هل كنت تريد مني أن أقتلها؟».
ضرب النمر الشرس ذيله على الأرض الباردة. «قال النمر الأسود
إنك لم تخذشها حتى».

فهزّ كتفيه بلا اكتراث وأجاب: «ربّما يجدر بالنمر الأسود أن يلحق بها ويسألها عمّا إذا كان هذا صحيحاً!».

بدا النمر الأسود على وشك أن يبصق، ولكنّه ظلّ صامتاً بينما تابع النائب كلامه: «لا حاجة به إلى ذلك، فقد أخبرني أنّ صديقك الرمادي لحق بها. قد يخبرنا هو ما إذا كانت قد تعرّضت فعلاً للخدوش».

للمرّة الأولى منذ أن خاضوا المعركة، شعر قلب النار بالبرد. فقد رأى خلف وميض عيني النمر الشرس تهديداً مبطناً. هل اكتشف المحارب الأسمر علاقة الحبّ التي تربط بين النمر الرمادي وشعاع الفضة؟

كان قلب النار يحاول اختيار كلماته عندما ظهر النمر الرمادي في مدخل المخيم.

قال النمر الشرس ساخراً: «انظروا من أتى. هل تؤدّ سؤاله عن حال الهرة؟ كلّاً انتظر، أظنّ أنّني أعرف جوابه. سيخبرني أنّه لم يتمكّن من اللحاق بها». ولم يكلف نفسه عناء إخفاء السخرية في نظراته، بل ابتعد ولحق به النمر الأسود.

نظر قلب النار إلى النمر الرمادي الذي بدا منهكاً وقلقاً. ثم ذهب إليه وهو يتساءل عمّا إذا كان لا يزال مستاء من تدخّله. هل غضب منه لأنّه حاول الهجوم على شعاع الفضة، أم فرح لأنّه تركها تذهب؟ وقف النمر الرمادي صامتاً، وخفض رأسه العريض، فاقرب منه ولامس جسده البارد بأنفه بلطف. أحسّ أنّ النمر الرمادي يخرخر فنظر إليه. رمقه هذا الأخير بحزن، ولكنّه لم يجد في عينيه أثراً للغضب الذي كان يراه فيهما مؤخّراً.

سأله قلب النار بصوت خافت: «أهي بخير؟».

همس: «أجل. شكراً لأنك تركتها تذهب».

رف قلب النار عينيه قائلاً: «أنا مسرور لأنها لم تصب بأذى».

نظر إليه النمر الرمادي للحظة، ثم ماء قائلاً: «أنت محق يا قلب النار، فالمعركة لم تكن سهلة. أحسست أنني كنت أقاتل أبناء عشيرة شعاع الفضّة، وليس محاربين أعداء». ثم خفض نظره بخجل وقال: «لكنني ما زلت عاجزاً عن التخلي عنها».

لم يشعر قلب النار بالارتياح لما سمعه، ولكنّه تعاطف معه رغماً عنه. «هذا أمر عليك أن تحلّه بنفسك، فأنا لا أستطيع أن أحاكمك».

نظر إليه النمر الرمادي بينما تابع قائلاً: «ومهما يكن قرارك، فسأبقى صديقك دائماً».

حدّق إليه النمر الرمادي بارتياح وامتنان. ومن دون أي كلمة، تمدّد المحاربان جنباً إلى جنب في الفسحة الغريبة. وللمرة الأولى منذ أشهر، احتكّ فراء الصديقين بمحبّة. فوقهما، شكّلت أغصان القندول المحمّلة بالثلوج حماية مؤقتة من العاصفة التي احتدمت فوق رأسيهما.



telegram @
yasmeenbook

telegram @yasmeenbook